طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية

إعداد
الدكتور السعيد بوركبة

الجزء الأول

1417هـ ـ 1996م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي المصطفى الأمين.

وبعد، فإن بلاد المغرب الأقصى منذ أضاءها الإسلام ونور الإيمان، ورأى الناس في رحابه وتحت ظلاله سبل الهداية والرشاد، وعرفوا بفضله ألواناً من التعاون والإخاء والعطاء، وضروباً من الخير والإحسان خدمة للنفع العام، ظل محافظاً على دينه وعلى مقدساته والثوابت الراسخة للدين الإسلامي الحنيف، فعرف الوقف باعتباره أمراً دينياً وعملاً صالحاً، ومكرمة من مكارم الإسلام، فكان أبناؤه على مختلف مستوياتهم المادية، وشرائحهم الاجتماعية، يسارعون إلى العمل الخيري الإنساني، ويبادرون إلى كسب فضله وثوابه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**﴾، واستلهاماً من حديث رسوله الكريم ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وانطلاقاً من هذا الأساس الديني القويم والمرمى الإسلامي النبيل، والقصد الإنساني الحميد، جبلت الأمة المغربية على مر تاريخها المجيد على التعاون والتآزر والبر والتقوى، فكان ملوكها العظام وأمراؤها الأبرار وصلحاؤها الأخيار، يقفون جزءاً من ممتلكاتهم ليصرف ريعها على المساجد،

والكتاتيب القرآنية، والمدارس العلمية والزوايا الصوفية، والملاجئ الخيرية والمارستانات وعلى مواساة البؤساء والغرباء، وأحياناً على تحصين الثغور والدفاع عن دار الإسلام، إلى غير ذلك من المناحي والمرافق التي تستفيد من أوفار الأوقاف.

وقد عرفت الأوقاف اهتماماً بالغاً وعناية فائقة من قبل ملوكنا العلويين الأماجد العظام الذين عملوا على حمايتها من عبث الأيادي العادية، وعمدوا إلى خلق مجموعة من الهياكل الإدارية والشرعية، وأناطوا بها مسؤولية إدارتها، وتتبع مناحي صرف أوفارها وإحصائها وتسجيلها في دفاتر وسجلات رسمية لتغدو مع الزمن وثائق تاريخية وقانونية شرعية لضبطها وتنفيذ مقاصد محبسيها.

واعتباراً لأهمية موضوع إسهامات الوقف في بناء صرح الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب الأقصى، واعتباراً كذلك لدوره البارز في النهضة العلمية المباركة على عهد الدولة العلوية الشريفة، فقد قام الأستاذ الباحث السعيد بوركَبة، فجمع كل ما يتصل بهذا الموضوع من فوائد علمية جليلة، وأنجز هذه الدراسة الجديدة في بابها، القيمة في موضوعها ومحتواها، وقدمها أطروحة جامعية نال بها درجة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية من دار الحديث الحسنية.

وانطلاقاً من الرسالة الدينية والعلمية والحضارية التي تضطلع بها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتنويع منشوراتها التي تعالج التراث العلمي، وانطلاقاً أيضا من أهمية هذا النوع من الدراسات والأبحاث الجامعية.

يسعد هذه الوزارة أن تقوم بطبع هذا العمل العلمي الهام لتيسير تداوله والانتفاع بما احتواه في أبوابه وفصوله ومباحثه من حقائق معرفية وفوائد جليلة جديرة بالبحث والدراسة.

وتسأل الله عز وجل أن يجعلـه في سجل الأعمال الصالحة والمبرات الكريمة لمولانا أمير المؤمنين حامي حمى الوطن والـدين جلالة الملك الحسن الثاني، وأن يقـر عين جـلالتـه بولي عهـده صـاحب السمـو الملكي الأمير الجليل سيـدي محمـد، وصنوه السعيـد صـاحب السمو الملكـي الأمير الجليل مولاي رشيـد، ويحفظه في كافة أسرته الملكية الشريفة.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري



إهــــداء

إنه ليسعدني أن أهدي هـذه الأطروحــة إلى :

رائد الفكـر والثقافـة بالمغـرب منـــشيء دار الحديـث الحسنيــــة : جلالة الملـك الحسن الثـاني حفظـه الله ورعـاه، وأقـر عينـيه بسمـو ولي عهده المحبـــوب، الأميـر الجليل سيـدي محمد، وصنــوه السعيـد سمو الأمير مـولاي رشيد، وباقي أسرتــه الملكية الشريفة، آمــيـن.

الدكتور السعيد بوركبة

وحرر في الرباط بـ : 16 رجب الفرد الحـرام
عام 1415 هـ الموافق 20 دجنبر سنة 1994م.

قال رسول الله ﷺ :

«إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث :
صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»

أخرجه الجماعة إلا البخاري، وابن ماجة.

مقدمة

ما إن أضاء نور الإسلام على آفاق الحياة الإنسانية، حتى رأى الناس في رحابه طرق الهداية والرشاد، وعرفوا فيه ألوانا من العطاء والنفع العام، وضروبا من الخير والبر والإحسان، فكان من بين مظاهر الإحسان فيه : مظهر الوقف الذي ورد التنصيص عليه في حديث رسول الله ﷺ المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

فكان حديث رسول الله ﷺ هذا سببا في مسارعة المسلمين إلى التصدق بأموالهم، أو بجلها، أو ببعضها عن طريق الوقف على فئات كثيرة من المسلمين.

وأنه قلما نجد – من يومئذ – من الصحابة رضوان الله عليهم، وتابعيهم، ومن تبعهم بإحسان من لم يتصدقوا، ولو ببعض أموالهم على غيرهم، حيث أصبح الوقف شيئا عاديا ومألوفا لدى المسلمين، لا سيما وأنه يقوي أسس التعاون والتساند، ويركز دعائم التكافل فيما بينهم، علاوة على أنواع التبرعات الأخرى المأمور بها شرعا.

ومن ثم، أخذ الوقف يساعد بيت مال المسلمين، أو خزائن أموالهم في الإنفاق على كثير من مرافق حياتهم، ويشكل – تبعا لذلك – الممول الأساس لها، وانطلق يسهم بعطاءاته في المجالات المجتمعية، والاقتصادية والصحية، والدينية، والثقافية، وغيرها...

أما عـن إسهاماتـه في المجال المجتمعي، فتتجلى في نفع الأرامـل والأيتام، وفي إسعاف الـزمنى والعاجزين، وفي مسـاندة المقعدين والمعوقين، أيـا كان نوعهم، سواء كانوا مكفوفين، أو مشلولين، أو متخلفين عقليا، أو جسديا، أو نفسيا، أو مصابين بأمـراض عجز الطب عن معالجتها، وفي إنشـاء ملاجيء خيريـة يمـدهـا المحسنون مـن الواقفين بكل مـا تحتـاج إليـه من عقـارات ومنقولات، بغية استغلالها لصالح المقيمين بها والمستقرين، وفي إنشاء كثير من الحمامـات والأرحية، والسقـايات للسبيـل وإعداد دور خـاصة بـولائم الأعراس لـلأزواج المقلين والمقبلين على الزواج، ذكـرانا كـانوا أو إنـاثا، حيث يمكنون من كل مـاهم في حاجة إليـه في هذه المناسبات السعيـدة من ألبسة وغيرها.

وأمـا عن إسهـامـاته في المجـال الاقتصـادي، فتتجلى في بنـاء مصـانع (خزانـات) لتخزين المياه الجوفيـة، وفي حفر آبار، ومد قنـوات لري الأراضي الفلاحية، وفي وقف مختلف بذور الحبوب من أجل إقراضـها الفلاحين الذين لا يجدون ما يبذرونه في أراضيهم الفلاحية، ليستفيدوا من محاصيلها، على أسـاس رد هذه البـذور في موسم الحصـاد، وفي إنشـاء صناديق، بعضـهـا للقـروض بدون فـائدة تساعـد المحتـاجين من الناس على أسـاس رد المبلغ المقترض منه عندما يقع التيسير على المقترضين، حيث يشترى ببعض أموالها عربات تسـاعد المقعدين في التنقل للوصول إلى أغـراضـهم وحاجياتهم مثلما يتنقل إخوانهم الأصحاء بشكل عادي. ويودع في بعضـها أموال الوقف، قصد مساعدة الغرماء الذين لا يقدرون على أداء ديونهم، وكالقيام بتجزئة أراض وقفية من أجل التوسعة على الناس في مجال الإسكان.

وأما عن إسهاماته في المجال الصحي، فتتجلى في الوقف على مستشفيات يكـون العـلاج فيهـا مجانـا، حيث يعـالج المرضـى من بني الإنسـان، أو المصابون من الطير أو الحيوان.

وإذا كانت الأمراض عقلية أو نفسية، فقد أنشىء لها بيمارستانات حيث يغدق عليها الواقفون من عقاراتهم ذات العائد ليصرف على تغطية تكاليفها من أدوية ومعالجة.

وأما عن إسهاماته في المجال الديني، فتتجلى في بناء المساجد والوقف عليها وعلى ما يتعلق بها من أجور الموظفين من أئمة وخطباء ووعاظ، ومرشدين ومؤذنين وقيمين وقراء ومنظفين وعلى ما هي في حاجة إليه من فرش ومياه وإنارة.

وأما عن إسهاماته في المجال الثقافي، فتتجلى في كل ما يقوم به الوقف نحو مؤسسات التعليم من مساعدة طلبتها وشيوخها على تحصيل العلوم ونشرها، فكان أن أصبح للوقف جامعات علمية، ومؤسسات تعليمية نشرت نورها على الأرض، حيث حملت رسالة الإسلام إلى الآفاق الإنسانية.

ومن الثابت تاريخيا : أن من الوقف وحده نشطت حركة علمية منقطة النظير، وفرت للمسلمين علما ضخما، وتراثا خالدا، وفحولا من العلماء تألقوا في سماء المعرفة الإنسانية.

وإذا كان هذا النشاط العلمي للوقف قد نما في الدول الإسلامية بصفة عامة، فإنه في دولة المغرب الأقصى قد أصبح أكثر نموا واتساعا وإشراقا في كل مجالات الفكر والمعرفة بصفة خاصة، ولا سيما منها في عهد الملوك العلويين الأشراف الذين أعطوا الوقف كامل عنايتهم ورعايتهم واهتمامهم، حيث ساندوه مساندة فعالة وحافظوا على مؤسساته التعليمية من مساجد، ومدارس، وزوايا، وكتاتيب قرآنية وغيرها... وأسسوا في بعضها خزانات علمية شحنوها بآلاف مؤلفة من أنفس الكتب العلمية، تسهيلا وتيسيرا على طلبة العلوم.

وبما أن الوقف نشأ أول ما نشأ (بدءا من عصر الرسول ﷺ إلى عصرنا الحالي) عن طريق الخوصصة أو بتعبير أصح عن طريق الخصخصة، فإنه

كـان ومـا يـزال يقـوم بـه الخواص من النـاس إذ يشعـر كل واحـد منهم بمسـؤوليتـه عن رفـاهيـة مجتمعـه وهنائه، وعـن مسانـدتـه وسعـادتـه واستقراره، فيحفزه ذلـك على مد يد العون لبقية الأفـراد المحتاجين في شتى المجالات.

ومن المعلوم، أن الأوقـاف كانت تشغل الحيـز الأكبر في المجتمع المغربي، وتقـوم بتمويل عـدة مـرافق فيـه، إلا أنه قـد أدركهـا النقصان في بعــض الفتــرات الأخيرة من تاريخـنا، ممـا يـدعونـا إلى الدعـوة للعــودة بها إلى رسالتهـا الأولى، حيث تقوم بدور هام في تخفيف عبء الإنفـاق عن خـزينة الـدولة في كثير من الحالات التـي تفرضهـا وضعيـة كثـير من المعوقيــن، وخاصـــة منهـم المقعـدين والمشلولين، والمكفـــوفين، والمصابيـن بأمـراض مستعصية عن العلاج، بمنحهم مساعدات كافية وكفيلة بإنعاشهم، وجعلهم يتذوقون طعم الحياة كغـيرهم من الأصحـاء، وذلك بإنشاء صناديق تصب فيهـا قنـوات الأوقـاف، نطلـــق عليهـــا : «صنـاديق الرحمـــة، والمواســاة، والإسـعاف».

وقد يشترى ببعض أموالها أيضا ما تحتاج إليـه بلادنا من أجهزة طبية لتصفيـة الدم بـالنسبة لأولئك الـذين استؤصلت كـلاهم، حيث تجرى لهم عمليات التصفية بطريقة ميسرة مجانية.

كما قد يشترى منها سيارات إسعافية لنقل المرضى المحتاجين للإسعاف إلى المستشفيـات، ونقل مـوتى المسلمين إلى مثـواهم الأخير بصفـة مجانيـة كذلك.

وبما أن الوقف كان يقوم بتغطية نفقـات عدة مرافق في الحياة كما سبق القول : فإن قيامه بالإنفاق في تنشيط الحياة الثقافية وتنميتها بالبلاد، كان أكثر وأعظم وأشمل من غيرهـا، مما يجعلنا نبادر إلى معـالجة دوره فيها في عهد دولة العلويين الزاهر بالمغرب.

ولعل هذه المبادرة، هي أول بحث في هذا النطاق، يعالج دور الوقف في الحياة الثقافية خلال هذه الفترة من تاريخنا العريق المجيد.

وإذا كان اختيارنا هذا البحث الواقع في هذا العهد بالذات، فإن ذلك إنما يرجع إلى كون الدولة العلوية، هي التي اهتمت بجهاز الأوقاف، اهتماما بالغا أكثر من غيرها من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب بدءا من المولى الرشيد، ووصولا إلى عهد جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله.

فكان عنوان بحثنا هذا هو :

«دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية».

وسينصب هذا البحث على فترة تقدر بـ : 365 سنة إلا بضعة أشهر، أي منذ أن تقلدت الدولة العلوية الملك بالمغرب على يد المولى آمحمد بن الشريف بن المولى علي سنة 1050هـ / 1640م إلى عهد أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني – حفظه الله – سنة 1415 هـ / 1994م.

وسنبتدىء الكلام عن هذا البحث بتوطئة نحدد فيها مفهوم الوقف لغة واصطلاحا، ثم نتبعه بذكر طبيعة الوقف، وآراء المذاهب الفقهية في ملكية الموقوف، ثم بذكر الأصل في مشروعيته من الكتاب ومن السنة مع ذكر الحكمة منه، والإشارة إلى أهم الدوافع إليه.

ثم نتبعها بباب تمهيدي، نتناول فيه بالتحليل : دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد كل من الدول : الإدريسية، والزناتية، والمرابطية، والموحدية، والمرينية، والوطاسية، والسعدية.

ثم سنتناول بعد ذلك بالدراسة والتمحيص موضوع البحث في نطاق أربعة أبواب، حيث سنتناول في كل باب عصرا من عصور الدولة العلوية الشريفة.

وهكذا سيكون مخططنا المنهجي لهذه الدراسة بعد التوطئة والباب التمهيدي منصبا على أربعة أبواب وخاتمة.

الباب الأول

دور الوقف في الحياة الثقافية في العصر العلوي الأول

وسنبتدئه من سنة 1050 إلى سنة 1171هـ / 1640 – 1757م.

وسنعالج الكلام فيه عن دور الوقف في الحيـاة الثقافية بالمغرب في عهد كل من الـمولى آمحمـــد بن الــشريــف والـــمولى الرشيــد، والـــمولى إسماعــيل، والمــولـــى عبـــد الــملك بن إسماعيــل والمولى عبـد اللــه بن إسماعيـل.

الباب الثاني

دور الوقف في الحياة الثقافية في العصر العلوي الثاني

وسنبتدئه من سنة 1171 إلى سنة 1290هـ / 1757 – 1873م.

وسنتناول الكلام فيه على دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد كل من المولى محمد بن عبد الله، والمولى هشام بن محمد بن عبد الله، والمولى سليمـــان، والــمولى عـــبد الرحمـــن بـن هشـــام، والمولى محمـد بن عبـد الرحمن...

الباب الثالث

دور الوقف في الحياة الثقافية في العصر العلوي الثالث

وسنبتدئه من سنة 1290 إلى سنة 1346هـ / 1873 – 1927م.

وسنتناول الكلام فيه على دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب، في عهد كل من المولى الحسن الأول، والمولى عبد العـزيز، والمولى عبد الحفيظ، والمولى يوسف.

الباب الرابع

دور الوقف في الحياة الثقافية في العصر العلوي الرابع

وسنبتدئه من سنة 1346 إلى سنة 1415هـ / 1927 – 1994 م.

وسنتناول الكلام فيه على دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد كل من المولى محمد الخامس – طيب الله ثراه – وأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني – أيده الله –.

أما الخاتمة : فسنتناول فيها بإيجاز نتائج ما سبق بيانه في موضوع البحث.

توطئة : حول تحديد مفهوم الوقف، وذكر طبيعته، وآراء المذاهب الفقهية في ملكيته، مع الأصل في مشروعيته، والحكمة منه، وذكر أهم الدوافع إليه :

سنتناول في هذه التوطئة بالتحليل العناصر التالية :

1 – مفهوم الوقف.
2 – طبيعته.
3 – آراء المذاهب الفقهية في ملكية الموقوف.
4 – الأصل في مشروعيته.
5 – الحكمة منه.
6 – أهم الدوافع إليه.

أولا : مفهوم الوقف لغة واصطلاحا :

1 – مفهوم الوقف لغة :

إن مفهوم الوقف لغة، يدل على الحبس والمنع، يقال : وقف فلان داره على كذا : إذا حبسها، ويجمع على وقوف.

والوقف : مصدر أريد به اسم المفعول، يقال : هذا العقار وقف أي موقوف، ومن ثم، جمع على أوقاف، ولا يقال أوقفته، لأنه لغة رديئة.(1)

وقد قال الشيخ محمد الخرشي على مختصر خليل في هذا الصدد، نقلا عن كتاب «التنبيه» ما يلي :

---

1) الوقف في الشريعة والقانون للأستاذ زهدي يكن، ص 7 دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان السنة 1388هـ.

«الوقف، مصدر أوقف الأرض وغيرها، إيقـافا، هذه هـي اللغة الفصيحة المشهورة «إلا أن الشيخ علي العـدوي، أوضـح في حاشيتـه عليه عند قـوله : «أوقفتها» ما يلي :

«كذا في بعض النسخ الصحيحـة، والمناسب : حـذف الواو، لأن ذلك من باب وعد، أي لأن قياس مصدر الثلاثي فعل، وأما أوقف، فمصدره : إيقاف، والمشهور : التعبير بوقف، لا إيقاف.(2)

وقـد وردت مـادة وقف بمعنى حبس في الشعـر الجاهلي من ذلك قـول عنترة بن شداد في معلقته.(3)

ووقفت فيهـــا نـــاقتـي، فكأنها
فـــدن، لأقضي حـــاجـــة المتظلم

وكذلك قول امرىء القيس في مطلع معلقته :(4)

قفـــا نبك من ذكـرى حبيب ومنـــزل
بسقط اللـوى بين الدخـول، فحـومل

---

2) انظر شرح الخرشي على مختصر خليل ج 7 ص 78 المطبعة الأميرية الطبعة 2 السنة 1317هـ، ازداد أبو عبد الله محمد الخرشي سنة 1010 وتوفي بالقاهرة سنة 1101هـ.
إنه أول من تـولى مشيخـة الأزهـــر، وتعليق العـدوي (1189هـــ) عليه يـوجـد في نفس الجزء والصحيفة أيضا.

3) هو عنترة بن شـداد العبسي، ولد في نجـد نحو 525م من أب شريف، ومن أمـة حبشيـة الأصل، تدعى «زبيبـة» عاش كعبـد يرعى إبل أبيـه إلى أن غارت جماعة من طـيء على عبس، واستاقت إبلهم، ولما دعاه أبوه لمحاربتهم ووعـده بالحرية، لبى النداء، فكر على الأعداء ونـال حريته، قاد الكتائب في غـزوات متواليـة على أعداء عبس، وفي حـرب داحس والغبراء، وأحب ابنة عمـه عبلة، فنفرت منه، قضى حياتـه يسترضيها، ثم قتل نحو سنة 615م انظر تاريخ الأدب العربي، لحنا الفاخوري ص 165 منشورات المكتبة البوليسية، بيروت - لبنان الطبعة 11 سنة 1983.

4) هو الملك الضليل، ولد في نجد سنة 500م فعاش في لهو ومجون، حيث نظم الشعـر، فطرده أبوه، فراح في زمـرة من المجان في لهو وصيـد، إلى أن قتل أبوه، فهب لاسترجـاع الملك، وأخذ يستحث القبائل للحـرب وقصد يـوستينانس مستجيرا، فلم يثمـر مسعاه، غادر القسطنطينيـة، فانتـابه مرض كالجذري أودى بحياتـه نحو سنة 540م، تجد هـــذا في المرجع السابق أعـلاه : ص 76.
فدن : قصر.

2 – مفهـوم الوقف اصطلاحـا :

إن مفهوم الوقف من الوجهة الاصطلاحية، قد عرف بعدة تعاريف، كان من أهمها في نطاق المذهب المالكي ما عرفه به الإمام ابن عرفة(5) حيث قال : «الوقف، إعطـاء منفعة شيء مدة وجـوده، لازما بقاؤه في ملك معطيـه، ولو تقديرا».

وبتأمل هذا التعريف، نتبين فيه أن ما يعطى في الوقف، هو منفعة الشيء الموقوف، لا ذاته.

وأن قوله : «إعطاء منفعة» استبعد به إعطاء الذات كالهبة مثلا.

وأنه قال : «منفعة شيء» ولم يقل مالا، أو متمولا، لأن الشيء أعم منهما.

أما الإعارة، فيمكن لمن أعـارها أن يسترجعها متى شاء، وأمـا العُـمْـرى فترجع بعد موت المعمر ملكا للمعمر أو لوارثه.(6)

وأن قوله : لازما بقاؤه في ملك معطيه «استبعـد به : العبد المخدم حياته يموت قبل موت سيده، لأنه لا يلـزم بقاؤه في ملك مخدومه، بل يجوز بيعه برضاه من معطاه.

وأن قوله : «ولو تقديرا» يحتمل أن يكون اللفظ راجعا إلى الملك، ويحتمل أن يكون راجعا إلى الإعطاء.(7)

---

5) هو محمد بن عرفة الفقيه التونسي المالكي توفي سنة 803هـ.

6) العمرى هي كما قـال ابن عرفة : تمليك منفعـة حياة المعطى بغير عوض إنشـاء، وهي أن يقول : المعمر بالكسر للمعمر بالفتح : أسكنتك هذه الدار عمرك، ووهبتك سكناها عمرك.

7) انظر :

أ – أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية للـدكتور محمد عبيد عبد الله الكبيسي ج 1 ص 78 – 79 مطبعة الإرشاد بغداد سنة 1397هـ / 1977م.

ب – شرح الشيخ أبي عبد الله محمـد الأنصاري المشهور بالرصاع التـونسي المتوف سنة 894هـ ص 410 – 312 المطبعة التونسية ط 1 السنة 1350هـ على حدود ابن عرفة.

ج ـ الجزء السابع من شرح سيدي أبي عبد الله محمد الخرشي على مختصر أبي الضياء خليل بن إسحاق المالكي.767 ص 78 المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر المحمية السنة 1317.

د ـ شرح البهجة لأبي الحسن علي عبد السلام التسولي على تحفة ابن عاصم.

ج ـ ص 224 دار الفكر بيروت، لبنان.

ثانيا : طبيعة الوقف :

إن طبيعة الوقف، يمكن الوقوف عليها من خلال عناصر مفهوم الوقف عند ابن عرفة، ومن خلال ما قيدت به ملكيته في حديث عبد الله بن عمر، حيث ورد فيه قول النبي ﷺ : «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها، فتصدق عمر : أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث في الفقراء...».

أما من حيث عناصر الوقف، فتتجلى في :

1 – إعطاء منفعة الموقوف، لا أصله، وفق ما ورد في تعريفه.

2 – وجوب إبقاء ملكيته لواقفه بعد إعطائه منفعته، بناء على مذهب مالك ومن نحا نحوه في بعض الأقوال عند الشيعة الأمامية.(8)

وأما من خلال ما قيدت به ملكية الوقف، فتتجلى في انعدام حرية التصرف في هذه الملكية ببيع، أو هبة أو إرث، كما في الحديث السابق، خلافا للملكية في الفقه بصفة عامة، فإنها تخول صاحبها حرية التصرف فيها، وتفويتها بأي نوع من أنواع التفويت.

ولعل هذا التقييد الذي قيدت به ملكية الوقف، كان حماية لها من التفويت من جهة، واستمرارا لمفعول الوقف وأثره في الحياة الإنسانية من جهة أخرى.

---

8) إن الأمامية تتألف من عدة فرق من الشيعة، من بينها : الجعفرية، والزيدية، والإسماعيلية، وقد اتفقوا على أن الإمام بعد النبيﷺ هو علي بن أبي طالب، ثم من بعده : الحسن بن علي، ثم الحسن بن علي رضي الله عنهم، واختلفوا بعد ذلك فيمن يلي الحسين في الإمامة، فالجعفرية يرون أن الإمامة بعده لعلي زين العابدين بن الحسين، ثم لابنه محمد الباقر، ثم لجعفر الصادق الذي إليه ينتسبون، حيث استطاع أن ينشر ما عنده من علم وفقه وسنة، بل كان انتسابهم إليه في زمانه، ثم لموسى الكاظم بن جعفر الصادق، ثم لعلي الرضا بن موسى، ثم لمحمد الجواد بن علي، ثم لعلي الهادي بن محمد، والحسن العسكري بن علي، ثم ابنه المهدي المنتظر، وهو الاثنى عشر.
والجعفرية يعتقدون أن المهدي لازال حيا، وقد دخل سردابا في دار أبيه بسامراء العراق، ولم يعد، وسيخرج آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا. ومما يحسن التنبيه عليه: أن لفظ الإمامية إذا ما أطلق الآن، فإنما ينصرف إلى الجعفرية دون غيرهم من طوائف الشيعة، وفرقهم.
يوجد هذا في كتاب : أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، للدكتور محمد عبيد عبد الله الكبيسي ج1 ص 86 ـ 87 هامش 3 : «نقلا عن الإمام الصادق» لمحمد بن الحسين المظفر، ط 2 ج1 ص 205... الإمام الصادق «للشيخ محمد ابن أبي زهرة».

ثالثا : آراء المذاهب الفقهية في ملكية الموقوف :

وأما عن آراء المذاهب الفقهيــة في ملكية الموقوف، فقد وردت فيهــا ثلاثة اتجاهات.

الاتجاه الأول : يرى أن ملكية الموقوف، تبقى ثابتــة للواقف، وتقيد هذه الملكية بعدم التصرف في رقبتها بأي نوع من أنواع التصرفات، وهذا الاتجاه هو مذهب الإمام مالك(9) ومن تبعه، حيث نص فقهاء مــذهبه على أن ملكية الموقوف لا تخرج أبـدا عن ملكية واقفــه، بل تبقى ثابتــة له – حيــا كان أو ميتا – وأن ملكيته له تبقى مقيدة بعدم بيعه، ولا هبته ولا إرثه كما سبق في الحديث أعلاه.

واعتبارا لهذا : حدد ابن عرفة الوقــف، فقال : «الوقف، هو إعطاء منفعة شيء مدة وجود.، لازما بقاؤه في ملك معطيــه، ولو تقديرا» حيث يستفاد من هذا التحــديد لمفهوم الــوقف، وجوب إبقــاء ملكية الموقوف في ملكيــة واقفه. واعتمادا على مقتضيــات هــذا التحــديد، وتمشيــا مع مــا درج عليــه فقهــاء المالكية، نص خليل في مختصره حيث قال :

«والملك للواقف، لا الغلــة» وقد نسب هــذا بطريقة مــرجوحــة إلى الأمام الشـافعي،(10) بناء على ما ورد في كتاب المغني لابن قدامة.

---

9) هو مــالك ابن أنس الأصبحي العربي، ولد في المدينــة سنة 95هـ (713م) وأقام فيهــا ولم يرحل عنها إلا حاجا إلى مكة، ثم مات فيها أيضا سنة 179هـ (795م) انظر ترجمته مستوفاة في كتاب فلسفة التشريع الإسلامي، للدكتور محمصاني صبحي ص 37 ـ 40 مطابع دار الكشاف، بيروت لبنان ط 2 السنة 1371هـ 1952م.

10) الشافعي هو محمد بن إدريس، قرشي مــن جهة الأب، يلتقي مع النبيﷺ في عبد مناف، وأن أمه أزدية والأزد من اليمــن، كان أبوه قــد خرج في حــاجة إلى الشــام، فولــدت له الشــافعي بغزة أو عسقلان سنة (767م)، ثم مات أبوه، فحملته أمــه إلى مكة وهو ابن سنتين، وقد نشأ فقيرا، ولما حفظ القــرآن وأخذ بحــظ وافر من الحديث، أخــذ في طلب العلم حيث تتلمــذ على مــالك بن أنس، وسافر إلى العــراق، فأخذ عن محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة، وأقــام في البادية وفي اليمن ومصر والعــراق مــرارا، حتى أصبح علما من الأعــلام المجتهدين، مــات في مصر سنــة 204هـ/819م.=

والاتجاه الثـاني : يـرى أن ملكيـة الموقـوف، تنتقـل من الواقـف إلى الموقوف عليهـم، وهـو مذهـب الإمـام أحمـد بن حنبـل(11) ومن نحـا نحـوه.

والاتجاه الثالث : يـذهب إلى أن ملكية الموقـوف، تنتقل من الواقف لا إلى مـالك من العباد، ولكن إلى أجل المالكين، وهـو اللـه سبحانـه وتعالى، وهـو مذهب الإمامين : الشافعي، وأبي حنيفة(12) في أرجح الأقوال، وهو ما درج عليه المذهب الظاهـري، ومن اقتـفى أثـره من الفقهـاء، حتى قـال الإمـام

= انظر مزيدا من سيرته وترجمته في :

1 ـ فلسفة التشريع الإسلامي ... للدكتور صبحي محمصاني : 41 ـ 44.

2 ـ ضحى الإسلام، للأستاذ أحمد أمين ج2 ص 218 ـ 242 مكتبة النهضة المصرية 4 7 السنة 1343هـ ـ 1935م.

3 ـ الانتقاء لابن عبد البر ص 65 وما بعدها القاهرة السنة 1350هـ.

4 ـ شخصيات إسلامية : أئمة الفقه التسعة لعبد الرحمن الشرقاوي، طبعة العصر الحديث ط 2 السنة 1406هـ / 1985م من ص 139 ـ 187.

11) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد... وقد أوصل ابن خلكان في وفيات الأعيان أجداده إلى 28 جدا كان آخرهم: عدنان أحد أجداد المصطفىﷺ خرجت أمه من مرو، وهي حامل به فولدته في بغداد في شهـر ربيع الأول سنة 164هـ وقيل ولـد بمرو، وحمل إلى بغـداد، وهو رضيع وتوفي فيها سنة : 231هـ/855م. رحل في طلب العلم والحديث إلى الشام والحجاز واليمن والكوفة والبصرة يجمع من الحديث مجمـوعـة كبيرة في مسند الإمـام أحمد، وهو يقع في ستـة أجزاء، ويحتـوي على أكثر من أربعين ألف حديث هـ انظر مزيدا من أخبـاره في فلسفة التشريع الإسلامي، ص 45 وكذا في ص 46ـ 48 منه، وانظر ترجمته أيضـا في وفيات الأعيان لابن خلكان ج1 ص : 63 دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان تحقيق الدكتور إحسان عباس.

12) أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت المعروف بالإمام الأعظم.. إنه فارسي الأصل، ولد في الكوفة سنة 80هـ/799م بدأ حياته العلمية يدرس علم الكـلام، ثم تعلم فقه الكوفة من شيخه حماد بن أبي سليمان (120هـ) وكان إلى جانب حيـاته العلمية خزازا يتعاطى المعامـلات العلمية، فأكسبه علم الكلام واحتراف التجـارةمقدرة واسعة على تحكيم الرأي والمنطق، وعلى تطبيق الأحكـام الشرعية على القضايا العلمية، وعلى التوسع بطريق القياس والاستحسـان، وفي آخر الدولة الأموية عرض عليه القضاء ابن هبيرة والي العـراق فرفضه، فضرب، ثم استحضره أبو جعفـر المنصور العباسي إلى بغداد فعرض عليه القضـاء، فرفضـه، فحبسه فيها فترة، حتى وفاته عام 150هـ676م. يوجد هذا في كتاب فلسفة التشريع الإسلامي لصبحي محمصاني ص : 29 ـ 30.

ابن حزم(13): «إن الحبس ليس إخراجا إلى غير مالك، بل إخراج إلى أجل المالكين، وهو الله سبحانه وتعالى».(14)

ويجب لفت النظر – إضافة إلي ما سبق ذكره في الاتجاهات الثلاثة – إلى أن بعض فقهاء الامامية من المذهب الشيعي رأى أن ملكية الموقوف تنتقل إلى الموقوف عليهم.

وفصل بعض آخر منهم، فقال :

«إن كان الوقف على جهات عامة لا تملك، كالفقراء، والمساكين، والمصاح، والقناطر، كان الملك لله.

وإن كان الوقف على غير ذلك، فإن الملكية تنتقل إلى الموقوف عليهم، غير أن القول الراجح عند الامامية، هو ما يتفق مع رأي الإمام مالك في أن ملكية الموقوف لا تخرج عن ملك الواقف».

---

13) ابن حزم هو أبو محمد علي بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ولد بقرطبة من بلاد الأندلس يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس سلخ شهر رمضان سنة 384 في الجانب الشرقي منها، وكان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطا الأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب الظاهر، وكان متفننا في علوم جمة، عاملا بعلمه، زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له، ولأبيه من قبله في الوزارة، وتدبير الممالك، متواضعا ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة.

توفي رحمه الله ببادية لبلة، آخر نهار الأحد، لليلتين بقيتا من شعبان سنة 456هـ.

وكان مما أنشده والده الوزير في بعض وصاياه له : هذا البيت الشعري :

إذا شئت أن تحيا غنيا، فلا تكن
على حالة، إلا رضيت بدونها

تجد ما ذكر في هذا الهامش في كتاب : وفيات الأعيان، لابن خلكان... ج3 ص 325 ـ 330 دار الثقافة بيروت ـ لبنان ـ وانظر للتوسع في ترجمته وسيرته وفكره :

1 ـ ابن حزم، عصره وآراؤه، وفقهه، للإمام محمد ابن أبي زهرة، اشتمل هذا البحث على 606 صحيفة، دار الفكر العربي السنة 1373هـ/1954م.

2 ـ دراسات عن ابن حزم وكتابه : طوق الحمامة، للدكتور الطاهر أحمد مكي : رسالة دكتوراه دولة، دار المعارف ط 3 السنة ذو الحجة 1401هـ / أكتوبر 1981م.

14) انظر كتابه : المحلى ج و ص : 178، وكذا محاضرات في الوقف للإمام محمد ابن أبي زهرة ص 93 ـ 94 ـ 96 ـ 97.

رابعا : الأصل في مشروعية الوقف :

من المعلوم أنه تـوجد عدة أدلة على مشروعية الـوقف في الإسلام، وهذه الأدلة، إما عامة، وإما خاصة.

أولا : الأدلة العامة على مشروعية الوقف :

إن الأدلة العامة على مشروعية الوقف، منهـا ما يرجع إلى القرآن الكريم، ومنها ما يرجع إلى السنة النبوية.

1 – بالنسبة لما يرجع إلى القرآن :

تـوجد في القـرآن آيات كثيرة تحث على الصـدقـة وبذل الخير إلى فئـات كثيرة من المسلمين، تشمل الوقف وغيره، منها قوله تعالى :

أ – **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**.(15)

ب – **﴿يا أيها الـذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبـدوا ربكم، وافعلوا الخير، لعلكم تفلحون﴾**.(16)

ج – **﴿وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**.(17)

د – **﴿وما تفعلوا من خير، فلن تكفروه﴾**.(18)

هـ – **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وابتغوا إليه الوسيلة﴾**.(19)

فالإنفاق في سبيل الله، والتصدق الذي أمر الله به الأغنياء، وفعل الخير، كل هذه الأمور ندب الله إليها عبـاده الأغنياء، وحثهم عليها – زيادة على ما كـان واجبـا منهـا كـالإحسـان إلى الفقـراء، وذوي القـربى وأبنـاء السبيل، وغيرهم.

15) الآية 92 سورة آل عمران.
16) الآية 77 سورة الحج.
17) الآية 280 سورة البقرة.
18) الآية 115 سورة آل عمران.
19) الآية 35 سورة المائدة.

وإن مختلف أنـواع العطاءات التي تبـذل في هذا السبيل، قـد تستهلك في حينها، بينما العطاء الذي يكون عن طريق الوقف، والذي يقتصر على المنفعة دون الذات، يبقى مستمر النفع، والفائدة ما شاء الله له الاستمرار.

2 – بالنسبة لما يرجع إلى السنة النبوية :

فقد أثرت عن رسول الله ﷺ عـدة أحاديث تشير إلى مدى أهمية الوقف منها :

أ – ما روي عن أبي هريرة(20) ض أن النبي ص قال :

«إذا مـات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثـلاث : صدقـة جاريـة، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

أخرجه مسلم(21) واللفظ له وابن مـاجة(22) والترمذي(23) وأبو داود(24) وأحمد.

---

20) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صحابي جليل، وهو أكثر الصحابة رواية عن رسول اللهﷺ وأحفظهم لحديثه، تـوفي بالمدينة سنـة سبع، وقيل ثمان، وقيل : تسع وخمسـين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة.
اهـ الدكتور الكبيسي في كتابه : أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية ج1 ص 94 ـ 95.

21) هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، وقد أجمع العلماء على إمامته وعلو منزلته في الحديث، وأهم مؤلفاته : الصحيح، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة 261هـ.
يوجد هذا الحديث في صحيحه بشرح النووي ج11 ص 85 المطبعة المصرية ط 1 السنة 1347هـ ـ 1929م.

22) هو محمد بن يـزيد بن ماجة القزويني، أحد الأئمـة، وصاحب السنن والتفسير، ثقة كبير، متفق عليه في الحديث محتج به، وله معرفة وحفظ، توفي سنة 273هـ.
انظر ترجمته في : (1) أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، د. الكبيسي (2) خلاصة التذهيب ص 312 (3) تهذيب التهذيب ج9 ص 530. (4) طبقات السيوطي، ص : 278 ـ 27.

23) هو الإمام محمد بن عيسى بن سـورة السلمي الترمذي الحافظ الضرير.. له الجامع الصحيح في الحديث، وألف في التفسير، مات سنة 279هـ.

24) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستـاني ولد سنة 202هـ وتوفي بالبصرة سنة 275هـ قال رضي اللـه عنه كتبت عن رسـول اللهﷺخمسمائة ألف حـديث، فانتخبت منهـا أربعة آلاف وثمانمائة، ضمنتها هذا الكتاب ذكرت فيه الصحيح، وما يشبهه ويقاربه، وهو كتاب لاترد عليك سنة عن النبيﷺ إلا وهي فيه، ولا أعلم شيئا بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب، ولا يضر رجـلا ألا يكتب من العلم شيئـا إلا هـذا الكتـاب. اهـ من التـاج الجامع لـلأصـول في أحـاديث الرسـول، للشيخ منصور علي نـاصف ج 1 ص 15 هامش 4 مطبعة عيسـى البابي الحلبي.. ط 4.

ب – ما أخـرجه ابن ماجـه : «أن رسول الله ص قـال : إن مما يخلف المومن من عملـه وحسناتـه بعد موتـــه علما نشره، أو ولدا صـالحا تركـه، أو مصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لأبناء السبيل بناه، أو نـهرا أجراه، أو صدقـة أخرجها من ماله في صحته وحياتـه تلحقه بعد موتـه».

ثانيـا : الأدلة الخاصــة على مشروعيـة الوقـف :

وهذه الأدلة منها ما يرجع إلى وقف رسول الله ﷺ، ومنـها ما يرجع إلى وقف الصحابة (ض).

1 – بالنسبة لوقف رسول الله ﷺ :

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه وقف أرضا له في سبيل الله.(25)

أ – روي عن عمر وبن الحارث بن المصطلق، أنه قال :

«ما تـرك رسول الله ﷺ إلا بغلتـه البيضاء، وسـلاحه، وأرضا تـركها صدقة».(26)

---

25) انظر كتاب أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، للدكتور الكبيسي ج 1 ص 96 ـ 98.

26) أخرجه البخاري واللفظ له، والبيقي، والنسائي، والدارقطني.

والبيهقي، هو أحمد بـن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، أحـد أعلام الشـافعية، إمـام من أئمة الحديث وفقه الخلاف، وصاحب السنن الكبرى، ولد في شعبان سنة 384هـ وتوفي في 10 جمادى الأخيرة 458 المرجع السابق أعلاه ج1 ص 98 هامش رقم 1 وأحال على من تـرجم له في : (1) طبقات السبكي ج4 / 8 (2) طبقات الأسنوي، ج 1 ص 199. (3) طبقات الحسيني ص 55. (4) البداية والنهاية ج 12 ص 94.

والنســائي، هو أحمد بن شعيـب بن علي بن سنان النســائي أبـو عبـد الرحمن القـاضي الحافظ صـاحب السنن وأحد الأئمة المبرزين والحفـاظ الأعلام، توفي بفلسطين ودفن ببيت المقدس، وقيل بمكة سنة 304 شهيـدا رحمه الله لأنـه مات من التعـذيب... توجـد ترجمتـه في (1) خلاصة التذهيب ص 6. (2) طبقات السيوطي ص 303. (3) البداية والنهاية ج11 ص 123. (4) تهذيب التهديب، ج 2 ص 36. (5) شذرات الذهب ج 2 ص 239.

والدار قطني، هو علي بن عمر الدارقطني (306 ـ 385هـ) حافظ عصره.. في علم الحديث ومعرفة علله ورجـاله، وكان فقيها على مـذهب الشافعي، من مؤلفـاته : «السنن» و «المختلف والمؤتلف» ترجم له في البداية والنهايـة ج 11 ص 317 وتاريخ بغـداد ج 12 ص 34 وطبـقات السيوطي ص 393 وشذرات الذهب ج 3 ص 116 والنجوم الزاهرة ج 4 ص 172.

ب – وروي عن عائشة الصديقية (ض) أن رسول الله ﷺ جعل سبع حيطان له بالمدينة صدقة على بني عبد المطلب وبني هاشم».(27)

2 – بالنسبة لوقف أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وموافقته عليه السلام على ذلك :

أ – فقد أخرج الشيخان – واللفظ للبخاري – «عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر أصاب بخيبر أرضا فأتى النبي ﷺ فقال :

يا رسول الله، أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه، فكيف تأمرني به ؟

قال : إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها، فتصدق عمر : أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث في الفقراء والقربى والرقاب، وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقا غير متمول فيه».(28)

---

27) هي بنت أبي بكر، أم المومنين من أفقه الصحابة وأعلمهم وأكثرهم رواية ولدت سنة 4 من البعثة، وتوفيت بالمدينة : لـ 7 وقيل : 18 خلت من رمضان سنة 7 وقيل : 58هـ ودفنت بالبقيع.

والحديث المروي عنها أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ج 6 ص 160 مطبعة دار المعارف العثمانية ـ الهند ـ حيدر آباد الدكن، ط 1 سنة 1353هـ. من كتاب أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية ج 1 ص 98.

28) هذا الحديث قد أخرجه البخاري في صحيحه في باب الوقف وكيف يكتب، من كتب الوصايا ج 2 ص 29 بحاشية السندي، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر السنة 1372هـ / 1953م.

ـ وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحبس ج 4 ص 347 ـ 350 بشرح إكمال المعلم للإمام أبي عبد الله محمد بن خليفة الوستاني الأبي (827 أو 828) وبشرحه مكمل إكمال الإكمال للإمام أبي عبد الله محمد بن خليفة بن يوسف.. 895هـ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ط 6 السنة 1328 طبع على نفقة السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي المغربي.

ـ وأخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الوصايا في باب ما جاء في الرجل يوقف ج 3 ص 116 ـ 117 رقم الحديث 2878 وأخرجه النسائي في سننه ج 6 ص 230 ـ 231 بروايات مختلفة ومع تغيير قليل في اللفظ تحت عنوان : الأحباس كيف يكتب الحبس..

دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ـ ط 1 السنة 1348هـ، 1930 بشرح السيوطي عليه، وحاشية السندي.=

ب – ما روي عن جعفر بن محمد عن أبيه : «أن علي بن أبي طالب، قطع له عمر بن الخطاب ينبع ثم اشترى علي إلى قطيعة عمر : أشياء، فحفر فيها عينا، فبينما هم يعملون، إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتي علي وبشر بذلك، قال : بشر الوارث، ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل، القريب والبعيد، وفي السلم، وفي الحرب، ليوم تبيض وجوه، وتسود وجوه، ليصرف الله بها وجهي عن النار، ويصرف النار عن وجهي»(29) أخرجه البيهقي.

= وأخرجه الترمذي في جامعه، بشرح الإمام ابن العربي المالكي ج 6 ص 143 في باب الوقف، المطبعة المصرية بالأزهر ط 1 السنة 1350هـ / 1931م.

- وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، وبهامشه منتخب كنز العمال لعلي بن حسام الدين الشهير بالمفتي الهندي، ج 2 ص 12 المطبعة الميمنية بمصر السنة 1306هـ.

- وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب الوقف من باب الصدقات المحرمات، وباب جواز الصدقة المحرمة وإن لم تقبض ج 6 ص 58 ـ 162 والبيهقي هو الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (458هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ببلدة حيدر آباد الدكن ط 1 السنة 1344هـ وفي ذيله : الجوهر النقي، لعلي بن عثمان المادينى الشهير بابن التركمان (745هـ) تصوير دار صادر بيروت.

– وأخرجه النسائي في سننه ج 6 ص 230 ـ 231 بروايات مختلفة ومع قليل في اللفظ تحت عنوان الأحباس كيف يكتب الحبس؟

دار إحياء التراث العرب، بيروت لبنان. ط 1 السنة 1348هـ ـ 1930 (بشرح السيوطي وحاشية السندي).

– وأخرجه ابن ماجة في سننه ج 2 ص 801 دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاؤه السنة 1372هـ / 1952م.

- وأخرجه الدارقطني في سننه. والدارقطني هو شيخ الإسلام علي بن عمر (306 ـ 385هـ) تصحيح وتحقيق عبد الله هاشم يماني المدني بالمدينة المنورة الحجاز (1386هـ/1966م) وبذيله التعليق المغني على الدارقطني، لأبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي ج 4 المجلد الثاني.

ومما تجدر ملاحظة : أني عمدت إلى توثيق حديث ابن عمر هذا في مختلف مظانه الأصلية، نظرا لكون الوقف يعتمد عليه بصفة خاصة، وهذا بغض النظر عن الأحاديث الأخرى الدالة على مشروعيته.

29) «ينبع» قرية مشهورة غربي المدينة بينهما 50 فرسخا.

ج – ما روي عن أنس بن مالك (ض) أنه قال : لما قـدم رسول الله ﷺ المدينة، أمر بالمسجد، وقال : يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى».(30)

د – عن سعد بن عبادة (ض) أنه قال : يا رسول الله إن أم سعد ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال : الماء، فحفر بئرا، وقال : «هذه لأم سعد». أخرجه أبو داود والنسائي.

هـ – ما روي عـن هشام بن عروة أن الزبير جعل دوره صـدقة، قال : وللمردودة من بناته أن تسكن غير مضرة ولا مضربها، فإن استغنت بزوج، فلا شيء لها. أخرجه البيهقي واللفظ له، والبخاري، والدارمي.(31)

وفي رواية «للبغـوي في الصحابة من طـريق بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه أنه كـانت لرجل من بني غفار عين يقال لها : رومـة»، وكان يبيع منها القربة بمـد، فقال له النبي ﷺ : تبيعنيها بعين في الجنة ؟ فقـال : يارسول الله ليس لي، ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان، فـاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ، فقال : أتجعل لي مـا جعلت له ؟ فقال : نعم، قال : فقد جعلتها للمسلمين. وللنسائي من طريق الأحنف بن عثمان، قال : «اجعلها سقاية للمسلمين، وأجرها لك».

---

30) فقد وردت فيه روايتان :

1– ثامنوني حائطكم على أن فعل ثامن متعد إلى مفعولين، الأول : ياء المتكلم والثاني : حائطكم.

2 – ثامنوني بحائطكم على أن لفظ حائطكم جاء مجرور بالباء.

ومعنى ثـامنـوني حـائطكم = كما قـال الشيخ منصور علي نـاصف في كتـابـه : التـاج الجامع للأصول.. ج 2 ص 246 هامش رقم 1 ـ أي بيعوني إياه لنبنيه مسجدا لله، فقالوا : لا نكلمك في بيعه، والله لا نأخذ ثمنه إلا من اللـه تعالى. وفي رواية : أن الحائط كان ليتيمين من بني النجار، فلم يقبله النبيﷺ إلا بالثمن، فاشتراه بعشرة دنانير، ودفعها أبو بكر عن النبيﷺ.

31) الـدارمي : هـو عبـد الله بن عبـد الـرحمن بن الفضل بن بهران الـدارمي التميمي أبـو محمـد السمرقنـدي الحافظ ... أحد الأعـلام المتقنين.. مات يوم الترويـة سنة 255 وهو ابن 75 سنة، راجع الدكتور الكبيسي في كتابه السابق ج 1 ص 103 هامش 3 وكذا تاريخ بغداد ج 10 ص 29 وتهذيب التهذيب ج 5 ص 294 وخلاصة تهذيب الكمال ص : 173 وطبقات السيوطي ص 235.

ز – روي عن أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميري قال : وتصدق أبو بكر (ض) بداره بمكة على ولده، فهي إلى اليوم، وتصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بربعة عند المروة، وبالثنية على ولده فهي إلى اليوم، وتصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأرضه «ينبع» فهي إلى اليوم، وتصدق الزبير بن العوام رضي الله عنه بداره بمكة بالحرامية وداره بمصر، وأمواله بالمدينة على ولده، فذلك إلى اليوم، وتصدق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بداره بمصر على ولده، وعثمان بن عفان رضي الله عنه برومة، فهي إلى اليوم، وعمرو بن العاص رضي الله عنه، بالأحوط من الطائف، وداره بمكة على ولده، فذلك إلى اليوم، وحكيم بن حزام رضي الله عنه بداره بمكة والمدينة على ولده، فذلك إلى اليوم».(32)

ح – روي عن أنس رضي الله عنه، أنه قال : «كان أبو طلحة أكثر أنصاري بجوار المدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء (بستان من نخيل بجوار المسجد النبوي) وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون».(33)

قام أبو طلحة : إلى رسول الله ﷺ فقال : إن الله تعالى يقول في كتابه : «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون».

وإن أحب أموالي إلي «بيرحاء» وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله، حيث شئت، فقال رسول الله ﷺ : بخ(34)

32) انظر كتاب نيل الأوطار ج 6 ص 127 لقاضي القضاة محمد بن محمد الشوكاني اليمني المتوفى سنة 1255هـ دار الطباعة المنبرية ط 2 السنة 1344هـ.

33) بير حا بفتح أوله وثالثه وبضمه مقصورا وممدودا، هو بستان من نخيل بجوار المسجد الحرام وكان النبيﷺ يدخله، فيستظل بظله، ويشرب من ماء بئره الحلو اهـ التاج الجامع الأصول في أحاديث الرسول ج 2 ص 244 هامش رقم 1.

34) بخ بفتح فسكون، تفخيم لعمله، وإعجاب به، المرجع السابق أعلاه.

ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعت ما قلت فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه «أخرجه الشيخان والترمذي».

ط - روي عن أبي هريرة (ض) أن رسول الله ﷺ، قال :

«من احتبس فرسا في سبيل الله، إيمانا واحتسابا، فإن شبعه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة حسنات» أخرجه أحمد، والبخاري.

وبالنظر إلى ما سبق من نصوص شرعية، يتضح لنا أن الوقف له أصل أصيل في القرآن، وفي السنة النبوية، مما يدل دلالة واضحة على ماله من أهمية كبرى في نطاق التعاون والتكافل، وفي نطاق الضمان المجتمعي لدى المسلمين، وهذا ما يجعل الواقفين، ينالون جزاءهم الأوفى من الله سبحانه وتعالى، دنيا وأخرى.

وإذا كان المؤمنون الواقفون يدخلون في اعتبارهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وأبناء السبيل والفقراء والعاطلين عن العمل والأرامل وغيرهم من الزمنى والمعوقين، فإنهم بفعلهم هذا يكونون مؤمنين حقا، ويصدق عليهم قول الرسول ﷺ : «المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضا».

وهكذا تتكون منهم دعامة قوية، وسد منيع أمام مصائب الزمان وخطوبه، وأن أعظم شيء يفعله المسلم الغني تجاه أخيه المسلم الفقير المحتاج، أن يكفيه مئونة عيشه، ويسد رمقه، ويحول بينه وبين مخالب الفقر والخصاصة، ويجعله يتذوق طعم العيش الهنيء الرغيد.

خامسا : حكمة مشروعية الوقف :

تقدم القول في تعريف الوقف اصطلاحا : بأنه إعطاء منفعة شيء مدة وجوده إلخ...

وأن إعطاء هذه المنفعة الموقوف عليه، يكون على أساس مساعدته ومساندته، صونا لماء وجهه، وحفظا لكرامته، وذلك من أجل التقرب إلى الله عز وجل.

وإن هذا الإعطاء، هو ما يعبر عنه بالصدقة التي حث النبي ﷺ عليها في كثير من أحاديثه.

وأن من شأن الصدقة التي يراد بها الوقف أن تبقى مستمرة العطاء، بينما الصدقة التي لا يراد بها ذلك، تؤتي أكلها في حينها، ثم تنقضي، فيحتاج الفقراء، وذوو الحاجة إلى صدقات مثلها.

وبالمقارنة بين الصدقتين المذكورتين، تتضح حكمة مشروعية الوقف.

يستفاد هذا مما أورده الدهلوي(35) في كتابه : حجة الله البالغة،(36) حيث قال : «...فاستنبطه النبي ﷺ لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيرا ثم يفنى، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، وتجيء أقوام آخرون من الفقراء، فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع من أن يكون شيء حبسا للفقراء وأبناء السبيل يصرف عليهم منافعه، ويبقى أصله.

---

35) هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي (1110 ـ 1176هـ / 1699 ـ 1762م) أبوعبد العزيز الملقب شاه ولي الله، فقيه حنفي من المحدثين من أهل دلهي بالهند زار الحجاز سنة 1143 ـ 1145هـ وله عدة مؤلفات، من مؤلفاته المطبوعة :

1 ـ الفوز الكبير في أصول التفسير ألفه بالفارسية وترجم بعد وفاته إلى العربية والأردية.
2 ـ فتح الخير لما لابد من حفظه في علم التفسير.
3 ـ حجة الله البالغة، مجلدان.
4 ـ إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء.
5 ـ الإرشاد إلى الاجتهاد والتقليد.
6 ـ الإنصاف في أسباب الخلاف.
7 ـ عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد.
8 ـ المسوى من أحاديث الموطأ، مجلدان.
9 ـ شرح تراجم أبواب البخاري.
10 ـ تأويل الأحاديث.
11 ـ الخير الكثير في الحكمة.
12 ـ الاعتقاد الصحيح.
13 ـ البدور البازغة في التصوف والحكمة.
14 ـ القول الجميل في بيان سواء السبيل.

وترجم القرآن إلى الفارسية على شاكلة النظم العربي، وسمى كتابه : فتح الرحمن في ترجمة القرآن ج 1 ص 149 دار العلم للملايين، بيروت لبنان ط 7 مايو 1986.

36) ج 2 ص 116 مطبعة القاهرة.

سادسا : أهم الدوافع إلى الوقف :

وأن أهم الدوافع إلى الوقف، ترجع إلى أمور خمسة، كما أشار إلى ذلك الدكتور الكبيسي(37) حيث قال : «إن الإنسان يدفعه إلى فعل الخير : دوافع عديدة، لا تنفك في مجملها عن مقاصد الشريعة وغايتها، ومن هذه الدوافع :

1 – الدافع الديني :

من حيث يعتقد الواقف، فيكون تصرفه بهذا الشكل، نتيجة من نتائج الرغبة في الثواب أو التكفير عن الذنوب، وهو أمر يحقق قدرا من الراحة النفسية والطمأنينة في تصور الحياة الأخرى.

2 – الدافع المجتمعي :

إن هذا الدافع يكون نتيجة للشعور بالمسؤولية الإنسانية تجاه الجماعة، فيدفعه ذلك إلى أن يرصد شيئا من أمواله على هذه الجهة، أو تلك، مسهما – بذلك – في إدامة مرفق من المرافق الاجتماعية.

3 – الدافع العائلي :

وهذا الدافع هو الذي تتغلب فيه العاطفة النسبية على الرغبة والمصلحة الشخصية، فيندفع الواقف بهذا الشعور إلى أن يؤمن لعائلته وذريته موردا ثابتا، أو ضمانا لمستقبلهم، صيانة لهم عن الحاجة والعوز والفقر.

---

37) في كتابه أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية ج 1 ص 139 – 140.

وفي هذا الصدد يقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص :
«...إنك أن تدع ورثتك أغنياء، خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم...».(38)

4 – الدافع الواقعي :

وهذا الدافع هو ما ينبعث من واقع الواقف، وظروفه الخاصة، حيث يجد الإنسان نفسه في وضع غير مسؤول تجاه أحد من الناس، كأن يكون غريبا في مواطن ملكه، أو غريبا عمن يحيط به من الناس، أو أن يكون منهم إلا أنه لم يخلف عقبا، ولم يترك أحدا يخلفه في أمواله شرعا أو عرفا، فيضطره واقعه هذا إلى أن يهب أمواله في سبيل الخير بالتصدق بها في الجهات العامة.

---

38) يوجد نص الحديث بأكمله في كتاب فتح الباري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 ـ 872هـ) نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ونص الحديث بكامل سنده هو :
2742 حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : «جاء النبيﷺ يعودني، وأنا بمكة، وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها، قال : يرحم الله ابن عفراء، قلت : يا رسول الله، أوصي بمالي كله؟ قال لا قلت : فالشطر؟ قال : لا، قلت : فالثلث؟ قال : الثلث، والثلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء، خير من أن تدعهم عالة، يتكففون الناس في أيديهم، وإنك مهما أنفقت من نفقة، فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك، وعسى الله أن يرفعك، فينتفع بك ناس، ويضر بك آخرون، ولم يكن له يومئذ إلا ابنة، وفي رواية أنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس..
«سبل السلام ج 3 ص 104 ـ 105 للصنعاني، قال ابن حجر في الفتح: قال الفاكهاني شارح العمدة : إنما عبر بالورثة لأنه اطلع على أن سعدا، سيعيش، ويأتيه أولاد غير البنت المذكورة، فكان كذلك، وولد له بعد ذلك أربعة بنين، ولا أعرف أسماءهم.
وقد قيل : إن أسماءهم هي : عمر، وإبراهيم، ويحيى، وإسحاق.
وقيل : له أكثر من عشرة، وهم عبد الله، وعبد الرحمن، وعمر، وعمران، وصالح، وعثمان، وإسحاق الإصغر، وعمير مصغرا، وغيرهم.
وأن له من البنات أثنتي عشرة، وأن البنت التي ذكرها للنبيﷺ تسمى عائشة، وقيل : إن أكبر بناته : أم الحكم الكبرى، وأمها بنت شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة.. قال ابن حجر : والظاهر : أن البنت المشار إليها هي أم الحكم المذكورة لتقدم تزوج سعد بأمها.
عاش سعد بعد الحديث أزيد من 40 سنة بل قريبا من 50 سنة، لأنه مات سنة 55هـ وهو المشهور، فيكون عاش بعد حجة الوداع : 45 سنة أو 48 سنة.

5 – الدافع الغريـزي :

وهـذا الـدافع يقع حيث تـدفع الإنسان غـريـزتـه إلى التعلق بما يملك، والاعتزاز به، والحفاظ على ما تركه له آباؤه وأجداده، فيخشى على ما وصل إليـه من ذلك من إسراف ولد، أو عبث قـريب، فيعمل على التوفيق بين هـذه الغـريزة، وبين مصلحـة ذريته، لحبـس العين عن التملك والتمليك، وإباحـة المنفعة، ولا يكون ذلك إلا في معنى الوقف الإجمالي.

الآن – وبعد أن تعرفنا على تحديد الوقف، وذكر طبيعته، والآراء الفقهية في ملكيـة الموقـوف، وعلى الأصل في مشروعيتـه، والحكمـة منـه، وعلى أهم الدوافـع إليه – فإنـه يجدر بنا أن نأخـذ في معالجة دور الوقـف في الحياة الثقافيـة في (عهود) مـا قبل الدولـة العلويـة، وهو مـا سنخصص له بـابا تمهيديا فيما يلي :



باب تمهيدي حول

دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب

في عهود ما قبل الدولة العلوية

باب تمهيدي حول

دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب
في عهود ما قبل الدولة العلوية

سنتناول الكلام في هذا الباب على دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد كل من الدولة الإدريسية والزناتية والمرابطية والموحدية والمرينية والوطاسية والسعدية، وذلك بشكل موجز لنصل إلى الكلام على دوره في الحياة الثقافية لدى الدولة العلوية.

ومعالجة الكلام عن ذلك تتطلب منا تقسيم هذا الباب إلى سبعة فصول :

1 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الإدريسية.

2 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الزناتية.

3 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة المرابطية.

4 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الموحدية.

5 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة المرينية.

6 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الوطاسية.

7 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة السعدية.



الفصل الأول

في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الإدريسية



الفصل الأول

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الإدريسية

ليس من شك في أن دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الإدريسية(39) كان دورا ضيئلا إن لم نقل منعدما، خاصة، وأن هذه الدولة ركزت في بداية أمرها على الفتح الإسلامي لبلدان المغرب التي يدين بعض سكانها آنذاك بغير عقيدة الإسلام من مجوسية، ويهودية، ونصرانية.

يضاف إلى ذلك : أنها لم تكن لديها إمكانات مادية كافية لرصدها في إطار الوقف لخدمة الثقافة الإسلامية ورغم كل هذا، فقد استطاعت أن تنشىء مؤسستين دينيتين بفاس تتجليان في :

1 - **بناء جامع الأشياخ بعدوة الأندلس**، وذلك بعد بناء هذه العدوة، وإدارة السور عليها من لدن إدريس الثاني(40) وذلك في غمرة ربيع الأول عام 192هـ وإقامة الخطبة فيه... وقد كان هذا الجامع مكونا من ستة بلاطات.(41)

2 - **بناء جامع الشرفاء بعدوة القرويين** عام 193 هـ وإقامة الخطبة فيه كذلك، وذلك بعد إدارة السور على هذه العدوة،(42) وكان هذا الجامع مكونا من ثلاثة بلاطات.

---

39) مدة دولة الأدارسة تبتدئُ من سنة 172هـ وتنتهي في سنة 375هـ/985م فهي إذن تبلغ حوالي 203 سنة.

40) بويع إدريس الثاني بجامع مدينة وليلي عام 188هـ وهو ابن 11 سنة، وتوفي في جمادى الثانية عام 213هـ وعمره 36 سنة، وسبب وفاته، أنه أكل عنبا، فشرق بحبة منه، هـ من الاستقصاء ج 1 ص 156 طبعة دار الكتاب الدار البيضاء 1954.

41) انظر الاستقصاء ج 1 ص 151.

42) نفس المرجع والجزء والصحيفة أعلاه.

والجامع في الإسلام - إضافة إلى وظيفته الدينية - هو مدرسة تربوية وثقافية وعسكرية وسياسية، لكونه منتدى المسلمين الأول، حيث يتجمعون فيه لدراسة كل ما هو خليق بتماسك وطنهم بنيويا، ودعمه وتدبير شؤونه عسكريا وسياسيا، وتنميته وتوجيهه اقتصاديا وخلقيا، وتكوينه ثقافيا وعلميا.

ولم يكن إدريس الثاني ليبني كلا من عدوتي الأندلسيين والقرويين، إلا بعد أن ضاقت به وبرعيته مدينة وليلي : عاصمة المغرب منذ عهد أبيه إدريس الأول(43) وذلك بسبب تزايد المهاجرين إلى المغرب وقتئذ، سواء منهم المهاجرون إليه من القيروان أو من بلاد الأندلس.

فقد ورد في التاريخ : أنه هاجر إلى المغرب من القيروان حوالي (300) أسرة، بينما هاجر إليه من الأندلس حوالي 4000 أسرة كذلك.(44)

ومن المعلوم : أنه كان من بين المهاجرين إلى المغرب : عدد من العلماء والفقهاء، وفي طليعتهم يحيى بن يحيى الليثي : صاحب مالك، وراوي الموطأ عنه، وجالبها إلى المغرب، والذي فر من بين من فر من قرطبة إليه، عندما حكم السيف فيهم الحكم بن هشام الأموي : صاحب الأندلس، وذلك بعد اندلاع الثورة عليه فيها.

وإن العلماء المهاجرين إلى المغرب قد ساهموا بحظ وافر في نشر الثقافة الإسلامية فيه، خاصة منها ما يتعلق بالدين، وكان لهذا أثره البين في إنشاء مؤسسات دينية أخرى بفاس، ازدهرت ثقافتها بفضل الأوقاف الإسلامية، وقد انطلق إشعاعها الفكري والمعرفي في طول البلاد، وعرضها فيما بعد،

ومن أهم هذه المؤسسات، وأعظمها على الأطلاق :

---

43) نفس المرجع والجزء والصحيفة أعلاه.

44) نفس المرجع والجزء والصحيفة أعلاه أيضا.

جامع القرويين :

إن هذا الجامع، يعتبر المؤسسة الأم التي يرجع إليها معظم أوقاف فاس، حيث قام بدوره في الثقافة عموما، وفي الدينية خصوصا... وقد تبعه في أداء هذا الدور : جامع الأندلسيين.

إنشاء جامعي القرويين، والأندلس :

إن المصادر التاريخية المغربية قد تحدثت عن إنشاء هذين الجامعين، فأوضحت : أن جامع القرويين أنشيء من طرف فتاة مسلمة تدعى فاطمة الفهرية، وتكنى أم البنين، وهي من جملة من هاجر من القيروان إلى المغرب... وكان ابتداء بنائه يوم السبت فاتح رمضان عام 245هـ، وذلك في عهد الملك الخامس من ملوك الأدارسة، وهو : يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس، كما أن جامع الأندلسيين أنشيء من طرف أختها مريم الفهرية، وذلك في نفس تاريخ بناء جامع القرويين.(45)

وباستقراء المصادر والمراجع التاريخية التي وقفنا عليها، كروض القرطاس...(46) والمعجب...(47) والاستقصا...(48) وجنى زهرة الآس...(49)

---

45) انظر ما يتعلق بتأسيس الجامعين ووصفهما، وما يشتملان عليه من بلاطات وغيرها كتاب : جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، لعلي الجزنائي ص 45 وما يليها وص 92 وانظر كذلك ما يتعلق بجامع القرويين.

أ ـ جامع القرويين : المسجد والجامع بمدينة فاس، للدكتور عبد الهادي التازي ج 1 ص 46 وما بعدها طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت ط 1 السنة 1972.

ب ـ المغرب عبر التاريخ، للدكتور إبراهيم حركات، ج 1 ص 126 ـ 127 نشر دار الرشاد الحديثة بالبيضاء ط 2 السنة 1405هـ/1984م.

ج ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي بن أبي زرع الفاسي ص 54 ـ 55 دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط السنة 1973.

46) لعلي بن أبي زرع.

47) لعبد الواحد المراكشي.

48) لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري.

49) لعلي الجزنائي.

والمغرب عبر التاريخ(50) وغيرهـا لم نعثـر على واحـد منهـا نص على دور الوقف في الحياة الثقافية في العهد الإدريسي.

غير أن الـذي سجل للـدولـة الإدريسيـة أنها أنشأت جـامعي الأشيـاخ والأشراف - كما سبق - لأداء الصلـوات، ثم أصبحـا فيما بعـد، مـركـزي إشعاع فكري تدعمهـما الأوقاف بعد جامعي القرويين والأندلس.

لذا نعـود، فنؤكد على أن الـدولة الإدريسية كـان يهمها بالـدرجة الأولى تأسيس الدولة المغربية في الوقت الذي لم تكن تتوفر فيه على إمكانات مادية تكفيها لفتح المغـرب وجعله بلدا إسـلاميا، فضـلا عن أن تقف أموالا كثيرة لدعم الثقافة الإسلامية فيه...

ورغم قلة ذات يـدها من الأمـوال حينئذ، فإن الثقـافة الإسـلامية - ولا سيما منها ما يرجع إلى الفقـه والتفسير والحديث والسيرة النبوية - عرفت طريقها إلى المغرب.

فقد دخلت إليه مدونة سحنـون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد القيرواني، ورسـالته، والتهـذيب للبراذعي، والـواضـحة لابن حبيب، ومـوطأ مالك، وغيرها، وكان منها ما أنشـىء له كرسي علمي مدعم من قبل الأوقاف من أجل أداء مهمته العلمية.

وإذا كان الأمر هكذا في عهـد الدولـة الإدريسية، فهـل كان نفس الأمر في عهــد الدولـة الزنـاتـيـة ؟ والجــواب عن هذا هـو ما سنقف عليـه في الفصل التالي :

---

50) للدكتور إبراهيم حركات.

الفصل الثاني

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الزناتية

الفصل الثاني

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الزناتية

إنه بالرجوع إلى المصادر والمراجع التاريخية أعلاه، نلاحظ أنها لم تشر إلى أن الوقف كان له دور في الثقافة في عهد هذه الدولة، اللهم إلا ما سجل لها من زيادات أحدثتها في جامع القرويين باعتباره المؤسسة العتيدة التي كانت تقوم بدورها الثقافي بفضل الأوقاف.

وأن الزيادات التي أحدثها الأمير الزناتي أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي سعيد عثمان بن سعيد وغيره في عهد هذه الدولة في الجامع المذكور، لتتجلى في :

1 – زيادة أربعة أقواس غرب الجامع.

2 – زيادة خمسة أقواس شرقية.

3 – زيادة ثلاثة بلاطات أفقية في مكان صحنه القديم شمال الجامع.

4 – إحداث مئذنته الحالية، والتي ما تزال شاخصة حتى الآن مع جعل باب لها من جهة القبلة غشي بصفائح من النحاس الأصفر، وقد كتبت عليه في مربعة بالجص وغشي باللازورد.

بسم الله الرحمن الرحيم، الملك لله الواحد القهار، هذا ما أمر به أحمد ابن أبي بكر بن أحمد بن أبي سعيد عثمان بن سعيد الزناتي، هداه الله ووفقه، ابتغاء ثواب الله تعالى، وجزيل إحسانه وابتدأ العمل في هذه الصومعة في يوم الإثنين غرة رجب من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وفرغ من بنائها وتشييدها في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة (يوليوز، غشت 965م).

وكتب في طرف المربعة : «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وجعل مربعة أخـرى من جهة الصحن، كتـب فيها : «قل : يـا عبـادي الذين أسرفـوا على أنفسهم، لا تقنطـوا من رحمة الله، إن اللـه يغفر الـذنوب جميعـا، إنه هـو الغفور الرحيم». (51)

5 – **المناران : الأول والثاني :**

من المعلوم، أنه قد جعل لصومعة جامع القرويين مناران :

فقد جعل المنار الأول عند الدرجة 88 من الصومعة، وهو عبارة عن بيت صغير، أعـد لمبيت المؤذنين الذيـن يراعـون أوقـات الليل، وانصداع الفجـر، لأقامـة الأذان في وقته المعين، كما قـد جعل عند الـدرجة 100 بيت صغير، يعرف بالمنار الثاني، أو القبة العليا.

وفي هذا المنـار، نصبت أول ساعة مـائية للقرويين، وكـان ذلك فيما بعد عام 685 هـ. (52)

6 – **سيف الإمام إدريس بن إدريس :**

فقد وضع هذا السيف في أعلى الصومعة، تبركا به، وذلك بأمر من الأمير الزناتي المذكور.

7 – **وضع المنبر الأموي بـالجامع عام 388 هـ / 998 م** مكان المنبر الفاطمي، وكان ذلك بأمر من أبي مروان عبد الملك المظفر بن محمد المنصور ابن أبي عامر الأموي. (53)

---

51) جامع القرويين ج 1 ص 57، للدكتور التازي.

52) وكان الذي صنعها هو الجاي (763هـ) وذلك في 21 المحرم 763هـ بأمر من السلطان مولانا أبي سالم إبراهيم بن مولانا أبي الحسن بن مولانـا أبي سعيد بن مولانا أبي يوسف بن عبد الحق أيده الله، الدكتور التازي (جامع القرويين ج 2 ص 325).

53) انظر جامع القرويين للدكتور التازي ج1 ص 58.

8 – **جلب الماء إلى الجامع : 388 هـ / 988 م :**

فقد جلب الماء إلى الجامع في عهد أبي مروان عبد الملك المظفر(54) وقد جعل بيلة (خصة) مغشاة بالرصاص في طولها 27 شبرا حوالي 6 أمتار رتبت في قسمها الأول مقاعد ثابتة يجلس عليها المتوضئون.

أما القسم الباقي منها، فإن الماء ينساب فيه إلى ساقية افترشت برخام مشكل الألوان : الأزرق والأخضر والأحمر، يغسل فيها الحفاة – من خدم وصبيان – أرجلهم عندما يبتغون دخول المسجد.(55)

9 – **إعداد ميزاب :** قناة في مكان بجانب السقاية، تقصده السابلة للشرب، والسقي.

10 – **قبة العنزة :** كسيت بخطوط مضلعة ملتوية.

11 – **الثريا الكبرى :**

فقد زين البلاط الأوسط بثريا فخمة عظيمة تظافرت على إبداعها أيدي العمال المغاربة وركبوها، حيث الآن الثريا الكبرى في المكان الذي يسبق البلاط الذي يقع فيه المحراب الزناتي تماما على تقاطع باب الصالحين والأولياء.(56)

وقد أنفق على الزيادات الست الأولى من أخماس غنائم الروم.

وعن زيادة الزناتيين في جامع القرويين، قال صاحب الاستقصا.(57)

---

54) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 59.

55) نفس المرجع والجزء والصحيفة أعلاه.

56) انظر ما يتعلق بهذه الثريا جامع القرويين ج 1 ص80 ـ 83.

57) الجزء الأول من الاستقصا ص 160 طبعة دار الكتاب، البيضاء، السنة 1954 وانظر مزيدا من التفصيل في هذه الزيادات المنسوبة للزناتيين، سواء منها ما يتعلق بعدوتي القرويين والأندلس، أو ما يتعلق بجامعي القرويين والأندلس، وأول الخطباء فيهما، ومن نقل إليهما الخطبة بعد أن كانت في مسجدي الشرفاء والأشياخ : كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي ابن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1973.

«...وجاءت دولة زناتة من بعدها (الدولة الإدريسية) وأداروا السور على العدوتين معا : القرويين والأندلس، وزادوا في مسجديهما : زيادة كثيرة، فنقلوا الخطبة من مسجد الشرفاء إلى مسجد القرويين، ومن مسجد الأشياخ إلى مسجد الأندلس، وذلك صدر المئة الرابعة...».

وبناء على ما ذكر آنفا، فإننا لم نجد من المؤرخين من ذكر أن الزناتيين رصدوا أوقافا لخدمة الثقافة.

وإذا تبينا هذا عن الدولة الزناتية، فنتساءل عن الدولة المرابطية : أكانت على نسق الدولة الزناتية، أم تميزت عنها بتنشيط الثقافة بواسطة الأوقاف؟ والجواب عن هذا التساؤل هو ما سنبحث عنه في الفصل التالي :

الفصل الثالث

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة المرابطية



الفصل الثالث

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة المرابطية

إنه بتأمل مركز في المظان التاريخية للمغرب في عهد الدولة المرابطية، وفي نطاق الثقافة بصفة عامة، ودور الوقف في نشرها وتنميتها بصفة خاصة، نتبين أنه كانت توجد في هذا العهد، وقبيله بقليل : مراكز إشعاعية في حقلي الفكر والثقافة، دأبت على إمداد طلاب المعرفة بكثير من ألوان العطاء العلمي والمعرفي، وكانت تزود هذه المراكز من السلطة القائمة بالبلاد بأموال كثيرة متعددة المصادر، سواء من الأموال المتحصل عليها من جباية الزكوات والأعشار، أو من أخماس غنائم الحروب، أو من أموال الأوقاف... وتتمثل هذه المراكز خاصة في :

1 – مدرسة وكَّاكْ بن زلو اللمطي السوسي.

2 – مدرسة عبد الله بن ياسين أو رباطه في الصحراء.

3 – مدرسة الصابرين، أو مدرسة «بومدين» في فاس.

أما المدرسة الأولى، فقد كان المؤسس لها والساهر على سيرها المعرفي، هو الشيخ وكَاك بن زلو اللمطي : أحد العلماء الذين أخذوا العلم عن أبي عمران الفاسي بالقيروان في تونس، وبعد آن استكمل دراسته وأحاط برصيد علمي هائل عنه، انتقل إلى بلده ليؤدي رسالته العلمية هناك.

وفعلا، شرع في أداء هذه الرسالة، واستمر على ذلك إلى أن تخرج على يده كثير من الطلبة، وفي مقدمتهم عالم جليل، تألق

نجمــه فــي تاريـــخ الــمـــرابطيـن كــان هــو عبــد الله بـــن ياسيــــن : مؤسس دولتهم.

وأن الأسبـاب التي جعلتـه يـؤسس دولتهم هي مـا ذكـرهـا صـاحب الاستقصا(58) حيث نـص على : «أن يحيى بن إبــــراهيم لكَـــدالي : رئيس صنهاجة، استخلف على صنهاجـة هذه : ابنه إبراهيم بن يحيى، وارتحل إلى المشرق برسم الحج، فلما قضى حجه وزيارته، قفل إلى بلاده (كان ذلك عام 427هـ) فمر في عـوده بالقيروان فلقي بها الشيخ الفقيـه أبا عمـران الفاسي، وحضر مجلس درسه، وتأثر بوعظه، فرآه الشيخ أبو عمران محبا في الخير، فأعجبه حـاله وسألـه عن اسمه ونسبه وبلـده، فأخبره بذلك كلـه، وأعلمه بسعة بلاده، وما فيها من كثـرة الخلق، فقال له الشيخ : «وما ينتحلون من المذاهب؟» قال : «إنهم قوم غلب عليهم الجهل، وليس لهم كبير علم» فاختبره الشيخ وسأله عن فروض دينه، فلم يجده يعرف منها شيئا، إلا أنه حريص على التعلم، صحيح النية والعقيـدة، فقال له الشيـخ : «وما يمنعك من تعلم العلم؟» فقال له : «يا سيدي، عدم وجود عالم بأرضي، وليس في بلادي من يقـــرأ القـرآن، فضــــلا عن العلـم، ومع ذلك، فأهل أرضي يحبـــون الخير، ويرغبون فيه لو وجـدوا من يقرئهم القرآن، ويدرس لهم العلم ويفقههم في دينهم، ويعلمهم الكتاب والسنـة وشرائع الإسلام، فلـو رغبت في الثواب من اللـه تعـالى، لبعثت معي بعض طلبتك يقـرئهم القـرآن، ويفقههم في الـدين، فينتفعون بـه، ويكون لك ولـه الأجر العظيم عنـد الله تعـالى، إذ كنت سبب هدايتهم».

فندب الشيــــخ : أبو عمـــران تلامذتـه إلى ذلـــك، فاستصعبـوا دخـول أرض الصحـراء، وأشفقــوا منهـا، فقـال الشيـــخ أبو عـــمران ليحـيى بن إبراهيم.

---

58) ج 2 ص 5 ـ 7.

«إني أعرف ببلد نفيس(59) من أرض المصامدة : فقيها حاذقا ورعا، أخذ عني علما كثـيرا – واسمه واجـاج بن زلـو اللمـطي من أهل السـوس الأقصى – أكتب إليه كتابا لينظر في تلامذته من يبعثه معك، فسر إليه، لعلك تجد حاجتك عنده».

ومـا كان من يحـيى بن إبراهيـم لكَـدالي إلا أن ذهـب عنـد الشيخ واجاج ابن زلو اللمـطي في رجـب عام 430هـ محـملا بكتاب من الشيخ أبي عمـران الفاسي في هـذا السبيـل، فنظـر فيـه، ثم جمـع تلامذتـه، فقـرأ عليهـم الكتـاب وندبهم لما أمر به الشيخ أبـو عمران الفاسي، فانتـدب لذلك رجـل منهـم، يقـال لـه عـبد اللـه بن ياسيـن الجـزولي، فخـرج مع يحيـى بـن إبراهيـم لكَـدالي إلى الصحـراء(60) حيـث أسس بعـد، هنـاك رباطا.

---

59) هي بلـد قرب أغمات، وأغمات إحـدى جماعات دائرة آيت أوريـر، إقليم مراكش، وكـانت مدينـة أغمات منذ القرون الأولى بـابا لمداخل الصحراء انحدر إليهـا رجالات العلم والصلاح من شمال المغرب ومن الأندلس وباقي أقطار المغرب العربي وصحرائه الواسعة...

وقد كـان عبـد اللـه بـن المولى إدريس الأزهـر بـن المولى إدريس الأكبر أميرا لأغمات ونفيس والمصامدة ولمطة وسوس منذ القرن الثالث الهجري هـ من الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضاريـة، تأليف الأستاذ عبـد العزيز بن عبـد الله ج 4 ص 84 ضلع أول، مطبعة فضـالة المحمدية المغرب لعام 1401هـ/1981م.

وأما نفيس، فقد ذكرها البكـري في كتابه : المسالك والممالك ج 1 ص 60 طبع الجزائر، فانظر ما قاله عنها هناك.

كما ورد ذكرها في هامش 66 من كتاب جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، لعلي الجزنائي ص 27 بأنها اسم نهر ينبع من كدية تيشكا (وتيـزي تيشكا) بجبال الأطلس الكبير جنوبي مراكش ينحـدر شمالا إلى أن يصب في وادي نسيفة (تنسيفت) فـوق زاوية الشرادي تـاركا مـراكش إلى شرقه، وعلى ضفـاف هذا النهر توجـد بلاد نفيس التي تسكنها قبـائل بربرية شـديدة البأس، ومدينـة نفيس التي يشير إليها المؤلف، ذكـرها صاحب (الاستبصـار) وقال عنها : إنها مـدينة قديمة أزلية غزاهـا عقبة بن نافع سنة 62 وحاصرها، وفيها الروم والنصـارى البربر، فافتتحها وأصاب المسلمـون فيها أموالا كثيرة ومغـانم، وبنى فيها عقبـة مسجدا بقي معروفـا إلى زمان مؤلف الاستبصار، وهو نهاية القرن السادس الهجري.

60) انظر ج 2 من الاستقصا ص 7.

وأما المدرسة الثانية، أو الرباط، فقد أسسها عبد الله بن ياسين حينما اعتزل قبائل كَدالة ولمتونة عندما أعرضت عما أمرها به من تعاليم الإسلام وما نهاها عنه من ارتكاب المنكر... وكان تأسيسه ذلك عام 430هـ.

وقد سبق القول بأن الذي جاء به من نفيس، هو يحيى بن إبراهيم لكَدالي، خلافا لما ذهب إليه البكري في المسالك والممالك : من أن الذي جاء به من القيروان مباشرة، هو فقيه لمتوني، يدعى الجوهر بن سكن. ومهما يكن من أمر، فإن ابن ياسين كان يغدق على طلبة العلم، وعلى العلماء من خمس الغنائم التي يغنمها من المعارك التي يخوضها ضد القبائل غير المؤمنة، والتي أبلى في مواجهتها البلاء الحسن، إلى جانب الزكوات والأعشار التي يرسلها إليهم، إعانة لهم على تلقي العلوم.

وإلى كون طلاب العلم وشيوخه يستفيدون من هذه الموارد، هو ما أشار إليه صاحب الاستقصا، وذلك في معرض كلامه على محاربة عبد الله بن ياسين كلا من قبائل كَدالة، ولمتونة ومسوفة، بقوله :

«... ثم جمع أسلاب القتلى في تلك المغازي، وجعلها فيئا للمرابطين، وبعث بمال دثر (عظيم) مما اجتمع لديه من الزكوات والأعشار وأخماس الغنائم إلى طلبة العلم ببلاد المصامدة، فاشتهر أمره في جميع بلاد الصحراء وما والاها من بلاد السودان، وبلاد القبلة، وبلاد المصامدة، وسائر أقطار المغرب.(61)

وأنه باستقرائنا كتب التاريخ المغربية، والبحث في مضامينها، لم نكد نجد مؤلفا من مؤلفيها – حسب ما وقفنا عليه – نص على أن الأوقاف كانت

61) انظر نفس ج من المرجع أعلاه ص 9 ـ 10 وانظر أيضا في هذا الصدد كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وملوك فاس، لعلي بن أبي زرع الفاسي ص 128.

موردا لمركز تعليمي، ولا سيما في مطلع دولة المرابطين العتيدة، اللهم، إلا ما كان في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، فإنه لما أريد توسيع جامع القرويين، أستأذنه القاضي أبو عبد الله محمد بن داود، وذلك في مطلع سنة 528هـ / 1134م بعد اجتماع عقده العلماء والأشياخ في شأن توسعة جامع القرويين للمرة الثانية، وضرورة الزيادة فيه مع القيام بالإصلاحات الضرورية التي تقتضيها الحال، فما كان من الخليفة إلا أن اقترح على قاضي القضاة أن يتم الإنفاق من بيت المال على هذه الزيادات، لكن القاضي ابن داود، قدم عرضا مفصلا لما تتوفر عليه القرويين من ذخائر وأموال، تتمثل في هذا العدد العديد من أنواع العقار الذي تملكه داخل المدينة وفي ضواحيها، وأخبره بأن ما يجتمع الآن من أوقافها في أيدي النظار، ووكلاء النظار، من شأنه أن يكفي وحده لتسديد كل المباني، فاقتصر عون الخليفة على تزويد القاضي بصالح الدعاء.

وقد قام القاضي بعدئذ بعملية جرد وإحصاء لكل ما تملكه القرويين، ولكثرته ووفرته، وجد عدد من الأعوان من ضموا عددا من الأملاك إلى أموالهم، فكانت مناسبة لتغييرات شاملة في موظفي الأوقاف، ومتابعات دقيقة للذين كانوا يتساهلون في أموال القرويين، ولقد اجتمع للجامع من المحاسبات الجارية ما يزيد على ثمانين ألف دينار، أي ما يفوق سبعة وثمانين مليونا من الفرنكات القديمة، علما أن الدينار المرابطي كان يتراوح بين 3,453 غرام و3,866 غرام، وقد قدر بمبلغ ألف فرنك وثلاثة وتسعين سنتيما (10,93) في بداية القرن العشرين، فيكون المتحصل بالضبط، هو : 87.440.000.(62)

---

62) انظر جامع القرويين، للدكتور عبد الهادي التازي ج 1 ص 66 وهامش 190 ص 148 مع تصرف وكذا جنى زهرة الآس، لعلي الجزنائي ص 55 ـ 56 المطبعة الملكية الرباط 1387 هـ / 1967م.

وتتمثل هذه الـزيادات المرابطية في ثلاثـة أساكيب : (بلاطات) من إحدى وعشرين قوسا، وأن الجهة التي نالها القسـط الأوفر من الزيادات هي جهة الجنوب.(63)

وعلاوة على هذه الزيادات، فقـد أنفق من أموال الأوقاف المستخرجة من النظار : ثـلاثة آلاف وثمان مائة دينار، وسبعـة أعشار دينار فضـة أي ما يفوق أربعـة ملايين من الفرنكـات القديمة على صنع منبر جـامع القرويين الذي عوض المنبر الأمـوي الذي كان بدلا للمنبر الفاطمي، وقـد كان هذا في شعبان من عام 538هـ / 1144م.

وأن صنع هذا المنبر كـان في عهد علي بن يوسف بن تـاشفين، حيث أمر بصنعه قـاضي القضاة أبا محمد عبـد الحق بن معيشة الغرنـاطي الكناني، لكن لم يتم في أيامـه، بل تم في أيام القاضي أبي مروان عبـد الملك بن بيضاء القيسي (538هـ / 1144م) وقد كان الـذي تطوع بصنعه ونجره عـلامة فاس وأديبها : الشيخ أبو يحيى العتاد.

وأما المدرسة الثالثة، وهي مدرسة الصابرين : فقد أسسها يوسف بن تاشفين بعد دخوله مدينة فاس حوالي سنة 462هـ / 1096م، وقد ظلت هذه المدرسـة تقـوم بمهمتـها في إيـواء طلبـة العلـم، وتثقيفهـم طـوال أيـام المرابطـيـن، فلما أفـل نجـم هذه الـدولـة، واحتـل الموحـدون المدينة (540هـ / 1145م) كـان طلبة المدرسـة ممن بـادر إلى مقـاومة الموحـدين، واستمروا معتصمين يقاومون ويصابـرون، ولكنهم في نهاية الأمر، أصبحوا فريسة بين مخالب خصومهم، فقتلـوا بأجمعهم، وهكذا سميت هذه المدرسة : مدرسة الصابرين، وأن أطلالها مـا تـزال ماثلة إلى الآن، قريـبا من المنطقة التي كانـت تعرف في القديم بـاسم (حومة الكغاطين) وأن الوصايـا الوقفية

---

63) انظر كتاب جامع القرويين ج 1 ص 75 ـ 76 وكذا جنى زهرة الآس ص 55 ـ 56.

القديمة، لتدل دلالة واضحة على أنها كانت ملاذا للواردين عليها من سائر الجهات للالتزام بها على نفقة الأحباس، ولا شك أن لمدرسة الصابرين نظائر هنا وهناك، مما اختفى أثره، وذهبت معالمه.(64)

وإذا كنا قد تعرفنا - مما سبق - على ما للوقف من دور فعال في تنمية الثقافة ونشرها في المغرب الأقصى فإن له نفس الدور في البلاد المشرقية، ومن بينها : مصر، ولا سيما عاصمتها القاهرة التي ازدهرت فيها العلوم وتنوعت فيها مظاهر الحضارات القديمة، يدل على ذلك : ما أشار إليه العلامة المؤرخ المغربي عبد الرحمن بن خلدون، حيث قال :

«... ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة ومن بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت، ومن جملتها : تعليم العلم، وأكد ذلك فيها، وحفظه : ما وقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الأتراك من أيام صلاح الدين بن أيوب، وهلم جرا، وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفون من ذريتهم، لما له عليهم من الرق والولاء، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط، وأوقفوا عليها الأوقاف المغلة، يجعلون فيها شركاء لولدهم بنظر عليها، أو نصيب منها مع ما فيهم غالبا من الجنوح إلى الخير، والتماس الأجور في المقاصد والأفعال، فكثرت الأوقاف لذلك، وعظمت الغلات

---

64) جامع القرويين ج 1 ص 122 وص 144 مع هامش 190 ص 123 وقد ذكر الأستاذ التازي «أن من جملة الوصايا التي وقفت عليها بهذا الصدد : وصية الشيخ أبي زيد خنوسة، وأمه فاطمة بنت أبي الفضل الزرهوني بجنان الزيتون بعد انقراض عقبهما على هذا المكان ليشترى من الجنان الطعام للواردين على الجامع الملتزمين به من الفقراء والمرابطين بعد ما ينفق في خدمة ذلك ما يستدام به الوقف المذكور».

وانظر كذلك ما ساقه الأستاذ عبد الله العمراني عن المراكز الثقافية في عهد المرابطين : مجلة البحث العلمي، العددان 11 ـ 12 شوال/جمادى الأولى 1387 / ماي ودجنبر 1967 ص 163.

والفوائد، وكثر طالب العلم، ونفقت بها أسواق العلوم، وزخرت بحارها، والله يخلق ما يشاء». (65)

وبعد، فهذا ما أمكننا الوصول إليه بعد البحث الجاد، والتنقيب المضني عن دور الوقف في الحياة الثقافية في العهد المرابطي، بيد أنه يمكن أن يكشف البحث المستقبلي عن مدارس أخرى، وربط وزوايا في هذا العهد قام الوقف فيها بدور فعال في سيرها وتنمية ثقافتها، وهذا ما يجعلنا نسدل الستار على البحث في هذه الفترة لننتقل إلى دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الموحدية، وهو ما سنحاول إلقاء أضواء عليه في الفصل التالي :

---

65) مقدمة ابن خلدون ص 434 وما بعدها دار القلم بيروت ـ لبنان ـــ الطبعة الأولى 1978 ونجد نفس النص أعلاه أيضا في الطبعة البهية المصرية ص 305.

الفصل الرابع

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الموحدية

الفصل الرابع

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الموحدية :

ليس من شك في أنه كان للوقف أثر بارز في تنمية الحركة الثقافية بالمغرب في عهد الموحدين، وقد ازدادت هذه التنمية الثقافية في عهدهم أكثر مما كانت عليه في عهد المرابطين بحكم تواصل علماء الأندلس بعلماء المغرب، وعلماء المغرب بعلماء الأندلس، ولا سيما في عهد يوسف بن عبد المومن، وولده يعقوب المنصور.

ومن بين أولئك الأعلام الوافدين على المغرب من الأندلس : الإمام أبو بكر محمد بن طفيل وأبو الوليد ابن رشد وغيرهما من قمم المعرفة آنذاك، كما أورد ذلك عبد الواحد المراكشي في كتابه «المعجب».(66)

وقد أذكى تواصل الأندلسيين بالمغاربة وتلاحمهم معهم : زند الثقافة في شتى مجالاتها، مما شجع الطلاب على النهل من معين العلوم، وزادهم تشجيعا وتعلقا بالعلم : ما يسر لهم من أوقاف، وما أنشىء لهم من خزانات شحنت بنفائس الكتب، وما أسس لهم من مدارس علمية تساعد غالبا من مستفاد الأوقاف.

وإذا كانت الخزانات الموقوفة والمؤسسات التعليمية مدعاة لنهضة علمية شاملة، فمن الأجدر بنا أن نعطي نظرة عنها في إطار

---

66) ص 353 طبعة دار الكتاب ط 7 السنة 1978 ضبط وتصحيح وتعليق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي.

مبحثين اثنين : الأول في الخزانات الموقوفة، والثاني في المؤسسات التعليمية.

المبحث الأول
الخزانات العلمية الموقوفة في عهد الموحدين

ذكر الدكتور أحمد شوقي بنبين : أن أقدم الخزانات الموقوفة على طلاب العلم : خزانة الشيخ أبي الحسن الشاري الغافقي (571 - 649هـ) وقفها بالمدرسة التي ابتناها بماله، وهي أول خزانة وقفت بالمغرب على أهل العلم - نفعه الله بها».(67)

وهذا ما صرح به فضيلة الأستاذ محمد المنوني في كتابه : «سالف المكتبة المغربية» تحت عنوان : «أول مكتبة عامة بالمغرب، وهذا نصه :

«يقولون : إن ابتداء تأسيس المكاتب العامة بالمغرب كان في أواخر العهد الموحدي، وان الذي أسس أول مكتبة عمومية بالمغرب، هو أبو الحسن الشاري المولود والمتوفى في 579 - 649، فإنه أوقف بسبتة خزانة مدرسته الشهيرة، وهي أول خزانة وقفت بالمغرب على أهل العلم، كما يقول ذلك محمد بن القاسم في كتابه : اختصار الأخبار.

«وإنا مع احتفاظنا بهذا النص، نستبعد أن يتأخر تأسيس المكاتب العامة بالمغرب إلى هذا العهد الأخير من الدولة الموحدية من غير أن يكون على الأقل في أولها، ومن غير أن يكون لعبد المومن، أو أبنائه أثر في هذا الميدان، لما علم من اهتمامهم بهذا الشأن، واشتهر من ابتنائهم (بيت الطلبة) وتأسيسهم الكثير من المدارس بالمغرب وغير المغرب، وكل هذه المؤسسات لا تستغني عن كتب ومكاتب تكون بجانبها مباحة للعموم، فالظاهر : أن ابتداء تأسيس

67) نقل هذا عن كتاب اختصار الأخبار، للأنصاري ص 145... انظر ذلك في فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلة 63 ج 3 ص 413 - 414 / دار الفكر للطباعة بدمشق 1408هـ / 1988م للدكتور أحمد شوقي بنبين.

المكاتب العامة بالمغرب، كان قبل هذا العهد أوائل العصر الموحدي على الأقل، وأنه أسست إذ ذاك مكاتب عامة أهملها التاريخ فيما أهمل، فقاتل الله الإهمال».

هذا ما أثبتته أولا مع بعض حذف يسير، ثم وقع إلي قسم كبير من كتاب : (المسالك والممالك) لابن فضل العمري، فاكتشفت به خزانة عامة أسسها يعقوب المنصور بمراكش، قبل أن يؤسس الشاري المكتبة العامة بسبتة...».(68)

وبتأمل النص الأخير للأستاذ المنوني، نتبين : أن أول خزانة أو مكتبة موقوفة في المغرب ليست خزانة الشاري، وإنما هنالك خزانات أخرى كانت قبله ليعقوب المنصور الموحدي، مثل ما كانت أيضا لأبيه يوسف بن عبد المومن الذي كانت له خزانة هامة في مراكش تعتبر – بحق – أم الخزانات في العالم الإسلامي بكامله، وقد كانت هذه الخزانة تشبه بخزانة الحكم المستنصر بقرطبة في القرن الرابع الهجري.

ويروي المقري في نفح الطيب : «أن عدد الكتب العلمية وحدها قد بلغ مائتي ألف كتاب».

ويقول صاحب المعجب «ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة، وأمر بجمع كتبها، فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي.(69)

وإن ما سبق أن ذكره الدكتور أحمد شوقي أعلاه، نقلا عن كتاب اختصار الأخبار : من كون أول خزانة علمية موقوفة، هي خزانة الشاري، قد استدركه في مقال له بجريدة العلم في العدد الخاص عن إقليم مراكش،

68) حضارة الموحدين، للأستاذ محمد المنوني ص 114 ـ 185 دار توبقال للنشر الطبعة الأولى 1989.

69) انظر ما قاله الدكتور أحمد شوقي بنبين في جريدة العلم في العدد الخاص عن إقليم مراكش نونبر ودجنبر 1990 تحت عنوان « الكتب والمكتبات في مراكش على عهد المرابطين والموحدين»في الضلع الثاني من ص 16.

نونبر دسمبر 1990 حيث قال : والمرجح : أن هذا الصنف من الخزانات كان موجودا بمـراكش قبل عهد الشاري - ثم قال - ويعتقـد الأستاذ المنوني : أن الخزانة التي بناها يعقوب المنصور في مـراكش كانت لها صبغة عمومية، وقـد تحدث عنها العمـري في المسـالك والممالك والحسن الـوزان الغرنـاطي الفاسي المعروف بليون الإفريقي في كتابه : وصف إفريقيا، يقول هذا الأخير بعد مضي أربعـة قرون على بناء المنصور للمـدرسة وخزانتهـا في القصبة : «والقصر الذي كـانت فيه خزانة الكتـب، استعمل جناح منه للدجـاج، وآخر للحمام، وأصبحت الخزانـة التي كـانت تـوضع فيها الكتب أقفـاصـا لهذه الطيور».(70)

ومما تجـدر ملاحظته في هذا الصـدد : كون الخزانات العامة الموقوفة بـالمغرب والتي وقعـت من مستـوى النهضـة الثقـافية فيـه، إنها لم تكن مقتصرة على خـزانة أبي الحسن الشـاري بسبتـة وحـدها، ولا على خـزانة أبي يعقوب يـوسف بن عبد المومن الموحـدي، بل كانـت في عهـد الموحدين بالمغرب خزانـات أخرى، كما صرح بذلك الأنصاري في حديثـه عن خزائن الكتب بمدينة سبتـة، حيث قال عنها : وكان منهـا في زماننا (القـرن الثامن الهجري) سبع عـشرة خزانـة، تسع بدور الفقهاء والصـدور، كبني القاضي الحضرمي، وبني أبي حجـة، وأشبـاههم، وثـمان موقوفـة على طـلاب العلم...(71)

إضافة إلى ذلك : أنه توجد مكتبات خاصة بمراكش وفاس، استفاد منها الطـلاب والعلماء، ويسرت الاغتراف من معين المعـرفة لمريـديها، ومن هـذه المكتبات :

---

70) انظر جريدة العلم العدد الخاص بإقليم مراكش أعلاه الضلع الرابع من ص 16.

71) انظر ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية، للدكتور أحمد شوقي بنبين فصلة من مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد 63 ج 3 ص 413 دار الفكر للطباعة بدمشق 1408هـ / 1988م.

1 – مكتبة ابن الطراوة بمراكش 659 :

وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد السبتي المراكشي المعروف بابن الطراوة، فقد كان مهتما باقتناء الأصول التي بخطوط أكابر الشيوخ، أو عنوا بضبطه، وجمع منها جملة وافرة، شديد المحافظة على كتبه، مثابرا على الاعتناء بتصحيحها، نسابة لخطوط المشايخ...(72)

2 – مكتبة ابن أبي الصَّقْر بمراكش 502 – 569 :

وهي من إنشاء الحافظ المكثر أبي العباس

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الخزرجي الغرناطي نزيل مراكش يعرف بابن الصقر، وكانت مكتبته عظيمة، طافحة بالذخائر والنفائس، يقول عنها في الديباج ص : 49 – 50 : إنه اقتنى من الكتب جملة وافرة سوى ما نسخ بخطه الرائق، وكان معه عند توجهه لمراكش خمسة أحمال كتب، وجمع منها بمراكش شيئا عظيما، ولقد نكب فيها بضروب من المحن، كالغرق والنهب، خلال فتنة كانت وقعت أيام مقامه بغرناطة، وكذلك نهبت كتبه بمراكش حين دخلها عبد المومن.(73)

3 – مكتبة ابن غلندة بمراكش 581 :

من جمع الطيب الأديب أبي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن غلندة الأموي مولاهم السرقسطي مستوطن مراكش، وكان بهذه المكتبة كتب كثيرة...(74)

---

72) حضارة الموحدين، للأستاذ محمد المنوني ص 188 دار توبقال للنشر الطبعة الأولى 1989.

73) نفس المرجع والصحيفة أعلاه.

74) نفس المرجع والصحيفة أعلاه.

4 – مكتبة القيسي بمراكش 653 :

جمعها المحدث الراوية : أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي الرندي نزيل مراكش ودفينها، وكان جماعا للكتب، وفوائد الشيوخ، نسابة لخطوط العلماء...(75)

5 – مكتبة عبد الرحمن ابن الملجوم بفاس 524 – 604 :

وصاحبها عبد الرحمن بن عيسى الأزدي الزهراني المعروف بابن الملجوم الفاسي كونها من مكتبة والده عيسى الذي كان جماعة للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة، ومن مكتبة أستاذه أبي عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي الجياني، ومما أضاف بهذه وتلك، حيث صارت مكتبة حافلة بالنفائس والذخائر، التكملة 1674، 1930 الجذوة 267 – 281 – 262.(76)

6 – مكتبة عبد الرحمن ابن الملجوم بفاس 535 – 605 :

أسسها الشيخ عبد الرحمن بن يوسف ابن الملجوم من قرابة السابق، وجمع لها من الكتب والدواوين شيئا عظيما، حتى صارت أكبر مكتبة بالمغرب لذلك العهد، يقول عنها في التكملة 1952 والجذوة 253 : وكانت له (عبد الرحمن) خزانة دفاتر جليلة الشأن، لم يكن لأحد من أهل عصره مثلها.(77)

تلكم كانت بعض الخزانات التي تفتح للعلماء والطلاب والكتاب والخواص ما عدا من لم يكن معروفا من عامة الناس.

فبعض هذه المكتبات، وأمثالها، كانت توقف الكتب عليها على أساس الاستفادة منها، حيث كان لها دور فعال في نشر الثقافة، وتنميتها.

---

75) نفس المرجع والصحيفة أيضا.

76) نفس المرجع والصحيفة 178.

77) نفس المرجع والصحيفة أعلاه.

ومما هو معلوم، أن المغاربة كانوا يتنافسون في وقف الكتب على الخزانات، ولا سيما منها المصاحف والكتب الدينية، رجاء الثواب من الله تعالى، كما كانوا يشجعون العلم وأهله.

وان الخزانات المغربية ما تزال إلى الآن تحتفظ ببعض أجزاء المصحف وكتب أخرى، مثل التمهيد لابن عبد البر والإنجاد في أبواب الجهاد لابن أصبغ التي وقفها الخليفة الموحدي عمر المرتضى في أواسط القرن السابع الهجري.(78)

وإذا كانت الخزانات تفيد في نشر الثقافة وتنميتها، فإن هنالك مؤسسات تعليمية تفيد في هذا المجال وهذا ما نشير إليه بإيجاز في المبحث التالي :

المبحث الثاني

المؤسسات التعليمية في عهد الموحدين

إذا اتضح لنا مدى ما للخزانات الموقوفة من نشر للثقافة، فإن هنالك مؤسسات تعليمية قامت بمثل ما قامت به، وتتمثل هذه المؤسسات بصفة عامة في المساجد باعتبارها المراكز الأولى في الإشعاع الثقافي منذ العصور الأولى في الإسلام، كما تتمثل بصفة خاصة في المدارس.

أما بالنسبة للمساجد، أو الجوامع التي أدت هذه الرسالة في العهد الموحدي، فمن بينها :

1 - **الجامع الأعظم بسلا :** فقد كانت تعقد فيه حلقات تعليمية تعنى بدراسة العلوم الإسلامية، وكان الذي أمر ببناء هذا الجامع هو يعقوب

78) انظر مقالا عن الكتب والمكتبات في مراكش على عهدي المرابطين والموحدين بجريدة العلم نونبر - دجنبر 1990، للدكتور أحمد شوقي بنبين.

المنصور الموحدي، مثلما أمر ببناء مدرسة جوفية بقربه حتى يتأتى السكن فيها لطلبة العلم على اختلاف مشاربهم.

وقد ورد ذكر هـذا المسجد من ضمن ما ذكره الأستاذ المرحـوم العلامة عبد الله كَنون، حيث أوضح(79) أن المنصور «بنى عدة مساجد، ومدارس في كل من افـريقية والأنـدلس والمغـرب، ومنها المسجـد الأعظم بمـدينة سـلا ومدرستـه الباقيـة إلى الآن شاهـدة بأن هذا المسجـد يضاهـي القرويين في الضخامـة والجفوة، كـان من معاهـد العلم المقصودة حتى احتيـج إلى بناء مدرسة حوله.

ويعد بناء المدارس في هـذا العهد من مظاهر التقـدم العلمي، وقد أصبح تقليدا متبعا حتى من أفراد الشعب.

وإذا كان هذا الجامع معقـلا من معاقل العلوم في العهد الموحـدي، فإنه يوجد جامع آخر مواز لـه في الجنوب على جانب من الأهمية في نشر العلوم، ألا وهو جامع المنصور بالقصبة في مراكش.

2 – **جامع المنصور بمراكش** : إن الذي أمر ببنائه هو يعقوب المنصور الموحدي، وكـان ذلك قبل جوازه إلى الأندلس بقصد الجهـاد قبيل سنة 593. كما أمر ببناء القصبة بمراكش أيضا، والقصور.

ومن المعلوم، أن هذا الجامع كان مركز إشعاع علمي، مثلما هو الشأن في المراكز الإشعاعيـة الأخرى، وقد أنشئت في هذين الجامعين خـزانتان شحنتا بعدة كتب علمية، ولا سيما منها العلوم الدينية إلى جانب المصاحف القرآنية، وكل ذلك على وجه الوقف، قصد تيسير الثقافـة لطالبيها، ورجاء الثواب من الله تعالى.

79) في كتابه النبوغ المغربي في الأدب العربي ج 1 ص 138.

وقد كان العلماء والطلبة يقابلون بمزيد من العطاء من لدن خلفاء هذه الدولة وغيرهم من عامة الناس، وذلك تشجيعا لهم، على الاستمرار في طلب المعرفة، يدل على هذا ما أشار إليه صاحب الاستقصا(80) بقوله : «وبنى - المنصور - المساجد والمدارس في بلاد افريقية والمغرب والأندلس، وبنى المارستانات للمرضى والمجانين، وأجرى عليهم الإنفاق في جميع أعماله، وأجرى المرتبات على الفقهاء وطلبة العلم، وكل على قدر مرتبته.

وأما بالنسبة للمدارس : فقد بنى ثلاث مدارس بمراكش، اثنتان عامتان، وثالثة خاصة بأبنائه وأبناء أسرته، ويشير الأستاذ محمد المنوني إلى أن التاريخ أهمل هذه المدارس فيما أهمل، إلا أنه حافظت على ملامحها وثائق ونصوص دفينة(81) وقال عن هذه المدارس :

«وكما تبينا، فهي ثلاثة : اثنتان منها بالقصبة الموحدية، أو المدينة المنشية، وهي التي شادها يعقوب المنصور جنوب مراكش العتيقة، أما الثالثة، فكانت بمراكش القديمة.

1 - **ويعود الفضل في الحفاظ على خبر المدرسة الأولى** : إلى العمري، فيذكر عند مادة مراكش من مسالك الأبصار : الرحبة الكبرى أمام باب الرياض، الباب الثالث للقصبة، ويعقب قائلا : «وفي هذه الرحبة : المدرسة وهي مكان جليل به خزائن الكتب».

والغالب أن هذه المؤسسة هي التي يوضح الوزان الفاسي معالمها، وهو يصف قصور مراكش الجديدة فيأتي - خلال ذلك - بهذه الارتسامة : «ويوجد - أيضا - بعيدا من هناك قصر جميل آخر، كان يستعمل مدرسة

80) هو أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ج 2 ص : 192.

81) انظر كتابه حضارة الموحدين ص 203 دار توبقال للنشر الطبعة الأولى 1989.

لأبناء الملك وأبناء أسرتـه، ترك فيه قاعة مربعـة في غاية الحسن، يحيط بها ممـر مع نوافـذ رائعـة ذات زجـاج ملـون وحـول القاعـة : خـزانـات كثـيرة.

2 - **وإلى هذه المدرسة الخاصة :** كان في قصبة مراكش مدرسة عامة، وكانت أولى إشارة لها سجلت في فقرة قصيرة يحتفظ بها مخطوط من نفس العصر، وجـاءت صياغتهـا كالتـالي : «حبس على المدرسـة بقصبة مـراكش حرسها الله» وقد رسمت هـذه الوقفية - بخط عتيق - أول كتاب «الانجاد في أبواب الجهاد...» لابن أصبغ الأزدي، في نسخة كتبت برسم إدريس الواثق آخر الحكـام الموحدين، ثم صارت إلى مكتبـة ابن يوسف، حيث تحتفظ بها تحت رقم 216.

«ولتأكيد استمـرار هذه المدرسـة إلى أواسط القرن 8 هـ / 14م : تأتي وقفية العـاهل المريني أبي عنـان لكتاب «مشـارق الأنوار» للقـاضي عياض، وهـو في نفس المكتبـة رقم 284 / 1 فيبتدىء البـاقي من الوثيقة العنـانية هكذا»... الكائنة بالمدرسة التي بجوف (أي شمال) جامع المنصور بمراكش.

على أن الوزان الفاسي، يفيد بقاء المدرسة إلى عصره : عند القرن 10 هـ / 16م، ويضيف وصفهـا كالآتي وفي القصبـة - أيضـا - مدرسـة في غايـة الحسن، أو على الأصح مؤسسة معدة للدراسة، وسكنى في الطبقة الأرضية كانت تعطى فيها الدروس لمختلف الطلبة، تحتوي على ثلاثين حجرة، وقاعة في الطبقة الأرضيـة كانت تعطى فيهـا الدروس فيما سبق، وكـان كل طالب مقبـول في هـذه المدرسة، ينفـق عليه، ويكسى مـرة في السنـة، ويتقـاضى الأساتذة مـرتبا، قدره : مائة أو مئتا مثقال، حسب نـوع الدروس المطوقين بإلقائها، ولم يكن يقبل في هذه المدرسـة إلا من كان يعرف مبادىء العلوم، معرفة تامة.

وهكذا يصف الوزان الفاسي، الوضع الدراسي في هذه المؤسسة إبان ازدهارها، ويقدمها كمدرسة عليا، ولا ينخرط فيها إلا الطلبة الحاصلون على درجة تامة في معرفة مبادىء العلوم...».(82)

هذا وقد استنتج الأستاذ المنوني : أن المرينيين لم يبتكروا تصميم مدارسهم، وإنما قلدوا الموحدين مع زيادة إضافية.

3 – **قال الأستاذ المنوني :** ونصل – الآن – إلى ثالثة المدارس بمراكش الموحدية، وهي التي كانت بالمدينة القديمة والمصدر الذي حافظ عليها هو وثيقة مكتوبة على السفر الرابع من كتاب «التمهيد» لابن عبد البر من مخطوطات مكتبة ابن يوسف رقم 460 حيث تتضمن وقف السفر المشار له من جهة العاهل الموحدي عمر المرتضى أواسط القرن 7هـ/13م، وجاء في الوثيقة : أن العاهل المنوه به حبس السفر الرابع من كتاب التمهيد على من يقرأ فيه من المسلمين – وفرهم الله تعالى – بمدرسة العلم بالجامع المرتضى – شرفه الله تعالى – من حضرة مراكش ثم تؤرخ الوثيقة في غرة شعبان عام ثمانية وخمسين وستمائة / 1260.

ونفس الوثيقة، أعيدت كتابتها بأول السفر الثامن من كتاب التمهيد، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 927 على خروق في عدد من كلمات الوثيقة.(83)

---

82) انظر المرجع أعلاه، حيث يذكر الوزان الوصف المادي لهذه المدرسة، وعدد الطلبة فيها قديما، وعددهم في عهده ص 204 ـ 205. وانظر أيضا في الجزء الأول من كتاب وصف افريقيا ص 131.

83) انظر تعقيب الأستاذ المنوني بأن مصادر المدارس الثلاث تتضمن إشارات إلى الخزائن الموحدية التي كانت بالمدارس، وهو تعقيب جيد في موضوعه من حيث الكتب الموقوفة عليها، حيث وصل إلى سبع مؤسسات تعليمية ـ منوعة بمراكش الموحدية : في ص: 205 ـ 206 ـ 207 من كتابه حضارة الموحدين.

هذا وقد عمدت إلى نقل كلام الأستاذ المنوني بنصه في هذا المضمار، نظرا لما له من قيمة تاريخية في مثل هذا الموضوع.

وخلاصة القول : أن الوقف كان له أثر بارز في تنمية الثقافة ونشرها في عهد الموحدين، ولعل هذه النظرة الواردة في هذا المبحث تكفي للدلالة على ذلك، وننتقل بعد هذا إلى الكلام على دور الوقف في الحياة الثقافية في العهد المريني، وهو ما يتضمنه الفصل التالي.

الفصل الخامس

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة المرينية



الفصل الخامس

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة المرينية

إن المتتبع لهذه الدولة في التاريخ، يجد أن الثقافة في عهدها قد قطعت أشواطا بعيدة المدى بالنسبة لمن كان قبلها من الدول المتعاقبة على حكم المغرب، نظرا لكون الثقافة قد دعمت بإنشاء مدارس - زيادة على المساجد - ترعاها وتزيد في مددها بواسطة قنوات الأوقاف التي رصدت لسيرها والتي جعلت منها ينبوعا فياضا بالمعرفة، ينهل من معينه كل من له تعطش إلى العلوم.

وللتحدث عن دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد هذه الدولة، يجب أن نشير إلى المدارس التي أسست من قبلها، ثم نتبعه بنظرة عن الأوقاف التي تغذيها، وتجعلها تنطلق في طريقها المخصص لها.

وهذا يتطلب منا تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين :

الأول : في المدارس في عهد المرينيين، والثاني في الأوقاف المرصودة لها.

المبحث الأول

المدارس في عهد الدولة المرينية

زيادة على ما كانت تقوم به المساجد من تنشيط في المجال الثقافي، ولا سيما منها المساجد الكبرى : كجامع القرويين بفاس، وجامع ابن يوسف بمراكش، فإن هذه الدولة استطاعت أن تؤسس مدارس لتلقين أنواع المعرفة لتدعم بها المساجد من جهة، ومن جهة أخرى لتقوم بالدعاية لها، خاصة وأن المدارس الموحدية لم تستطع أن تقوم لها بهذه المهمة. وبالرجوع إلى تاريخ هذه الدولة نجد أربعة من ملوكها هم الذين قاموا بتأسيس المدارس، وهم :

1 – أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني :
بويع سنة 667 هـ وتوفي سنة 685 هـ

2 – أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني : بويع سنة 710هـ وتوفي سنة 731.

3 – أبو الحسن علي بن سعيد المريني : بويع سنة 731 هـ وتوفي 752 هـ

4 – أبو عنان فارس بن أبي الحسن، وقد أخذ هذا البيعة لنفسه عند ما طال مكث أبيه بتونس سنة 749هـ وتوفي سنة 759هـ

وأما المدارس التي أسسوها، فهي كما يلي :

أولا : مدرسة الحلفاويين :

كانت هذه المدرسة أول مدرسة أسست في عهد المرينيين، وكان المؤسس لها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 670هـ / 1271م وتسمى أيضا اليعقوبية كما تسمى الصفارين.

ومما تجدر ملاحظته : أن الإمام آمحمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات كان يسكن في خلوة من هذه المدرسة تقع بجانب قاعة الصلاة في يسار الواقف... وقد قيل «إنه ألف كتابه : دلائل الخيرات وقت إقامته بها.(84)

ومن اللافت للنظر : أن الدكتور عبد الهادي التازي، أوضح أن تغييرا مهما دخل على تصميمها منذ العهد الأول للملك محمد الخامس.(85)

---

84) انظر كتاب جامع القرويين، للدكتور عبد الهادي التازي ج 2 ص : 375 مطبعة دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى لسنة 1973.

85) انظر نفس المرجع أعلاه ج 2 ص 361.

ثانيا : مدرسة دار المخزن :

إن المؤسس لهذه المدرسة هـو السلطان السعيـد بفضل الله أبـو سعيد عثمان بن عبـد الحق المريني سنــة 720هــ، وقـد بناها على مقـربة من دار المخزن، كما قال الدكتور عبـد الهادي التازي في جامع القرويين ج 2 ص : 361 هامش 10 – لإيواء الطلبة وتدريس العلم... وأنــه لما كمل بناؤها بدئ الإقراء فيهـا وسكناها في ذي القعـدة عام 721هــ / 1321م. والمدرسة ذات فناء، طوله أكثـر من عرضه : 9,25م 6,30م يوجد صهـريج في وسطه كما كان الحال في مـدرسة الحلفـاويين، وبيوت الطلبـة على كلا الجنـاحين، ولا توجد هناك طبقة عليا للمدرسـة، وتحتوي المدرسة كذلك على قاعة للدرس والعبادة، وعـرضـها أكثر من طـولها : كما تحتوي على بـلاطين من خمسة أقواس، وكـانت بذلك أول مـدرسة أنشئت بعـد تأسيس فاس الجديـد عام 674هــ رتب فيهـا السلطان – أبـو سعيد – الطلبـة لقراءة القـرآن، والفقهاء لتـدريس العلم، وأجرى عليهم المرتبـات والمؤن في كل شهر، وحبس عليهـا الرباع والمجاشر.

ثالثا : مدرسة الصهريج :

إن مـؤسس هـذه المدرسـة، هـو السلطـان أبـو الحسن علي بن سعيـد المريني، وكانت سنة تـأسيسها هي سنة 721هــ / 1321م وأن أبا الحسن وقت تأسيس هذه المدرسـة كان وليا للعهد، ولما يبـايع عندئذ... ولما انتهى بناؤها، ابتدئ الاقراء فيها في شهر ربيع الأول من عام 723هــ / 10 مارس 1323م وسميت مدرسة الصهريج، لأن صهريجا مستطيلا يقع وسط بنائها جلب إليـه الماء من عين بخـارج بـاب الحديـد، وكـان الصهـريج جلب من إسبـانيـا من المريـة... وزنـه 143 قنطـــار قبل أن ينقـــل إلى المدرســـة المصباحـية.

وقد كانت هذه المدرسة تشتمل على :

1 – جناحين، حيث بيوت الطلبة.

2 – دار للوضوء.

3 – قاعة للدرس والعبادة، عرضها يزيد على طولها.

ولقد كلفت أبا الحسن في الإنفاق على تشييدها ما يزيد على مائة ألف دينار.

ومن الملاحظ : أن مدرسة الصهريج حملت في بعض المصادر التاريخية اسم «المدرسة الكبرى» تمييزا لها عن المدرسة الصغرى التي تتصل بها، كما حملت في بعض الحوالات الوقفية اسم «مدرسة اشنيخن» باسم الزنقة القديمة.(86)

رابعا : مدرسة السبعيين :

ومن المعلوم، أن هذه المدرسة أسست في الزمن الذي أسست فيه مدرسة الصهريج (721هـ)، ومؤسسها هو أبو الحسن المريني.

وسبب تسميتها بالسبعيين، أنها كانت خاصة بالطلبة الذين يقرأون القرآن بالروايات السبع، وقد كانت في الحقيقة ملحقة بمدرسة الصهريج، كما في رخامة التحبيس التي تشترك فيها مع المدرسة السابقة.(87)

خامسا : مدرسة الوادي :

وقد أسس هذه المدرسة السلطان أبو الحسن المريني في سنة 721هـ وسميت مدرسة الوادي، لأن واديا كان يشق صحنها... وتعتبر هذه المدرسة مع مدرسة الصهريج من أهم مدارس فاس، وقد ذكر أبو علي **اليوسي** : أن

86) المرجع السابق أعلاه ج 2 ص 362 هامش 11.

87) المرجع أعلاه ج 2 ص 362 هامش 12.

هذه المدرسة تحتوي على نحو سبع مئـة أستاذ، قال : وكان لا يعطى البيت فيها إلا لمن يحفظ جميع المختصر الحاجبي.(88)

سادسا : مدرسة العطاريـن :

إن مؤسس هذه المدرسة، هو السلطـان أبو سعيد المريني، وكان ذلك في يوم الجمعـة غرة شعبـان 723هـ / 1332م ولم ينتـه العمل فيهـا إلا بعـد سنتين، وقد كـان يشرف على البناء أبـو محمد عبـد الله بن قـاسم المزوار، ورتب السلطان فيهـا إماما ومؤذنين وقـومة يتعهدونها، وشحنها بـالطلبة، وخصص لها الفقهاء لتدريس العلم، وحبس **عليها عدة أملاك، كما يؤخذ ذلك من رخـامــة التحبيس المغـروزة في الجدار**، وتسمى هـذه المدرسة لروعتها «أعجوبة فاس»(89) وهنا يحسن بنا أن نورد النص الكامل لرخامة التحبيس لهذه المدرسـة، لتكـوين فكـرة عن **الحوالات الـوقفية في العهـد المرينـي، وهي :**

الحمـد لله رب العـالمين، رافع درجات العـالمين، ومجزل ثواب العـاملين، حمدا يكون كفـاءا لآلائه، وأداء لواجب شكر نعمائه، متصلا إلى يـوم الدين، والصلاة والسـلام على سيدنا ومـولانا محمـد، وبعد، فهذا مـا حبس وأمر بتخطيطـه وإنشـائه مـولانـا الإمـام أمير المسلمين، المجـاهـد في سبيل رب العـالمين، أبو يـوسف يعقـوب بن عبـد الحق، جعلهم الله من أئمـة المتقين، برسم المدرسـة التي أتم بناءهـا في عام خمسة وعشريـن وسبع مئة، وهي المقابلة سماط العطـارين من فاس القرويين، فمن ذلك : ثلاثة عشر حـانوتا متصلة بباب الفـرج، ومن ذلك دار الصابون مع الحوانيت الثلاثـة المخرجة منها بـالشراطين، والدار والمصرية وأربعـة حوانيت مع الطـراز المحمل عليها

88) المرجع أعلاه ج 2 ص 362 ـ 363 هامش 13.

89) المرجع أعلاه ج 2 ص 358 نقلا عن روض القـرطاس ص 300 والحوالات الوقفيـة لعام 1105 وتنبيه الصغير من الولدان.. للـكَلالي.



رخامة لائحة العقارات الموقوفة على مدرسة أبي سعيد بفاس الجديد،
لقد نقش عليها أن تلك الأوقاف حبست «على تدريس العلم بالمدرسة»

بعين آصليتن، وثلاثة حوانيت مع المصرية المحملة عليه بالصفارين القدماء، وسبعة أثمان منها الحدودي مع الأربعة حوانيت المخرجة منه بالدرب الطويل، وتربيعة ابن جيدة بالبليدة، والحانوت الرابع بالعطارين عن يمين المارين من المدرسة والحانوت الثاني بالقيسارية، وعن يسار الداخل من الحرارين، والحانوت بالسبطريين وهي الأولى عن يسار الخارج من فندق الزيت، والحانوت الثالث عن يسار الخارج من الجزارين وبيت أرحى مصالة بشيبوبة، والحجر الثاني مع القاعة المتصلة به، ونصف شايع بقاعة الزرع بالبيت الموالي لحمام الزيات، والفرن بجرنيز، ودار تلاصق فرن الكوشة، ودار علو بالصباغين، ودار علو بجزاء ابن زكوم، ودار بيرزح تلاصق دار أمن الله، ومصرية بعين الخيل محملة على الصابة، ونصف فندق الرصاع شرق جامع القرويين.(90)

سابعا : المدرسة المصباحية :

كان مشيد هذه المدرسة هو السلطان أبو الحسن المريني على مقربة من القرويين لا يفصلها عنها، إلا طريق نحو خطوات، وكان ذلك سنة 745هـ / 1346م كما هو منشور في أعلى رخامة وقفها، وقد ورد في هذه الرخامة ما يلي : وبعد، فهذا ما أمر بتخطيطه وإنشائه دفعا وردعا لأيدي المعتدين مولانا أبو الحسن علي بن مولانا أبي سعيد... ثم لائحة المحبسات، وذلك المسمى كله باسم الخطيب أبي الفضل المزدغي حبس ذلك كله، وخلده تحبيسا دائما وتخليدا مؤبدا، «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

وقد سميت هذه المدرسة المصباحية لأن الأستاذ أبا الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي(91) كان أول من تصدى للتدريس فيها.

---

90) جامع القرويين ج 2 ص 358 و 359.

91) اليالصوتي نسبة إلى بني يالصوت من قبائل غمارة على مقربة من شفشاون.

على أن حجج الوقف تسميها : مدرسة الخصة، لأن بيلة المرمر الأبيض تحتل وسط فنائها، وكان أبو الحسن جلبها من المرية بالأندلس عن طريق البحر حتى العرائش إلى قصر عبد الكريم، حيث حملت على مركب إلى أن وصلت إلى ضواحي فاس، ومن ثم حملت على عجلات من الخشب تجرها القبائل والرؤساء إلى أن وصلت إلى مدرسة الصهريج، ثم حولت منها إلى المدرسة المصباحية، حيث ما تزال إلى الآن، طولها 3,20م على عرض : 1,05م فيها طبقتان علويتان، يسكنها الطلاب حيث يوجد في وسط الدرج مسجد صغير له محراب إلى الآن وكان هذا المسجد في ظروف ما مركزا لقاضي القضاة، وتحتوي الطبقة كذلك على عدد من البيوت الطلابية التي يبلغ مجموعها بين الفوقي والسفلي زهاء 117 بيت... وقد عرف في التاريخ جم غفير من العلماء والطلبة الذين كانوا يأوون إليها ويدرسون بها الفقه والنحو من أمثال : الكَلالي ومولاي عبد الله الوزاني، والشيخ عبد القادر الفاسي، وسيدي حدو السوسي، والسلطان المولى الرشيد.(92)

ثامنا : المدرسة الجديدة بمكناس :

وقد كان أبو الحسن المريني أمر قاضيه على المدينة أن يتولى الإشراف على بنائها، ولما تم البناء، جاء إليها من فاس ليقف عليها، ويرى عملها وصنعتها، فقعد على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريجها وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها، فغرقها في الصهريج قبل أن يطالع ما فيها، وأنشد :

92) المرجع أعلاه ج 2 ص 359 وانظر أيضا ما قاله عنها الجزنائي في كتابه جنى زهرة الآس عن زنتها ـ البيلة ـ وعن عدد العلماء والطلبة الذين كانوا يسكنون ويدرسون، وما فيها من كرسي علمي كان للونشريسي، وانظر كذلك ما قاله فيها صاحب نشر المثاني ج 2 والديباج ص 188 وسلوة الأنفاس للكتاني. ج 1 ص 110.

لا بأس بـــــالغــــالي إذا قيـل حسن
ليس لما قـــرت بــــه العين ثمن(93)

تاسعا : المدرسة العظمى بسلا :

كذلك أسس أبـو الحسن هذه المدرسة بطالعة ســلا قبلي المسجد الأعظم منها، فقد أورد الناصري في الاستقصا.(94)

أن أبا الحسن «بناها رحمه الله على هيئـة بديعة وصنعة رفيعة، وأودع جوانبهـا من أنواع النقش وضروب التخريم ما يحير البصر، ويـدهش الفكر، ووقف عيهـا عدة أوقـاف رصع أسماءهـا بالنقش والأصبـاغ على رخامـة عظيمة ثم نصب الـرخامة بالحائط الجوفي منهـا، كل ذلك محافظة على تلك الأوقاف أن تغير».

عاشرا : المدرسة العظمى بمراكش قبلي جامع ابن يوسف :

وتعتبر هذه المدرسة من المدارس المرينيـة الهامة، حيث تأوي إليها كثيرا من طلبة العلم، وفيها من ضروب النقـش في الجبص وفي الخشب ما يدهش الناظر، وفي صحنهـا صهريج ماء، ثم أمـامه قاعة للـدرس والصلاة، وفيها عدة غرف لسكنى الطلبة، وعنها قال في الاستقصا :

«وبنى – أبو الحسن – رحمه اللـه عدة مدارس، منهـا المدرسة العظمى بمراكش قبلي جامع ابن يوسف، قال العلامة اليفرني في «النزهة».

«إن الذي بناها هو السلطان أبو الحسن المذكور».

قلت : ومن وقف على هذه المدرسة، وتأمل تنجيدهـا وتنميقها، قدر قدر هذا السلطان، وعلم عظم أهميته، ومحبته للعلم وأهله».(95)

93) انظر الاستقصا ج 3 ص 177 مطبعة دار الكتاب البيضاء 1954.
94) ج 3 ص 75 من المرجع أعلاه.
95) ج 3 ص 175 من المرجع أعلاه.

حادي عشر : المدرسة البوعنانية أو المتوكلية :

ذكر الدكتور عبد الهادي التازي(96) أن السلطان أبا عنان المريني شرع في بناء هذه المدرسة يوم الإثنين 28 شهر رمضان 751هـ / نونبر 1350م ولم تتم إلا في أواخر شعبان المكرم من سنة 756هـ / 8 شتنبر 1355م.

وقد جاء في رخامة تحبيسها : «أمر بإنشاء هذه المدرسة المسماة بالمتوكلية المعدة لتدريس العلم، المفضلة بإقامة فرض الجمعة أبو عنان فارس بن أبي الحسن... قصد – أيده الله تعالى – ببنائها : وجه الله تعالى في إحياء رسوم العلوم، وتجديد العناية بالمنقول والمفهوم.

حبس أيده الله على هذه المدرسة إرفاقا لطلبة العلم وإرفادا، وإعانة لهم وإسعادا، وكان ابتداء بنائها في الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم عام أحد وخمسين وسبع مائة، والفراغ منه في آخر شعبان المكرم عام خمسة وخمسين وسبع مائة، وكان بناؤها على يد الناظر في الحبس بحضرة فاس حرسها الله تعالى أبي الحسن بن أحمد بن الأشقر...».

وقد شيدت هذه المدرسة وسطا في الطريق الذي يربط فاسا العتيقة بفاس الجديدة.

ثاني عشر : مدرسة باب حسين :

كان مما أسسه أبو عنان : المدرسة العجيبة بحومة باب حسين من سلا، وقد صارت اليوم فندقا يعرف بفندق أسكور.(97)

تلكم كانت مدارس المرينيين التي قامت بدور فاعل في نشر الثقافة الإسلامية وبعثها، ولم تكن لتصل إلى هذه النتيجة ولا أن تؤدي هذه الرسالة لو لم تكن لها أوقاف تساعدها ماديا.

---

96) انظر جامع القرويين ج 2 ص 363 ـ 363 هامش 27 وانظر فيه أيضا فوائد أخرى زيادة على ما ذكر.

97) انظر الاستقصا ج 3 ص 206.

ومن الملاحظ : أن كلا من مدارس الحلفاويين والعطارين والمصباحية تحيط بجامع القرويين مباشرة، كما أن كلا من مدارس : الصهريج والسبعيين والوادي تحيط بجامع الأندلس، وهذا فيه تسهيل على الطلبة ليلتحقوا بدروسهم بدون كلفة ولا عناء.

هذا عن المدارس، أما عن الأوقاف المخصصة لها، فهي كما يلي في المبحث التالي :

المبحث الثاني
أوقاف المدارس المرينية

لن نتعرض في هذا المبحث لذكر أوقاف جميع المدارس السابقة، وإنما نكتفي بجرد معظم أوقافها، تدليلا على دور الوقف في سيرها، وتنمية ثقافتها.

وهكذا سنقتصر على ذكر أوقاف مدارس : الحلفاويين، والصهريج، والسبعيين، والعطارين، والمصباحية، والبوعنانية، والوادي.

1 – أوقاف مدرسة الحلفاويين :

احتفظت الحوالات الوقفية القديمة بلائحة تحتوي على 25 بقعة في البلايغيين (وهي الطريق التي تمتد من باب مولاي إدريس المجاورة لباب القيسارية إلى السقاية والمزارة) وفي البراطليين (وهي الطريق التي تمتد من المعراض جهة المضايميين إلى القيسارية، وخزائن دار الدبغ من شوارة البليدة).

وقد لاحظ الدكتور عبد الهادي التازي : أن تغييرا مهما دخل على تصميم المدرسة المذكورة منذ العهد الأول لمحمد الخامس.(98)

98) انظر كتابه جامع القرويين ج 2 ص 361 هامش 9.

وقد ورد في حوالة المدارس القديمة بفاس(99) أن عدد أوقافها 30 ما بين حوانيت ورحى، وبقعة جنان.

2 – 3 – أوقاف مدرسة الصهريج، والسبعيين :

وقف على هاتين المدرستين 45 حانوتا وعشر فندق ابن خنوسة ونصف حمام درب اللميفي، والرحى العليا من زنقة الرطل، وأرحى الزليج السفلى و3/3 رحيات، ونصف رحى، كما وقفت عليها عدة أجزية.(100) منها بقعة جنان عقيربة وبقعة ثلث جبيل عقيربة، وبقعة جنان خضارة المختلطة، وبقعة أجنان ابن الشراط، وثمن، ونصفه من أجنان سيدي أبي جيدة،

---

99) انظر ص 1 من ورقة 50 إلى ص 2 من ورقة 51 ميكروفيلم رقم 158 والنسخة الخطية منها بقسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط رقم 48، وانظر كذلك : الحوالة الإسماعيلية ج 1 ميكروفيلم رقم 158.

100) أجزية جمع جزاء، والجزاء هو حق الإستئجار، وهو حق الجلسة، لكن مع فارق أساسي، وهو أن الجزاء يقع على الأرض الخلاء والحقول، في حين أن الجلسة تقع كما نعلم على محلات مبنية (التحفيظ العقاري والحقوق العينية الأصلية والتبعية، ص: 621 للدكتور مأمون الكزبري).

وقد أورد الدكتور محي الدين إسماعيل علم الدين في كتابه : نظم الكراء بالمغرب في صحيفات 64 ـ 65 ـ 66 نقلا عن المهدي الوزاني ج 8 ص 21 في هذا الصدد ما يأتي:

(حق الجلسة، هو كراء على التبقية، والأصل فيه : أن صاحب الجلسة لا يخرج من العين إلا برضاه أو إذا أخل بالمصلحة التي روعيت في إحداثها.

ولا يلزم التصريح بلفظ الجلسة في العقد، بل يكفي أن يشار إلى أنه كراء على التأبيد، كما ورد أيضا في المرجع أعلاه، نقلا عن ديكرو فقرة 708 : أن الجلسة هي عقد إيجار مقابل مبلغ معلوم، ويقع عادة على المحلات الصناعية والتجارية لكي يقوم صاحب الجلسة بتجهيزه بالمعدات اللازمة لهذه الحرفة، وقد يقوم المالك بتجهيز المحل بالمعدات، ويوجره لأحد أصحاب المهنة بأن ينشئ له حق جلسة على المحل ومعداته، ويراعي في تقدير الأجرة : قيمة المعدات أو المواعين.

وقد لا ينص في العقد على مدة محددة، ومعنى ذلك : أن يبقى ساريا لا تنتهي مدته إلا إذا خرج صاحب الجلسة من تلقاء نفسه، أو أخل بالتزاماته، وحتى إذا نص في العقد على مدة معينة، فإن العقد يتجدد تلقائيا في نهايتها لمدة مماثلة، ويستمر الأمر كذلك إلى أن يخرج صاحب الجلسة أو يخل بالتزاماته وهذا هو المقصود بقولهم : إن الكراء في الجلسة على التبقية.

وقد جاء في نظم العمل الفاسي لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ج 1 ص 350 :

وهكذا الجلسة والجزاء جرى على التبقية القضاء

وبقعة النصف من جنـان، وبقعة عرصـة، وبقعة أرحى، وبقعـة أجنان ابن علي لبّا بلخير، وبقعة عرصة، وبقعة عريصة، ونصف بقعة أرحى الكغادين، وبقعة حمام، وبقعة بدار محمد بوطيب، وبقعة أرحى الزليج، ونصف غرز بأرحى، وفيض برمـة حمام الزليج، تستفيد منـه حوالي 7 دور، وقد ذكـر أصحابها في الحوالة الإسماعيلية.(101)

4 – أوقـاف مدرسـة العطـارين :

ذكـرت حـوالة المدارس القـديمـة بفـاس جـردا لأوقاف هـذه المدرسـة فأوصلتها إلى 51 ما بين حوانيت وواجب رحى، أو فيض ماء.

كما تعرضت لها الحوالـة الإسماعيلية (102). والحوالة الجديدة لأحباس فاس(103). حيث نصتـا على أن لها 14 حانـوتا بقنطرة بـاب السلسلة و8 حوانيت وحظوظ من حانوت، وخمس حانوت بعين علون والجوطية القديمة وربع رحى مزالـة ونصف دار دباغـة جرنيز في شركـة القرويين، وكـوشة الجير وتسع حـوانيت، ونصف حـانوتين، وحظـوظ من حـانوت، وسـدس حـانوت، ونصف مجمـر بـدار الدبغ لجرنيـز في شركـة القرويين بـالثلث، وحبس سيدي يعقوب بالثلث الباقي.

إضافة إلى ذلك هنالك أجزية لهذه المدرسة وهي :

غرز بأرحى مزالة بميزاب ابن حنين مع قاعة الأرحى هناك، وفيض نقير الأقـدام بها بـدار يفـرح، وفيض الخصة التي بصحنها بـدار الشفشاوني، أو دار الشريف الصقلي بـدرب الطـويل، ودار البـدري، وفيض آخر بـدار زويتـن.

101) انظر ج 2 ميكروفيلم رقم 159 ص 162 وما بعدها.
102) نفس المصدر أعلاه ص 160 ـ 161.
103) ميكروفيلم رقم 157 ص 145.

5 - أوقاف المدرسة المصباحية أو الخصة :

وقف على سير هـذه المدرسة 22 حانوتـا مع أجزائها و15 من الأراضي والزيتون و39 من الأجنة والعرصات و25 من البقع الأرضية و11 من البقع في الوطا الكبير و14 من أرض الوطا الصغير و9 من الأجزية(104) كما ذكرت الحوالة الجديدة لأحباس فاس جردا لأوقافها، وهي :

قسمة من جنان الغدير قرب وادي سبو، وقسمة ابن رضوان من جنان الغدير، وبقعة ولجة الكبير ابن زكـري، وبقعة ولجة الحميدي، وبقعة جنان ابن زكـري مع ساحلـه، وبقعة ولجة بيـد سيدي عبد الـواحد الشـامي بها أشجار من التوت، وبقعـة جنان ورثة المجذوب ابن يـوسف، وبقعة قسمة بيد الطالب عبد النبي الفخار، وبقعة سيدي حدو بن سيدي محمد العراقي، وبقعة جنـان عمورة، وبقعـة جنانين بيـد الحاج مسعود جسـوس، والحاج الطيب بناني، وبقعة جنان الجرطيطي مع عبد السلام بن حم، وبقعة جنان الحاج محمد بن يوسف، وبقعة عرصة اللبار، وعبد الرحمن المشاط، وبقعة جنان العاجي الـذي صار لابن زكري، وبقعة عبد الـرحمن المجاطي، وبقعة جنان الحاج أحمد الـورنادي إلى جـانب 20 بقعة أخـرى، وجنات وارورات بأرض التيـوان، وتشتمل على 25 بقعة في جنـات متعددة وعلى أرض الـوطا الكبير، ويحتوي على 11 بقعة، والوطـا الصغير، ويحتوي على 14 بقعة(105) وزيادة على ما ذكر، فهناك أجزية أخرى إلى جانب هذه المدرسة، وهي :

فيض صهريج صحنهـا، وفيض آخر، وفيض خصة دويرتها، وقـاعات متعـددة، إضافـة إلى 4 بقع، والسـوينيات، وبقعـة نصف طراز بـالديـوان، وسدس ثـلاثة أربـاع فيض صهريج دار الصهـريج الآتي له من صهـريج

---

104) انظر حوالة المدارس القديمة بفاس، ميكروفيلم رقم 158 في صحيفات 11 ـ 12 ـ 13 ـ 14 ـ 15 ـ 16 ـ 17 ـ 18 ـ 19 ـ 20 ـ 21، بقسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

105) انظر الحوالة الجديدة لأحباس فاس في صحيفات 69 ـ 73 ميكروفيلم رقم 157 بقسم الوثائق والمخطوطـات بالخزانة العـامة بالـرباط، وكذلك حـوالات المدارس القديمة بفـاس في الصحيفات المشار إليها أعلاه من 11 ـ 21.

المدرسة أعلاه بخمس أواق، يضاف إلى ذلك هناك عدة أمكنة موقوفة على شراء الخبز لطلبة هذه المدرسة، وهي :

ثلث حانوت وثمن حانوت، ونصف جلسة حانوت، ونصف حانوت، وربع جلسة حانوت، وحظ من جلسة حانوت، وثلث جلسة حانوت، ونصف جلسة حانوت، وجلسة حانوت، وربع جلسة حانوت، وحانوت أصلا، وجلسة حانوت وثلث جلسة حانوت تليها مع جلستها، ونصف الطراز الأكبر المعروف الأعلى المحمل على تربيعة ابن سالم، وثلاثة أرباع فندق الخصة بين السواري، وجميع دويرة صغرى بأقصى زنقة ريحانة من عين اصليتن وربع جلسة حانوت، ونصف جلسة حانوت.

يزاد على ذلك خزانات الدباغة بشوارة، وتحتوي هذه الخزانات على 15 خزانة ونصف خزانة.(106)

تلكم كانت أهم الموقوفات بالنسبة للمدرسة المصباحية، وتعد هذه المدرسة من أغنى المدارس من حيث الموقوفات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام الواقفين بالنشاط الثقافي، وتشجيع كل من ينتمي إلى الثقافة، طلبة، وعلماء.

6 – أوقاف المدرسة البوعنانية أو المتوكلية :

ذكرت حوالة المدارس القديمة بفاس أوقاف هذه المدرسة فنصت على أن لها 46 حانوتا، ودارا بزنقة الفرن، وأرحى المزداع، وأرحى بطريانة، وحماما بشطارة، وربع كافة حمام السلطان، وحانوتا عن يسار الخارج منه، ومصرية، ونصف حانوت، وثلث حانوت، وأن 24 حانوتا مما سبق أن ذكرنا متقابلة و11 حانوتا منها توجد في اللزازين.(107)

---

106) المصدر المشار إليه أعلاه ص 73 ـ 74.

107) انظر أوقاف هذه المدرسة في الحوالة الإسماعيلية ج 2 ص 146 وكذلك في الحوالة الجديدة لأحباس فاس ص 69 ـ 72، وفي حوالة المدارس القديمة ص : 7 ـ 8 ـ 9 ـ 10.

7 – **أوقاف مدرسة الوادي :**

وأما عن أوقاف هذه المدرسة، فقد ذكرتها حوالة المدارس القديمة بفاس، فكانت كالتالي :

41 حانوتـا، وأربعة أنصاف حوانيت، وخمس أثمان حـانوت وأرضون، وزيتون، وتتمثل هذه الأراضي والـزيتون في : يج العافية، والـرقاع والحاجة، والبريدعـة، وفرد السداري، وفرد فـاتح، وفرد راشد، وفرد جـامع، وظهر الكهف والقدوس، وابن افنزار وثلث قلعة كباب، وحظها من أزواج الحاجب، وواجبها من غابـة الزيتون الكبرى بمدشر منـزل الحاجب الذي قدره : 454 جزء، وذلك أكثر من السبع وأقل من السدس، كما وقف عليها جنات وهي : قسمة من جنان الغدير، وقسمة من ابن رضوان، وبقعة ولجة، وبقعة ولجة الحمير، وبقعـــة جنـان «ســـد وحل» وسبع بقع أخـــرى، وخـزانـــة دبغ بالمهراس.(108)

وأما بقيـة المدارس المرينية الأخـرى، والموجودة بكل من مكنـاس وسلا ومراكش فإنها هي نفسها كانت لها أوقاف تساعدها على أداء رسالتها، غير أنا لا نطيل الكلام بتعداد أوقافها...

ومما تجدر مـلاحظته في هـذا السبيل : أن المدارس الموجودة بفـاس كانت تشتمـل على كراسي علمية تعـاقب عليها علماء مـرموقـون، كما كانت كراسي علميـة في كل من جامع القـرويين بصفة خـاصة وجامعـي الأندلس والشرفاء بصفة عـامة إلى جانب عشرات المساجد في فـاس وحدها والتي لها كـراسي علمية وقـد خصص لها أوقـاف لســـيرها، سنشير إليها فيما بعـد بحـول الله.

108) انظر صحيفات : 7 ـ 8 ـ 10 و 25 ـ 30 من حوالة المدارس القديمة بفاس، وانظر كذلك ما ورد نحو هذه المدرسة في الحوالة الإسماعيلية ج 2 ميكروفيلم رقم 159 وكذا ما ورد نحوها أيضا في الحوالة الجديدة لأحباس فاس رقم 157 في ص 66 ـ 67.

أما الآن فنتعرض للمدارس ذات الكراسي العلمية، ولبعض من تعاقب عليها من العلماء في عهد هذه الدولة وهي :

1 - مدرسة الحلفاويين :

وتتوفر هذه على كرسيين في النحو، ومن بين العلماء الذين درسوا عليهما في العهد المريني.

أ - القاضي مفضل العمري.

ب - أبو عبد الله محمد المديوني (856هـ).

2 - مدرسة دار المخزن :

وتتوفر هذه أيضا على كرسيين في الفقه والنحو، ومن بين العلماء الذين تعاقبوا على التدريس عليهما في هذا العهد.

أ - جماعة أبي العباس أحمد بن قاسم الجذامي الفاسي المعروف بالقباب(109) شارح مسائل ابن جماعة، وشارح قواعد الإسلام للقاضي عياض.

ب - أبو يعقوب يوسف بن مبخوت.

3 - مدرسة الصهريج :

وهذه أيضا تتوفر على كرسيين في الفقه والنحو، ومن العلماء الذين درسوا فيها :

العالم السفير التازي سيدي إبراهيم (848هـ) وكان يدرس التهذيب ورسالة ابن أبي زيد القيرواني.

---

109) انظر جامع القرويين، للدكتور التازي ج 2 ص 388.

4 – مدرســة العطاريــن :

وهذه أيضا تتوفر على كرسيين في الفقه والنحو، ومن بين أساتيذها :

أ – أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء (723هـ) صاحب التآليف الكثيرة والذي يقال عنه أنه ألف أكثر من 100 كتاب في الرياضيات والاسطرلاب وغيرهما.

ب – محمد بن أحمد الفشتالي (777هـ).

ج – الأمير أبــو الــوليـــد إسماعيل بن الأحمر النصري (807هـ) صاحب كتاب «روضة النسرين في دولة بني مرين».

د – الشيخ ابن هارون (951هـ).

5 – المدرسة المصباحيــة :

وهذه أيضا تتوفر على كـرسيين علميين، ومن بين العلماء الذين تعاقبوا عليهما :

أ – أبو الضيــاء مصباح بن عبد الله اليــالصوتي (750هـ) وهو أول من تصدى للتدريس بهذه المدرسة.

ب – الإمام المزكَـلدي (864هـ) أبو العباس أحمد بن عمر المزكَـلدي آخر حفاظ المدونة بفاس.

ج – الإمام أحمد الونشريسي صاحب المعيار.

6 – مدرســة أبي عنان أو المتوكليــة :

وتتوفر هــذه على عدة كراسي علمية في الفقــه والنحو والتفسير والحديث، ومن بين العلماء الذين درسوا عليها.

أ – الشيخ الصرصري الحافظ، وقــد اختير لتــدريس الفقــه بها من بين علماء كثــير. ويحكــي عنه أن أباعنـــان المـــريني قــد وجــه إليه من يسألــه

في مسائل التهذيب التي انفرد بإتقانها وحفظها وطالبه بتحقيق ذلك، وإتقانه وحسن تلقينه، ولما أضجره ذلك، نزل عن كرسيه.

ولما اشتهر عنه ذلك، وجه إليه أبو عنان، فآنسه وسكنه، ثم قال له :

«إنما أمرت بذلك كي تعلم ما عندك من العلم وما عند الناس، وتعلم أن دار الغرب هي كعبة كل قاصد.(110)

ب – الحباك (870هـ) هو الخطيب أبو العباس أحمد بن سعيد المكناسي الشهير بالحباك كان فقيها متصوفا، كان ممن لقي المقري بمدينة فاس، نظم مسائل ابن جماعة التونسي المالكي في البيوع، ونظم الشعر النفيس في التصوف (الدكتور التازي جامع القرويين... ج 2 ص 504 فقرة 144).

ج – أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البكري الدلائي.

د – العلامة أبو الفتوح التلمساني (818هـ).

هـ – قاضي القضاة السفير المقري (758هـ).

7 – **مدرسة الوادي :**

لم نعثر على عدد كراسي هذه المدرسة، ولا على أسماء العلماء الذين درسوا فيها، رغم كون ما صرح به الدكتور عبد الهادي التازي : أن فيها كراسي متعددة، وكثيرا من العلماء، حيث قال في هذا الصدد :

«وكان لكراسي مدرسة الوادي ذكر في التاريخ لا ينسى، وناهيك بمدرسة كان يحتوي مجلسها على سبع مئة أستاذ، كما يقول أبو علي اليوسي، وناهيك بمدرسة كانت السكنى فيها لا تمنح إلا للطلبة الذين يستظهرون مختصر ابن الحاجب، وقد عرفنا من أساتذة كرسي الفقه هنا : الشيخ ابن هارون الذي كان يدرس كتاب المدونة في حياة شيخه الإمام ابن غازي».(111)

---

110) أزهار الرياض، للمقري التلمساني ج 3 ص 29.

111) جامع القرويين ج 2 ص 388.

وزاد الأستاذ التازي موضحا : أن الخطيب ابن هارون المطغري (951هـ) كان ممن استشارهم السلطان عبد اللـه الشيخ في أمر قبلة القرويين... كان يبتدىء حصته في التدريس عند الفجر بتلقين القراءات السبع للطلاب وبعد صلاة الصبح يصعد الكرسي ليلقي الرسالة، وبعد ذلك ينتقل لمدرسة العطارين، حيث يلقي دروسه في الفقه العالي.(112)

ونود في خاتمة هذا المبحث أن نشير إلى أن الخزانات العلمية في عهد المرينيين، كان لها دور هام في الحياة الثقافية وفي نشرها، وكان من بين ملوك هذه الدولة الذين اشتهروا بإنشاء هذه الخزانات :

1 – أبو يوسف يعقوب مؤسس مدرسة الصفارين الذين أنشأ فيها خزانة علمية هامة، وذلك سنة 679هـ.

2 – أبو سعيد عثمان بن يعقوب، فقد أنشأ بدوره خزانة علمية.

3 – أبو الحسن علي بن عثمان المريني، فقد أنشأ بدوره خزانة علمية هائلة، وناهيك بأبي الحسن الذي ازدهر العلم في عهده أيما ازدهار.

4 – أبو عنان فارس ابن أبي الحسن، فقد أنشأ بدوره خزانة علمية في الركن الشمالي الشرقي لجامع القرويين، وقد كان لهذه الخزانة دور عظيم في تيسير الثقافة على الطلاب الواردين على فاس.

وقد تحدث عن هذه المدرسة علي الجزنائي في كتابه : جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، حيث قال:(113) «وأما خزانة الكتب التي يدخل إليها من أعلى المودع الذي بالجامع، فإنه لما كان من شيم مولانا المتوكل أبي عنان رحمه اللـه حب العلم وإيثاره، والتهمم به والرغبة في انتشاره، والاعتناء بأهله ومتحمليه، والتودد لقرائه ومنتحليه، انتدب لأن صنع هذه الخزانات، وأوسع طلبة العلم بأن أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم

112) جامع القرويين ج 2 ص 509 نقلا عن الجذوة 40 ـ 302 ونيل الابتهاج 212.

113) في ص : 76 الفقرة 12 المطبعة الملكية بالرباط 1387 / 1967.

الأديـان والأبـدان والأذهان واللســان وغير ذلك من العلـوم على اختـلافهـا، وشتى ضروبها وأجناسـها، ووقفها ابتغاء الـزلفى، ورجاء ثواب الله الأوفى، وعين لها قيما لضبطها، ومناولة ما فيها، وأجرى له على ذلك جراية وإفادة مكرمة وعناية، وذلك في جمادى الأولى سنة خمسين وسبعمائة».

وقد أوضح الدكتـور عبد الهادي التازي(114) أن أكثـر الكتب التي تمت إلى الأندلس بصلة وثيقة والتي هي الآن في خزانة القرويين، يرجع وقفها إلى السلطان أبي عنان، أو إلى والـده أبي الحسن، أو جده أبي سعيد، وربما إلى أبي يوسف يعقوب، ولم يكتف أبو عنان بإنشاء خزانة الكتب وحدها، وإنما أنشأ أيضا مكتبة خاصة بالمصاحف سنة 750هـ وكانت هذه المكتبة في قبلة المسجد وسطا بين باب حجرة الخطيب، وبين الخوخـة التي كانت مـدخلا فيما بعد للخزانة الأحمدية تنعتها الحوالات الوقفية بالخزانة الصغرى.

وقـد نقش في أعلى هذه الخزانـة ما يلي : «الحمـد لله أمـر بإنشاء هـذه الخزانـة السعيدة مـولانـا أمير المؤمنين المتـوكل على رب العـالمين عبد اللـه فارس، أيد الله أمره، ونصره بتـاريخ شـهر شوال سنة خمسين وسبع مائة رزقنا الله خيرها.(115)

أما خزانـة الكتب، فقد نقش فوق بابها مباشرة : كتـابة من خمسة عشر سطرا بخط نسخي جميل :

(الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيـدنا محمد نبيه وعبده، ورضي الله عن الخلفاء القائمين بـالحق من بعده، مما أمر به من أحيا اللـه بإيالته الانام، وتدارك بدولتـه الإسلام، أمير المومنين المتوكل على رب العالمين قطب ملـوك الزمـان، المظفـر المنصـور المولى أبو عنـان، أبـو الخلفاء الـراشـدين المرضيين، أدام اللـه للمسلمين أيـامـه ونصر أعـلامـه، أنشأ هـذه الخزانـة

114) في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 331 نقلا عن الخزانة العلمية بالمغرب طبعة 1960.

115) المرجع أعلاه ج 2 ص 332.

السعيدة، الجامعة للعلوم الحميدة، المشتملة على الكتب التي أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع العلوم، الواجب بها التعظيم والتكريم، جعل ذلك نصره الله وقفا مؤبدا لجميع المسلمين / حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، حرصا منه أيده الله على طلبة العلم وإظهاره، وإتقانه واشتهاره، وتسهيلا لمن أراد القراءة والنسخ منها، والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها من أعلى المودع التي هي فيه، ولا يغفل المحافظة عليها والتنويه، أراد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، ضاعف الله بذلك حسناته، ورقى في الجنان درجاته، وأطال ملكه، ونظم بالصالحات سلكه، وذلك في جمادى الأولى عام خمسين وسبع مائة، أوصله الله بالبركات الزكية». (116)

وهكذا نجد أن الخزانات العلمية في هذا العهد كالمدارس فيه، قد هيأت الوسائل الكافية لنشر العلوم والمعارف على أوسع نطاق للدولة التي ستخلف الدولة المرينية، فكانت هذه الدولة، هي الدولة الوطاسية، وهي ما سنخصص لها الفصل التالي :

116) المرجع أعلاه ج 2 ص 331 .

الفصل السادس

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الوطاسية

الفصل السادس

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة الوطاسية

مما لا شك فيه، أن الحياة الثقافية في عهد الدولة الوطاسية(117) عرفت ازدهارا كثيرا، وأن السبب في ازدهارها يرجع إلى الأوقاف المساندة لها من قبل الملوك وعامة الناس من المحسنين، مما جعل العلماء يزدادون نشاطا في نشر المعارف، سواء في المدارس السالفة الذكر في عهد الدولة المرينية أو في الجوامع، وخاصة منها جامع القرويين، وجامعي الأندلس، والشرفاء بفاس.

ومن المعلوم، أن المدارس المحدثة في عهد المرينيين كانت تتوفر على كراسي علمية(118) ومعظم هذه الكراسي، كان له أوقافه الخاصة به، كما كانت أوقاف أخرى لبعض الكراسي العلمية بالجوامع والمساجد الصغرى بفاس.

---

117) الدولة الوطاسية، نسبة إلى بني وطاس، وقد قال عنهم الناصري في الاستقصا ج 4 ص 118 طبعة دار الكتاب الدار البيضاء 1995 ما يلي :

«أعلم أن بني وطاس فرقة من بني مرين، غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق، ولما دخل بنو مرين المغرب، واقتسموا أعماله حسبما تقدم، كان لبني وطاس هؤلاء بلاد الريف، فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارهم ورعاياهم لجبايتهم، وكان بنو الوزير منهم يسمون إلى الرياسة، ويرومون الخروج على بني عبد الحق، وقد تكرر ذلك منهم حسبما مر، ثم أذعنوا إلى الطاعة، وراضوا أنفسهم على الخدمة، فاستعملهم بنو عبد الحق في وجوه الولايات والأعمال، واستظهروا بهم على أمور دولتهم، فحسن أثرهم لديها، وتعدد الوزراء منهم فيها».

وذكر ابن خلدون : «أن بني الوزير هؤلاء يرون أن نسبهم دخيل في بني مرين، وأنهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللمتوني، لحقوا بالبدو، ونزلوا على بني وطاس، ووشجت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم، ولم يزل السرور متربعا بين أعينهم لذلك، والرياسة شامخة بأنوفهم».

118) ذكر الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 371 ما يلي : «... لقد كانت ولاية الكرسي بالقرويين أمرا ذا بال وبالغ الأهمية، لأنه كان بمثابة ولاية حكومية لا تقل عن منصب القضاء والفتيا والوزارة، ولذلك كان الحصول عليه، يستدعي عدة مؤهلات، وسنأخذ فكرة دقيقة عن مواقع هذه الكراسي، ما كان منها بالجامعة الأم، وما كان موزعا على بعض فروعها الثلاثة والثلاثين والثلاثمئة، وكذلك كراسي الوعظ والإرشاد التي عليها حبس، والكراسي العلمية الخاصة بالطلاب الذين كانوا يتهيأون للمناصب التي تحتاج إليها أطر الدولة.=

وقد عرفت الكراسي العلمية بفاس في عهد الوطاسيين وجوها لامعة في سماء العلوم، كما عرفتها قبل ذلك في العهد المريني، وغيره.

وقبل ذكر أسماء العلماء الذين عرفتهم هذه الكراسي في العهد الوطاسي، نود أن نشير إلى بعض العلماء الذين اشتهروا بالكراسي العلمية فيما قبل هذا العهد، ومن بينهم :

1 - أبو الربيع سليمان الونشريسي، ثم الفاسي المتوفى بها عام 705هـ / 1305 - 1306م،(119) وقد اشتهر الكرسي الذي كان يقرىء عليه : بكرسي الونشريسي.

2 - أبو الحسن الصُّغَيِّر : (719 هـ) :

هو القاضي السفير أبو الحسين علي بن محمد الزرويلي المعروف بالصغير، كان فقيها مالكيا قيما على تهذيب ابن البراذعي، حفظا وتفهما إلى قوة عارضته في الحفظ والاستظهار، وهو صاحب التقييد على المدونة الذي كمله ابن غازي كان يفتح في مجلسه ما ينيف على الثمانن ديوانا، ولي قضاء فاس أيام سليمان حفيد يعقوب، وهو سفيره أيضا إلى الأندلس... درس

=وسنجد أن بعض الكراسي يختص به أصحابه الذين يتولونه صباح الخميس أو الجمعة أو بعد الظهر والعصر، أو بين العشائين، أو في فصل الشتاء، أن ذلك حديث عن كراسي لها أحباس خاصة، ومقاصد معينة، ولا يمكن أن يفهم بحال : أن الكرسي ظل معطلا طوال الأيام والفصول والأوقات الأخرى وبين أيدينا عدد لا يحصى من الوثائق يؤكد أن الطلاب كانون لا يعرفون الراحة في كل ساعات النهار، فمن درس إلى درس، ومن مجلس إلى مجلس، ومن نصاب إلى نصاب على ما يذكر الكلالي وغيره من شهود العيان...».

119) انظر الكراسي العلمية في عصر بني مرين، للأستاذ محمد المنوني في مجلة دعوة الحق العدد 4 السنة 9 شوال 1385 / يبراير 1966م ص 93 نقلا عن جذوة الاقتباس ص 320 - 321، ونيل الابتهاج في ص 119 - 120، للشيخ بابا السوداني، مطبعة المعاهد بمصر 1351هـ «وسلوة الأنفاس» للكتاني ج 3 في ص 316 - 317.

علاوة على القرويين بجامع الازدع... وكان مما نقم عليه، اتخاذ شمام لمراقبة شاربي الخمر...(120)

3 – أبو الحسن علي الصرصري :

فقد كان أول شخصية علمية رشحت للتدريس على كرسي التهذيب بالمدرسة العنانية، وكان الذي رشحه لذلك، هو أبو عنان المريني.

أما العلماء الذين اشتهروا بالتدريس فوق الكراسي العلمية في عهد الدولة الوطاسية، حسبما في فهرس المنجور،(121) فيمكن إجمال القول فيهم فيما يلي :

1 – الإمام ابن غازي :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المختاري المكناسي نزيل فاس، وقد استوطنها سنة 891هـ حيث سكن بالبليدة بحومة الاصدع، وبقي يدرس مختلف الفنون العلمية بكرسيه المعروف بكرسي ابن غازي وغيره، حيث تخرج عليه جماعة من الأعلام سنأتي على ذكر بعضهم، وبقي كذلك إلى أن توفي بفاس عشية الأربعاء في 9 جمادى الأولى عام 919هـ / 1513م.

وممن درس على كرسي ابن غازي في عهد الوطاسيين :

– محمد بن عبد الواحد الغزال تلميذ ابن غازي :

– أحمد بن محمد بن محمد المعروف بابن جيدة الديوني الوهراني،

---

120) انظر المرجع أعلاه ونفس الصحيفة وانظر كذلك جامع القرويين ج 2 ص 448، للدكتور التازي.

121) حقق هذا الفهرس الدكتور محمد حجي، وطبعته دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط في منتصف رمضان 1396 /شتنبر 1976م.

نـزيل فاس، والمتـوفى بها في رجب عـام 951هـ / 1547م وقد كـان يدرس العمدة في الحديث، والرسالة القيروانية.(122)

2 - الإمام ابن هارون (951 هـ) :

هو أبـو الحسن علي بن موسى بن علي ابن هارون المطغـري، نسبة إلى مطغرة تلمسان، انتقـل منها جده - كما يقول المنجـور في فهرسه(123) عام 818هـ حيث حضر العدو سبتة وتطبيقه عليها، فجاء المسلمون من كل أوب لأغـاثتها، ومن جملتهم : جـد هذا الشيخ، فلحقـوها قـد أخذت، وسلطـان الوقت إذ ذاك أبو سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم المريني مشتغل بلهوه وراحه، غافل عن كل ذلك، فأقام بفـاس وبها ولد شيخنا أبو الحسن وأبوه موسى، فاشتغل أبو الحسن بالطلب.

فلما هاجر ابن غازي إلى فاس، لازمه ابن هارون عدة أعوام، وكان قارئه في كثير من دروســه من المدونـة والموطأ والعمـدة والتفسير ومختصر خليل والعـربيـــة والحســاب والفـرائض وغير ذلك. وجمع عليـــه القـرآن العظيم بالقراءات السبع، وحصل عنه علما جما.

كان يدرس المدونـة فوق كرسي بمدرسة الوادي، في حيـاة شيخه الإمام ابن غازي، ومـا قطع مع ذلك القراءات بين يـديه، ولازمه حتى تـوفي، وكان ينقل التقييد على المدونـة، نقلا جيـدا يتحرى فيـه حتى الواو مع الفـاء، فلا يجعل هذه مكان هذه، وعجبت منه يطالع آخر الليل يخرج بعد الفجر، فيتلو عليـه جماعة من الطلبـة بـالسبع، ثم يصلي الصبح، ثم بعد فـراغ الحزابين يصعد كرسي الـرسالة يقرىء فيه مـع العامة، ويخرج فيه لحكايـات عامية

122) انظر مجلة دعوة الحق العدد 4 السنة 9 ص 93 فبراير لعام 1966 في الكراسي العلمية في عهد الدولة الوطاسية، للأستاذ محمد المنوني.

123) انظر الصحيفات 41 ـ 42 ـ 43 ـ 44 من فهرس المنجور تحقيق الأستاذ محمد حجي.

وغيرها... ثم ينـزل منه ويدخـل المقصورة، وربما دخل بعدهـا مصريته أو داره، وبعد ذلك يـذهب لمدرسة العطـارين لتدريس المدونـة، فينقل التقييد، كأنه طـالعه حينئـذ، وهذا لكثـرة خدمتـه المدونة عند الشيـخ ابن غازي في مجلسه نفسه.

وكان في وقتـه شيخ الجماعة يحضر مجلســه في مختصر خليل وغيره : الـونشريسي أبو محمـد، واليسيتني والـزقاق، والعبسي، والعـدي وغيرهم، لا يستنكف عنه منهم أحد...».

3 – **أحمد الونشريسي** (914 هـ) :

«هو أبو العبـاس أحمد الونشريسي نزيل فاس ومفتيهـا، وفي هذه المدينة أكب على تدريس المدونة، وفرعي ابن الحاجب، كان يدرس بعد وصوله من تلمسان في المسجد المعلـق بالشراطين قبل أن تسند إليه الكـراسي الوقفية في أهم مساجد فاس، ومدارسها : (المعيار القديم) في 12 مجلدا، وفيه قال ابن غازي : «لـو أن أحدا حلف بـالطلاق على أن أبـا العباس الـونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه لبر في يمينه»».

نيل الابتهاج ص : 87 الجيلالي تـاريخ الجزائر العام 2، 326 الاستقصا 5/165 السلوة 2 ص 102.(124)

4 – **عبد الواحد الونشريسي** (27 ذي الحجة 955 هـ) :

إنه ولد بفاس بعد انتقال والده إليها سنة 74 من المائة التاسعة.

وأنه لما توفي أبو العباس الونشريسي سنة 914هـ ظن كثير أنه لا يحسن دروس أبيه الوقفية، وكان معلومـا بإتقان النحو والوثيقة مع حسن الخط، ولذلك كان يكتب لشيخ الجماعة أبي عبد اللـه ابن غازي تحبيساته في ظهر

---

124) جامع القرويين ج 2 ص 506 للدكتور التازي.

تـآلـيـفــه، وما كــان يحتـاج إليه من ذلـك ويقـدمه على ذوي الأســنان بالسمــاط.

وقــال قوم : إنــه يحسن، منهم : الشيخ ابن غــازي، وربما قيل عن ابن غــازي، إنــه قال : «إن لم يحسن، نبت عنــه حتى يحسن». فعنـدمــا جلس بكرسي المدرسة المصباحية لتدريس المدونــة، وقد حضره الشيخ أبو عبد الله ابن غازي أجــاد، كما ينبغي، فسر بذلك الشيخ، لأنه كان تمليـذه، ولما بينه وبين أبيه من المحبة والصداقة، فلما نــزل عن كرسيه، اعترف له الشيخ ابن غازي بالنجابة وقبله بين عينيه ودعا له.(125)

إن عبد الواحد الونشريسي كان يدرس فوق كرسي بجامع القرويين، وكان يدعى كرسي ابن الأشقر على ما كــان يردده يحيى السراج، وكان الذي أنشأ هذا الكرسي، هــو أبو العباس أحمد بن الشيخ الوطاسي وخصصــه في بداية الأمر لـدراسة الجامع الصحيح للبخاري بشرحــه فتح الباري، وحبس لهذه الغاية نسخة من الكتاب المذكور سنة 847 بخط الحافظ محمد بن عبد الله التنيسي، ومنقولة من خط الشارح الإمام ابن حجر نفسه.

ومن فوق هذا الكرسي، قبض على الشيــخ الونشريسي، وأخرج من الباب المقابل في الجهة الغربية حيــث نفذ فيه قدر الله (27 ذي الحجة 955هـ) بعد أن رفض أن يخلع عنه بيعة أبي العباس الوطاسي لصالح السعديين.(126)

5 – عثمان بن عبد الواحد المكناسي اللمطي (954 هـ) :

هو أبــو عمر وعثمان بن عبــد الواحــد المكناسي اللمطي، نسبــة إلى قبيلة مكناسة من زناتة.

وقد ذكر المنجور في فهرسه : أنه قرأ على عدة شيوخ، منهم :

---

125) فهرس المنجور ص 53.

126) جامع القرويين، للدكتور التازي ج 2 ص 379 ـ 380.

ابن غازي، وأبو العباس أحمد الحباك، وأبو الحسن ابن هارون، وأبو محمد الونشريسي... كان ملازما لابن هارون بمدرسة العطارين، ولكرسي التفسير وابن الحاجب للونشريسي، ومن بين شيوخه : أبو عبد الله اليسيتني.

وقد ذكر المنجور : أنه قرأ عليه بحرف نافع ثلاث ختمات من القرآن العزيز، إحداها بطريق ورش، والأخريين بطريق قالون، وحضرت إليه جملة وافية من ألفية ابن مالك بمدرسة الحلفاويين بنقل لفظ المرادي، وتفهمه كما ينبغي.(127)

6 – عبد الرحمن بن علي سُقَّيْن (956 هـ) :

ذكر المنجور في فهرسه أنه : «هو أبو محمد عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري، ثم الفاسي السفياني العاصمي، عرف بسقين.

أخذ عن محمد بن غانم وغيره ممن عاصره، كالفقيه الصوفي أبي العباس أحمد زروق.(128)

«وحكي أنه أول من دخل على شيخ الجماعة أبي عبد الله ابن غازي حين قدومه من مكناسة لاستيطان فاس كما مر».(129)

ويعتبر سقين من العلماء الأفذاذ، وقد تلقى عنه العلم كثير من العلماء في عصره، مثل اليسيتني وأبي محمد عبد الوهاب، وأبي عبد الله العبسي وغيرهم، وقد كان هؤلاء يأخذون عنه الحديث ويروونه عنه لمعرفتهم بتحقيقه فيه، وضبطه وسعة روايته فيه، وكثرة من لقي من مشايخه.

وقد كان يلازم إقراء العمدة والموطأ عند باب مصرية الخطيب بالجامع المذكور – القرويين – وهما من أوقاف الشيخ الخطيب الصالح أبي فارس

127) فهرس المنجور ص 63.

128) ص 59.

129) ص 60 وانظر الأقطار التي ارتحل إليها بالمشرق وبلاد السودان في الصحيفة السابقة.

عبد العـزيز الوريـاغلي، على خطيب جامع الأنـدلس، وحبس أيضا مثل ذلك بالقـرويين، وكان أيضا الشيخ سقين يـدرس التفسير... ويقعد هنـاك غالب النهار لـمن أراد أن يـروي من كـتب الحديـث الستـة : البخاري، ومسلم، وأبـي داود، والـتـرمـذي، والنسـائي، وابن مـاجـة أو غيـرها ممـا أحـب.(130)

7 - محمـد بن أحمـد بن عبـد الرحمـن اليـسـيـتـنـي (897 - 16 محرم عام 959 هـ) :

قال عنه المنجـور : «فمنهم شيخنا الفقيه الإمام العـلامة المحقق الجامع بين فنون المنقول والمعقول، الحاج الرحال الخطيب المفتي الصالح : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليسيتني.

كـان رحمه الله مجتهـدا في طلب العلم، يـدرس أو يدرس إلى أن تـوفي، نابـذا الراحة ورفـاهية العيش، طارحـا التكلف في لباسـه وطعامه وكـلامه وجلوسه، وشأنـه كله كما هو شأن المومن، حريصا غـاية على إنشاء العلم ونشره وتعليم ما عنده منـه، وتحصيل الطلبة له لا يمنع منهم كتـابا، قائلا بلسان حاله :

ففي شربـة، لـو كـان علمي سقيتكم
ولم أخف عنهم ذلـك العلم بـالـذخـر

ولذا لما طلب من الشيخ الأستـاذ أبو القاسم ابن إبراهيم أن يقـرأ عليه؛ شرح الكـبرى كان يمـضي إليـه في كـبر سنـه مـن داره بعـدوة الأنـدلس إلى مسجـد «عين الخيـل» حيـث الأستـاذ الـمذكور، حـرصا على انتفاعه(131).

---

130) فهرس المنجور ص 61.

131) فهرس المنجور ص 29.

8 - عبد الرحمـن بن محمد بن إبراهيم الدكالي (962هـ) :

أخذ العلم عن كثير من الشيـوخ، كأبيه والـهبطي والزقـاق وأبي العباس أحمد الحباك وابن هارون وأبي محمد الونشريسي، وقد كان أبوه من شيوخ المدونة والرسالة من طبقة شيخ الجماعة أبي عبد الله بن غازي.

قال عنـه أحمد المنجور : وجلـس للتدريس في أول شبـابه سنـة إحدى عشرة... حضرت عند هذا الشيخ دولا من رسالة الشيخ أبي محمد، وكان له المزية فيها على ســائر أهل عصره مدة طويلة بكرسييـه بين المغرب والعشاء بجامع القرويين، وسارية الظهر بـه، وبكرسي الخميس والجمعة بعد صلاة الصبح به أيضا، وبمسجد عين الخيل بـالغداة في أشـهر الشتاء، وجملة من تهذيب البراذعي...(132)

9 - علي بن عيسى الراشدي (961 هـ) :

كان هذا العالم يحسن علوم القرآن أداء، ورسما، وضبطا.

نفذ تدريس الشاطبية الكبرى الـذي أنشأ تحبيسـه الشيخ الفقيه الفرضي الصـــالح أبو القـاسـم الكوشي الـدرعي لنظر الشيخ الإمـام أبي الحسن ابن هارون ولم يكن لها وقف قبلـه، فاقرأها وأعـاد محضرا بالمجلس لكثير من شراحها كالحاوي وأبي شامة والفاسي، والجعبري، حتى تفقه فيها، وكنت أنا وبعض الطلبة قـرأناها عليـه قبل ذلك الوقت... حضرت - المنجـور - عنده فيهـا إلى فرش الحروف بمسجـد الشرفـاء، حيث كـان يدرس البردة يـوم الخميس ويوم الجمعة.

وكان من شيوخه : أبو عبد الله بن خلف حيث جمع عليه القرآن العزيز بـالقراءات السبع، وأجـازه فيـه وفي غيره، وقرأ على أســاتذة عصره أيضـا، كأبوي العباس الدقون، والحبـاك، وأبي عبد الله الهطبي، وعلي أبي العباس

132) فهرس المنجور ص 156.

أحمد الحاج التلمساني، وعلى أبي الحسن ابن هارون، وأبي محمد الونشريسي، وعلى أبي محمد عبد الرحمن سقين، وحضر في المدونة مدة عند أبي محمد عبد الرحمن بن إبراهيم، وأصلي ابن الحاجب، وفرعيه، وغيرهما عند أبي عبد الله اليسيتني... توفي في آخر سنة إحدى وستين أوائل التي بعدها عن سن عالية ينيف على السبعين.(133)

10 – محمد بن مجبر المساري (983 هـ) :

يعد ابن مجبر من الفقهاء النحويين العروضيين المتفننين، كان متقنا علوم القرآن، كحرز الأماني، والدرر اللوامع، ومورد الظمّان مع ذيله، حفظا وفهما مع البحث والأمعان.

له في تحقيق ألفية ابن مالك، وتحقيق شرحها : القدم الراسخ، واليد الطولى، قل من يتقن المرادي، ضبطا لألفاظه، وشواهده، وحلا لمغلقه، وإيضاحا لمقاصده، مثله.

قال عنه المنجور : ختمت عليه القرآن العزيز بالقراءات السبع، وحضرت عليه الألفية بمسجد الصوافين، يقتصر فيها على حك اللفظ، وربما يبحث على المكودي، أو يعترضه، وقرأت عليه جملة وافرة من الخزرجية ومن الشاطبية الكبرى بلفظي إلى سورة الأنعام، كنت أقرأها عليه بين المغرب والعشاء، بجامع القرويين ينقل عليها من الجعبري.(134)

تلكم كانت بعض الشخصيات اللامعة في العلوم في العهد الوطاسي، والتي كان للوقف الأثر البارز في تنشيطها وفي فعاليتها، ولم يكن عهد الوطاسيين يقتصر على تنشيط المعرفة بواسطة الجوامع والكراسي العلمية المبثوثة فيها، وفي مدارس بني مرين فحسب. بل تجاوز ذلك إلى الإسهام في تأسيس بعض المدارس العلمية، حيث أسسوا مدرسة عجيسة، وهذا ما يشير إليه

133) انظر المصدر السالف أعلاه ص 68.

134) انظر فهرس المنجور ص 63 ـ 64.

الدكتـور عبد الهــادي التــازي فــي كتابـه جامــع القـرويين(135) حيـث قــال :

«وبعـد مرين، حــاول بنو وطــاس أن يسهموا بعمل مــا في هذا البـاب، فأنشأوا سنة 840هـ فيمــا يظـهــر مدرســة على اتصــال بـجامــع باب الجيسة(136) شمالي القرويين «وأن جامع باب الجيســة مؤسسة مرينية كما هـو ثابت... ومن القـريب إلى الواقع أن تكـون المدرسة قـد أسست في زمن واحد مع المسجد، ومما يزيدنا اعتقادا في أن المدرسة قديمة : أنه ورد ذكرها في بعض الحوالات الوقفية ممــا يرجع إلى سنة 973هـ) أي قرنين من الزمن قبل عهـد السلطـان سيـدي محمـد بـن عبـد اللـه الـذي تنسب المدرســة إليه».(137)

أمــا عن دور الوقف في الحيــاة الثقافيــة بالنسبـة لهذه المدرسة، فنجـد مختلف العقارات التي وقفت عليهــا في الحوالة الجديدة لأحبــاس فاس(138) كما يلي :

– جميع عرصــة ابن الصغير الكائنة بأعلى زقاق الـرمان، وتجاور عين اصليتن بما اشتملت عليه من المرافق.

---

135) انظر ج 2 ص : 360 منه وكذا هامش رقم 30 من الكتاب المذكور.

136) كلمة الجيسة أصلها عجيسة، وعجيسة هو ابن دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي، وقد نــازع أخاه الفتـوح على السلطة، فــاستولى على عـدوة القرويين، بينما أخـوه كان بعـدوة الأندلـس، فافترق أمر فـاس وأعمالها بافتراقهما، وقـامت الحرب بينهما، وبنى الفتـوح قصبة منيعـة بالكـدان، وبنى عجيسة أيضــا قصبة مثلهــا برأس عقبـة السعتر من عدوة القــرويين، وكثرت العداوة بينهما، فكـانا لا يفترقان عن القتال ليلا ونهارا، وعظم الخوف بــالمغرب، وكثر الهرج، وغلت الأسعار، واشتـدت المجاعة، وظهرت لمتـونة على أطراف البلاد بملـوكها... وليس لأهل فــاس شغل إلا القتال، واستمـر الأمر على ذلك ثــلاث سنين إلى أن بيت الفتوح عجيســة، فاقتحم عليـه عدوة القرويين ليلا، فقتلـه، واستولى على العدوتين معا، فأمـر بتغيير إسم الباب عجيسة، فأسقط الناس العين من عجيســة وعوضوا عنها الألف واللام، فقالـوا : باب الجيسة قــاله في القـرطاس. والفتـــوح تـولى الملك بعد مـــوت أبيـه دونــاس سنـــة إحـدى وثــلاثين وأربعمائة هـ انظر الاستقصا ج 1 ص 222.

137) انظر هامش رقم 30 من كتاب جامع القرويين ج 2 ص 364 للدكتور التازي.

138) رقم الميكروفيلم 157 ورقم النسخة الخطية منها 45 في صحيفتي 82 ـ 83.

– وجميع المعصرة الجديدة المخرجة من العرصة المذكورة.

– وجميع كوشة الجبص المتصلة بالمعصرة المذكورة المخرجة من العرصة المذكورة.

– وجميع الزريبة المتصلة بالكوشة قبلها، وبها مطمورتان المخرجة أيضا من العرصة أعلاه، زيد فيها وصارت معصرة مستأجرة بيد الحاج الطاهر بن علال بناني.

– وجميع المعصرة الجديدة المجاورة للمعصرة الأولى أعلاه.

– وبقعة طرق من عرصة ابن الصغير.

وقطعة عرصة ابن الصغير قدرها : 58 ذراعا، ومثلها عرضا عن يمين الداخل المجاورة لضريح سيدي العجالي، ولعرصة الشليح، ولعرصة ابن الصغير من الجهات الثلاث : استأجرها الحاج أحمد بن سيدي محمد صفيرة لعشرين عاما بـ : 50 مثقالا من عام 1309هـ هذا، ولعل فيما سقته في هذا الفصل ما يدل دلالة صريحة على ما كان للوقف من أثر في الحياة الثقافية في عهد الدولة الوطاسية، مما يجعلنا ننتقل إلى الحديث عن دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة السعدية في الفصل التالي :

الفصل السابع

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة السعدية



الفصل السابع

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة السعدية

الواقع أن الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة السعدية، ازدهرت أيما ازدهار، وكان ذلك يرجع إلى عدة عوامل، أهمها : الأوقاف المخصصة للعلماء الذين يقومون بالتعليم، سواء في المدارس، أو في المساجد، أو المخصصة للكتب العلمية، التي تشحن بها الخزانات والمكتبات التي يستفيد منها طلبة العلم...

ومن الثابت تاريخيا : أنه في عهد هذه الدولة قد وجدت عدة شخصيات مرموقة في علمي المعقول والمنقول كانت نجوما لامعة في سماء العلم، عرفت برصيدها المعرفي الغزير، أستطاعت أن تؤدي رسالتها العلمية للخاص والعام من الناس، وقد شجعها على تأدية هذه الرسالة : ما خصص لها من مستفاد الأوقاف، إلى جانب ما كان لها من حوافز أخرى عقدية وغيرها، جعلتها تستمر في نشر المعرفة، ابتغاه وجه الله تعالى، وامتثالا لأوامره سبحانه وتعالى.

ومن بين هذه الشخصيات :

1 - أبو العباس أحمد بن علي المنجور (ت 995 هـ) :

فقد قرظ هذا العالم : أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى الكَلالي بقوله فيه :(139) «...رئيس المحققين في وقته، وآخر المصنفين : الفقيه

---

139) في رسالته «تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان لمدعي استحقاق الفتوى : آجليان ص 15 من مخطوط رقم 571 حرف ك موجود بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط.



حوالة 973 مأخوذة من «حواويل قدام» وفي الحوالة ما هو بخط سيدي عبد الواحد الونشريسي وتبتدئُ بتَـعْـدَادِ مدارس القرويين ثم تذكر بعض المساجد القديمة...

المشارك المعقولي الأصولي الإمام العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن علي المنجور الفاسي رحمه الله تعالى، **قرأ أحباسه شتوة ذلك العام**، وكان أصحابه يأتون به بين أيديهم، أحد الآخذين بيده الداخل تحت منكبه الفقيه النجيب الأريب : صهره أبو الحسن سيدي علي بولعراب والآخر الذي كان يقابله، لم أتحققه الآن، وكان رحمه الله **يقرأ التفسير على الكرسي الكائن عن يسار الداخل من الباب المقابل لباب القراقين من جامع القرويين** - شرفها الله بدوام ذكره - وهي الباب القريبة للمنار...» وإلى جانب كرسي التفسير الذي يشغله، فإنه كان يقرأ أيضا صبيحة يوم الخميس ويوم الجمعة قصيد ابن زكري **في التوحيد على الكرسي الكائن عن يمين الطالع للمستودع الكائن عن يمين الداخل من باب الحفاة بجامع القرويين.**

إلى جانب ذلك : كان له كرسي في الحديث، فقد كان يقرأ **صحيح مسلم على الكرسي القريب من باب الكتبيين من الجامع المذكور، وذلك بين العشائين.**

كما كان له **كرسي في الفقه،** فقد كان يقرأ عليه - بعد صلاة الظهر أسفل السبع الكائن عن يسار الداخل من مسجد الجنائز للجامع المذكور - **مختصر ابن الحاجب**، كما كان يقرأ عليه **صغرى الشيخ السنوسي.**

توفي رحمه الله ليلة الإثنين سادس ذي القعدة الحرام عام خمسة وتسعين وتسعمائة ودفن رحمه الله خارج باب الفتوح تحت روضة سيدي رضوان.(140)

2 - أبو العباس أحمد بن علي الزموري (1001 هـ) :

فقد كان هذا العالم من العلماء المرموقين في عهده، وكانت له عدة كراسي، من بينها : كرسي التفسير بجامع الأندلس، فقد كان يقرأ فيه غداة الصباح،

140) انظر المصدر السابق أعلاه ص 16.

يقع هذا الكرسي عن يمين الداخل من الباب المقابلة لمدرسة الوادي، وعن يسار الداخل من الباب المقابلة للمدرسة الصغرى هناك... وكان التفسير الذي يقرأه هو تفسير الإمام **الفخر، لكون الحبس عليه.**(141)

كما كان له كرسي بجامع القرويين يقع خلف ظهر الصومعة إلا أنه ولاه لتلميذه علي بن عبد الرحمن السلاسي، كما **كان بيده كرسي المرادي بمدرسة العطارين** بعد صلاة العصر.

وقد بقي يؤدي رسالته إلى أن وافاه أجله رحمه الله عام (1001هـ) فدفن بروضة سيدي الخياط بحومة الدوم بفاس.

يحكي عنه أنه كان بينه وبين سيدي عبد الواحد الحميدي منافسة دنيوية كبيرة حتى أن القاضي الحميدي تنفس الصعداء لخبر موته.

3 – **أبو محمد عبد الواحد الحميدي (1003 هـ) :**

كان الحميدي عالما من الأعلام مشاركا في كل الفنون والعلوم.

فقد قرأ **التفسير في فصل الشتاء** على الكرسي عن يمين الخارج من الباب المقابلة لوجه الخارج بانحراف يسير لدرب ابن حيون.

وبعد التفسير يقرأ **رسالة ابن أبي زيد، وحكم ابن عطاء الله.**

كما كان يقرأ تهذيب البراذعي للمدونة بقبة المدرسة المصباحية قبل صلاة الظهر، وكان يقرأ أيضا – مختصر خليل إلى نداء العصر أو صلاتها... وكان قارئً مجلسيه في المدونة والمختصر : الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان المكناسي، وكان يقرأ بعد الفراغ من المختصر : مغني ابن هشام في آخر عمره. وهكذا استمر طوال حياته في نشر العلم إلى أن توفي رحمه الله عشية يوم السبت بعد العصر 18 ربيع الثاني عام 1003هـ ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بروضة سيدي أبي زيد الهزميري خارج باب

141) انظر المصدر أعلاه ص 17.



حوالة 974 : محاصة بعض المساجد ابن أبي مدين بزقاق الحجر - مسجد حجامة - القباقي - اللأرازين - مسجد برقشانة...

مصمـودة وقد حضر جنـازتـه خلق كثير، وعلى رأسـهم : السلطان امحمـد السعدي، ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه.(142)

4 – أبو القاسم ابن سودة المري : (1004 هـ) :

وقد كان ابن سودة هذا من بين العلماء الذين توزعوا الكراسي التي كانت للفقيه أحمد المنجور بعد وفاته :

أما العلماء الذين توزعوا هذه الكراسي، فهم :

1 – القاضي عبد الواحد الحميدي (ت 1003 هـ).

2 – أبو القاسم ابن سودة المري (ت 1004 هـ).

3 – أبو القاسم ابن أبي النعيم (ت 1032 هـ).

4 – أبو زكرياء يحيى بن محمد السراج (ت 1007 هـ).

وقد قال الدكتور التازي عن هذا التوزيع ما يلي.(143)

«... فقد علمنـا أنه – بعد أن وصلت أخبـار وفاة المنجور إلى العـاصمة مراكش – وزع المنصـور السعدي مالـه – للمنجور – بين أبي النعيم وابن سودة، وكانا آنذاك في زيـارة العاهل، وقد صادف الحال أن وزع ولي العهد بفاس (ما) للمنجور بين السراج والحميدي.

فلما عـاد الأولان، تم الإتفـاق على تسـويـة بين الأربعـة بإشراف الأمير المأمـون : تمسك السراج بحصة مـن كراسي المنجـور، إرضـاء لولي العهـد، وأعطيت الحصة البـاقية لابن سودة، إرضـاء للعاهل... وتمت تـرضية ابن أبي النعيم بإعطـائه كـرسي السراج في مستـودع بـاب الحفـاة، وتـرضيـة الحميدي بإعطائه الكـرسي الذي كان يقصده خـواص الطلبة والفقهاء، حيث اعتادوا سماع الدروس المطرزة بالنكت والغرائب والبحوث...».

---

142) انظـر حبه لطلبتـه وعطفه عليهم ومسـاعدتـه إياهم ومختلف الشخصيـات العالمة التي كـانت تحضر دروسه في المصدر السابق أعلاه ص : 19 ـ 20 21.

143) في كتاب جامع القرويين ج 2 ص 380.

وكـان هـذا الكـرسي، هـو مـا كان يسـمى **كـرسي الونشـريسـي، وكـرسي القاضي.**

وعنه قـال الدكتـور التازي : والـواقع أن هذا الكـرسي يعد من الـوجهة المادية أيضا من أثـرى الكراسي العلميـة، وأغناهـا بالقـرويين، ولذلك كـان معروفـا لدى النـاس بكرسي القاضي، وقـد نعت في الحوالة السليمانيـة بأنه كرسي باب الصالحين.

وقد وجـدت من أحباسـه اثنتا عشرة حانـوتا بـالقيسارية والعطارين وتسعـة بـالسبطريين، وتسعـة بعين علـون، وأربعـة بالسقـاطين وسبعـة بالصفاحين، وأحـد عشر عقارا إلى ثمان وثلاثين بقعة مـوزعة في أهم جهات المدينـة يكون المجمـوع تسعـا وأربعين عتبـة، وهو قـد يقـرب من الثمانين والسبعين الموقوفة على كرسي الورياكَـلـي، كما تقدم.(144)

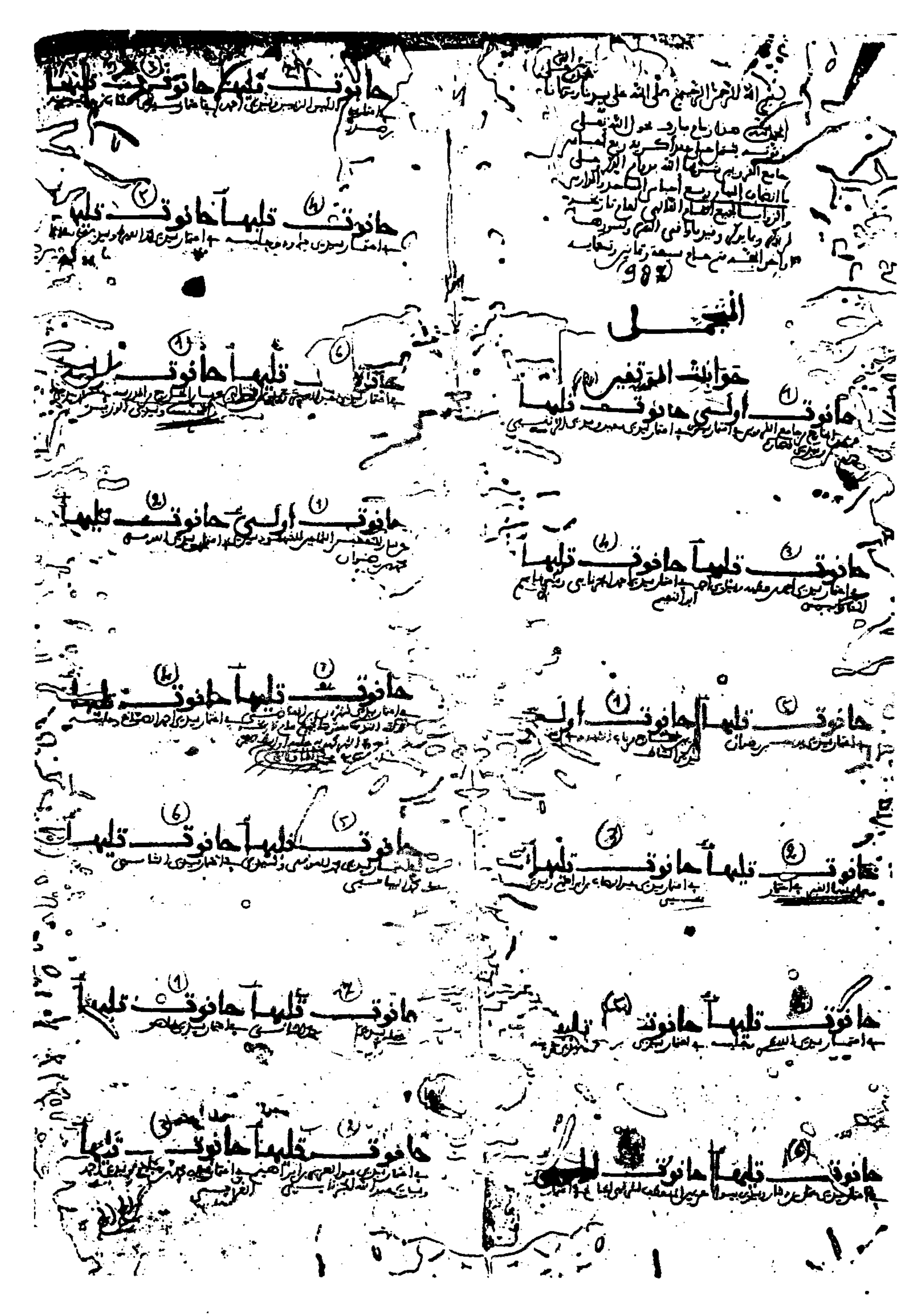
5 – **أبو زكرياء يحيى بن محمد السراج (1007 هـ) :**

كان السراج يقـرأ التفسير لما مات المنجور، وانتقـل لكرسيه، وكـان يقرأ بعـد تفـريق مجلس تفسيره مختصر الشيخ (خليل) قرب بـاب المقصورة، مسندا ظهره إلى حائط القبلة من ناحيـة الخزانة، وكان قارئه بها الفقيه عبد الرحمن بن عثمان المكناسي.

ومن عادته : أنه لا يجلس للإقراء هناك إلا بمفاتيح المقصورة بيده.

ومن عادته – رحمه الله – في فصل الشتاء : إذا فرغ من إقراء المختصر حيث ذكر، يمشي لمدرسة العطارين يقـرىء هناك المدونة على الكرسي المقابل وجه الـداخل لقبلتها، فإذا فرغ، يـرجع إلى المقصورة، ثم يسير إلى مـدرسة الحلفاويين يقـرىء هناك مدونة أخـرى له عليها حبس... ولما تـوفي القاضي الحميدي، تولى هو الخطابـة في الأعياد بالسلطان (أحمد المنصور السعدي)

144) جامع القرويين ج 2 ص 380.



حوالة 987 زمام منها بأكرية أحباس جامع القرويين شرفها الله
وما انضاف إليها من أحباس المساجد والمدارس والزوايا...

إلا أنه لما قرب أجله وضعف بدنه، مات ولده محمد، فاعترضه ذهول في عقله، حتى كان يأتي للخطبة ولا يجد ما يقول، وكذا في إقرائه آخر الحال مع أنه رحمه الله له خطب متعددة أنشأها من عندياته لنفسه، وكان يحفظ مختصر الشيخ، وسائر تقاييده لا يحتاج فيها إلى نظر.(145) ثم بعد ذلك توفي رحمه الله في التاريخ المشار إليه أعلاه.

6 – **أبو عبد الله محمد القصار (ت 1012 هـ) :**

ما إن توفي السراج حتى عين المنصور السعدي مكانه الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم بن علي القصار القيسي الغرناطي الفاسي، وكان يومئذ بمراكش، فقد كتب له الفتوى، وجميع أحباسه.

إن الفقيه القصار كان متبحرا في جميع العلوم معقولها ومنقولها، وكانت له معرفة بالتاريخ، وأنساب الناس، وبغض النظر عما تولاه من الفتوى، وأخذه أحباس السراج، فإنه تولى **كرسي التفسير** الذي كان للزموري بجامع الأندلس، كما تولى **كرسي المرادى** الذي كان للزموري أيضا **بمدرسة العطارين.**

قال عنه المحبي في خلاصة الأثر :

«إن سوق المعقول كان كاسدا في فاس، فنفق في زمن القصار ما كان كاسدا من سوق الأصلين والمنطق والبيان، وسائر العلوم».(146)

إن القصار لما أحله المنصور السعدي محل السراج، انتقل إلى فاس، فجاءها وهو يتزامن مع الفيل الداخل لها، وذلك في يوم الإثنين 16 رمضان

---

145) تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان لمدعي استحقاق الفتوى آجليان، لأبي سالم الكَلالي.. الفصلة الخاصة بهذا في مخطوط رقم 571 حرف ك بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط، وانظر مزيد بيان عن السراج هناك في ص 20 ـ 21.

146) انظر رسالة «تنبيه الصغير من الولدان... الكَلالي الآنفة الذكر، وكذا الاستقصا ج 6 ص 14 و ج5 ص 145، وروضة الآس للمقري ص 316.

عن عام 1007هـ وقد خطب يوم الجمعة الموفي 20 رمضان على منبر القرويين، وبقي خطيبا مفتيا إلى وفاته رحمه الله.

7 – محمد الشريف المريني التلمساني (ت 1018 هـ) :

كان التلمساني من بين العلماء الذين أثروا الكراسي العلمية في هذه الفترة.

فقد كان يقرىء رسالة الشيخ بن أبي زيد القيرواني فوق الكرسي الكائن بظهر الخصة من جامع القرويين بعد صلاة الصبح كل يوم، ومن الطلبة الذين كانوا يلازمون مجلسه – حسبما في رسالة الكَلالي المشار إليها أعلاه :

– الفقيه أبو الحاج سيدي يوسف بن محمد الشريف الزروالي.

– الفقيه أبو علي سيدي الحسن بن مهدي الزياتي، وكان مأواه حينئذ بمدرسة الحلفاويين.
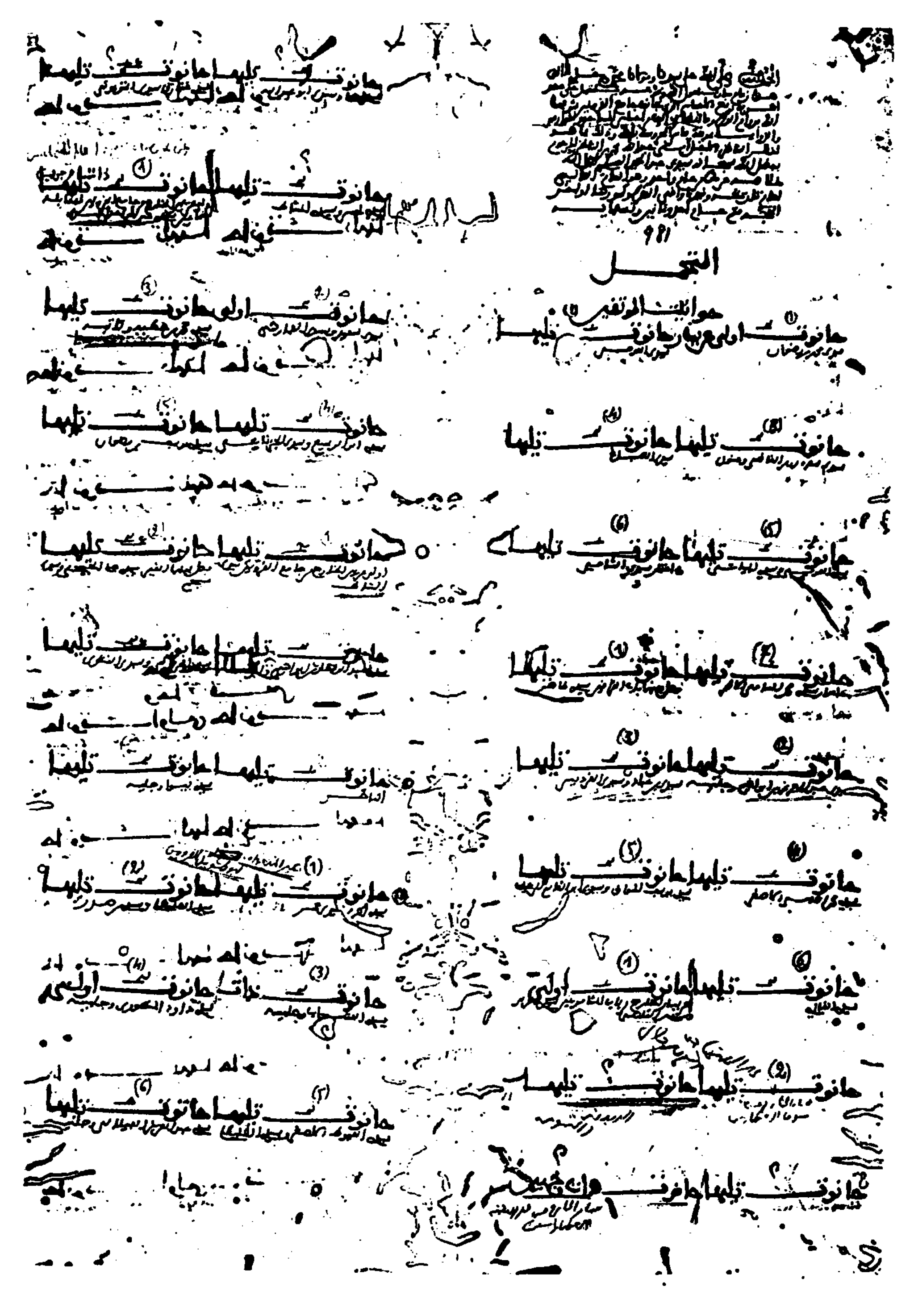
– الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد البطيوي مخشان الشفشاوني.

– والفقيه أبو عبد الله سيدي محمد البطيوي مع جماعة غيرهم ممن لا معرفة لنا بهم، وكانوا يسكنون بمدرسة الحلفاويين.

– والفقيه أبو عبد الله محمد الشريف الجمالي القصري المستوطن بمدرسة العطارين، وكان من طلبة سيدي مصباح، ملازما هناك الأستاذ المحقق (أبو القاسم الفيلالي).

– والفقيه المشارك سيدي أحمد الفركلي، وجماعة من الطلبة المعتبرين من أهل فاس، ومن جملة الطلبة الحاضرين : الطالب سيدي عبد العزيز الزمراني.

وكان إذا فرغ من الرسالة، ينزل للأرض يقرأ : **صغرى الشيخ السنوسي**، وفي بعض الأوقات كان يقرأ ألفية ابن مالك، ملتزما بسيدي المكودي».



حوالة 981 فيها تقاييد الأكرية التي بجانب جامع القرويين شرفها الله وما انضاف إليها من أحباس المساجد والمدارس والزوايا وكانت تحت إشراف الناظر الأجل محمد بن عبد الحميد العسكري

«وفي بعض الأوقات يقرأ **كبرى الشيخ السنوسي**، كل ذلك على اختلاف أغـراض الطـالبين للشيخ المذكـور فيما يتبرع بقـراءتـه بعـد الفـراغ من حبسه.(147)

وإذا كـان الوقف في هـذه الفترة قد سـاعد على نشر الثقـافة وتنميتهـا بفاس، فإنـه كان لـه دور في نشرها وتنميتها بـالجنوب، سـواء بمراكش أو بسوس.

أولا : أما بالنسبة لمراكش :

فقد ابتنت أم المنصور السعدي : مسعودة الـوزكَـيـتيـة : جامعا عظيما بباب دكالـة بمراكش، وأكثرت عليه من الأوقـاف والجرايات وخزائن الكتب وكراسي أنواع العلوم.

وعن هذا الجامع يحدثنا الفقيه المقري التلمساني بقوله :

«وقد صليت فيه الجمعـة مرارا ورأيت جماعة أعلام يدرسـون به أنواع العلوم... ثم قـال عن أم المنصور: ...بانيتـه في وثيقة التحبيس «...فحبست لوجـه الله العظيم، ورجـاء ثوابـه الجسيم، والنعيم المقيم، جميع 70 حانوتا غير نصف حانوت الواجبة لها في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكن المارستان المخترعة لها على وادي تسلطـانت القريب من أرحاء أولاد الأمين محمد بن قاسم القسطلي، وأولاد التاجـر عبد الله التنجار في، المشتمل على أربع مـدارات، مع جميع داره المبنيـة لـه، وجميع العين الكبرى التي تملكتها من ورثة أحمد بن ربوح الكائنة بـالمخالص خارج باب تاغزوت مع جميع أرضها وجنـانها ومائها، مـا عدا الحظ الواجب لأولاد الـولي الصـالح السيد أبي عمـر والقسطلي بجميع منافع ذلك كله وحقـوقه : الداخليـة فيه، والخارجية عنه، وما عد، وما نسب إليه، جعلته حبسا مؤبدا، ووقفا مخلدا،

---

147) رسالة تنبيه الصغير من الولدان ص 16.

يحاز بما تحاز به الأوقاف، ويحترم بحرمتها، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليهـا، على جامعهـا الأعظم السعيـد المخترع لها الجديـد بين حومتي بـاب الرخا، وباب دكالة من حضرتهم المراكشية الذي هو لكريم جنابها منسوب، ولعظيم أجرها مجلوب أحيت به ذلك المكـان الميت، وألهمها الله قوله : «وما رميت إذ رميت» تأنقت في بنـائه، وبلغت الغاية الممكنـة في إنشائه، وأمـدته بعين الما، لأسباغ الطهور وإرواء الظما، فجاء محكم الانشا، وأغنى عن الدلو والرشا، فما أعظم (منة) منت بها، وأجل قدر هبتها في مواهبها، فالله سبحانه مجازيها عن كل كبد رطبـة سقتها، ومشقة صعبة وقتها، بكـل صعبة أجرا يقود منها إلى أفضل ألف، ويضاعفـه إلى مائة ألف ضعف، وتصير الأوقاف المذكورة بصرف خراجهـا ومستفادها في مصالح الجامع المذكـور من مرتب أئمتـه وفقهائه وقـرائه، ومؤذنيـه، القيمين بسـائر وظائفـه، وإجراء مـائه، وإكمال بنائه قالت ذلك وأشهدت به على نفسها، حسبما وضعت به خاتمها المتضمن اسمهـا في أواسط شهـر اللـــه المحـرم من عـام خمســة وتسعين وتسعمائة.(148)

ثانيا : وأما بالنسبة لسوس :

فقد عرفت نجوما لوامع في الفكر والثقـافة، كانت هذه النجوم تغذى من قبل الأوقاف. ومن بين اللامعين في سماء المعـرفة ببلدة تارودانت (المحمدية) وحدها :

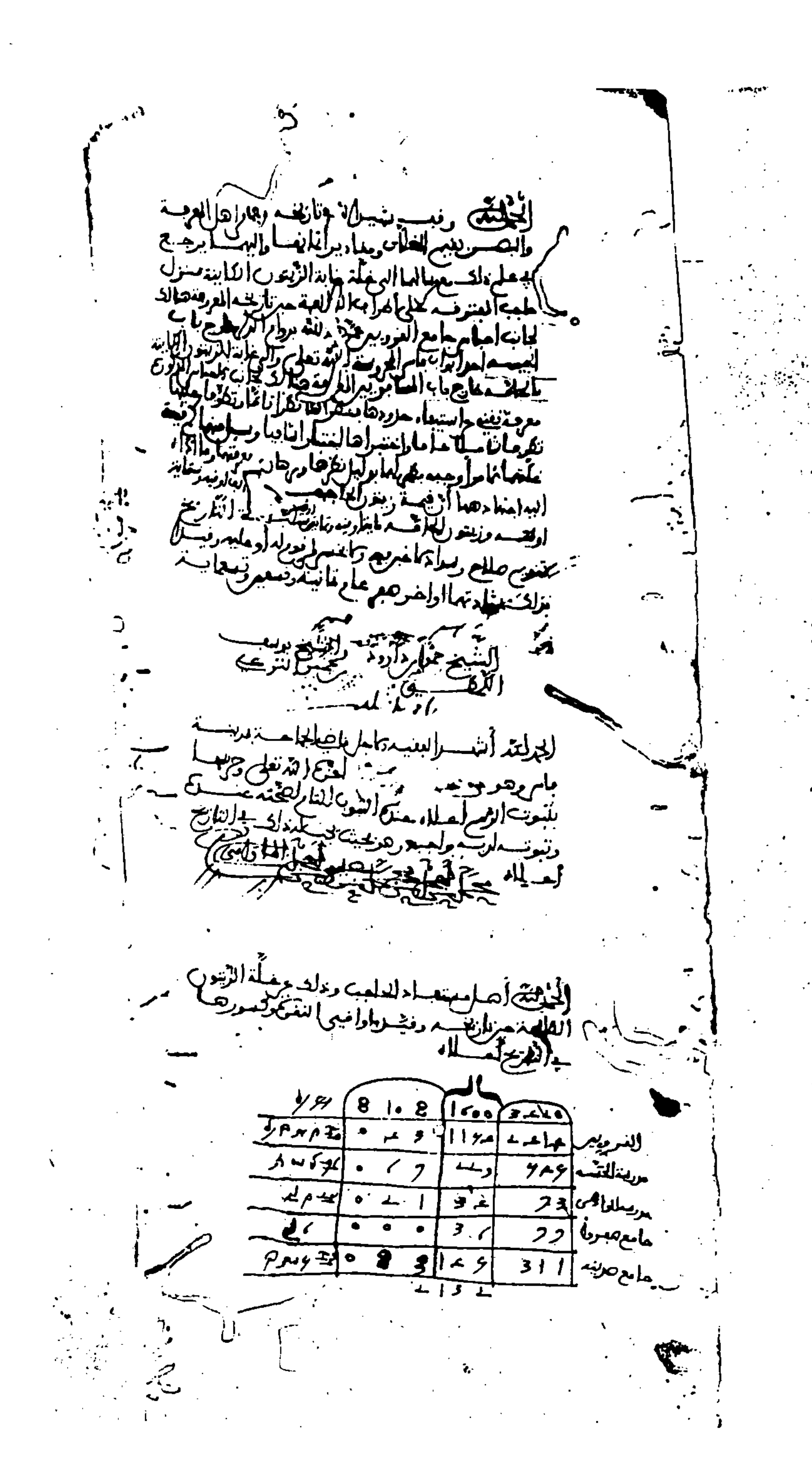
1 – منصور بن محمد المومني (1000 هـ / 1592 م) :

فقد قرأ هذا العالم بسوس ومراكش وفاس من قبل أن يستقر بالمحمدية مدرسا للعلوم العقلية، خاصة من منطق وبلاغة وأصول وكلام.(149)

---

148) انظر نص ديباجة وثيقة تحبيسها في روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مـراكس وفـاس، لأبي العبـاس أحمد المقـرى ص 63 ـ 66 المطبعة الملكية بـالرباط (1383هـ / 1964).

149) الحركة الفكريـة بالمغرب في عهد السعديين للـدكتور محمد حجي ج 2 ص 406 مطبعة فضالة شوال 1398 / شتنبر 1978.



حوالة 998 قوائم لغابات الزيتـون التابعـة لأوقاف القروييـن،
يلاحـظ استعمـال الأرقـام الغبارـيـة في الجـدول أسفل الوثيقـة

2 – سعيد بن علي الهوزالي (ت 1001 هـ / 1592 م) :

فقد : «ولي قضاء الجماعة بالمحمدية نيفا وثلاثين سنة قضاها في تدريس العلوم الشرعية واللغوية والحدب على الطلبة، إذ كان **المتصرف في أوقاف التعليم الغنية بهذه المدينة.**

وقد ذهب الدكتور محمد حجي إلى أن الهوزاليين كانوا يمثلون إحدى الأسر العلمية بالمحمدية لهذا العهد، مثلما كان يمثلها في فاس آل الزقاق، وآل القاضي، وآل ابن إبراهيم المشنزائيون، منهم :

أ – محمد بن علي الهوزالي (ت 1012 / 1604) : الأديب المعروف بالنابغة شارح ديوان المتنبي، فهو إلى ذلك الأدب الجم، فقيه مشارك، ولي قبل أن ينتقل إلى بلاط أحمد المنصور في مراكش : القضاء ببعض المناطق السوسية، وأسندت إليه الفتوى والتدريس بحاضرة المحمدية، حيث كان يمزج الفقه بل دروس الفقه بالأدب والتاريخ.

ب – أحمد بن مسعود الهوزالي (ت 1030 / 1621).

ج – بلقاسم بن أحمد الهوزالي (ت 1048 / 1639).

د – منصور الهوزالي (ت 1074 / 1663).

3 – محمد بن أحمد ابن الوقاد (ت 1001 / 92 – 1593) :

«... لم تقتصر دروس ابن الوقاد على ما كان السوسيون يتعاطونه عادة من قراءات وفقه، وقواعد اللغة، وإنما شملت التفسير والحديث والأدب أيضا، وهو أول من قرأ الجامع الصحيح للبخاري بتارودانت، قراءة ضبط وإتقان وخطب فيها ببراعة اللسان، وأول من أحيى ليلة المولد باجتماع الناس في منزله، وقراءة قصائد مدحه ﷺ.(150)

---

150) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 412 ـ 413.

4 – **عبد الرحمن ابن الوقاد (ت 1057 / 1547) :**

وخلفه في الخطابة والإمامة والتدريس بالجامع الكبير، وكان مثله فصاحة تعبير، وجودة إلقاء، وسعة أفق.

وعاش عبد الـرحمن بين أظهر سكان المحمدية مدة أطـول من مدة أبيه، فأتـم مهمة تهذيـب الأذواق، وتطويـع الألسنة على التعبيـر العـربي المسلم دون لكنـة ولا توقـف، وأمسى شيخ المحدثيـن في القـطر السوسـي كله.

5 – **عبد الرحمـن بن محمد التمنارتي (ت حوالي 1060 / 1650) :**

جـاء إلى تارودانت عـام 991 / 1583 وهـو ما يـزال طفلا ذا ذؤابـة، فلازمهـا سائر أيـام حياتـه طالـبا، ثم عالـما مدرسـا، وقاضـيا مفتـيا، ومؤلفـا لامعا.

وإليه يرجع الفضل في تـدوين أخبار الحياة العلمية بالمحمـدية وسوس عموما، خلال القرن الهجري الحادي عشر، من بين مؤلفاته :

الفوائد الجمة، في إسناد علوم الأمة.(151)

لقد كـان الوقف يساعد على تنميـة الثقافة ويشجعهـا عن طريق الكتب التي توقف من المحسنين، وقـد كانت ظاهرة وقف الكتب ظـاهرة صحية في هذه الفترة، كما كانت في الفترات التي قبلها.

ونتيجـة لذلك، نـلاحظ وجـود مكتبـات عامـة أنشئت وشحنت بـآلاف المخطوطـات، بغية مساعدة طـالب العلم، وتيسير وسائل المعرفـة له، حتى يتمكن من دراسة العلوم، ومن بين هذه المكتبات، بناء على ما أورده الدكتور محمد حجي:(152)

---

151) المرجع ونفس الجزء أعلاه ص 406.

152) في كتابه الحركة الفكرية في عهد السعديين ج 1 ص 185.

[illegible]

الجزؤ التاسع من الفتوحات المكية للشيخ العارف

بالله تعالى محيي الدين ابن العربي

رضي الله تعالى عنه ونفعنا به

وببركاته في الدين والدنيا

والاخرة والمسلمين

آمين آمين

الحمد لله حبس مولانا [illegible]

وقف أبو فارس هذا الجزء من كتاب الفتوحات الملكية للإمام محي الدين ابن العربي
وهو يوجد بمكتبة الجامع الكبير بمكناس تحت عدد 7

1 - **مكتبة ابن يوسف بمراكش :**

فقد أسس هذه المكتبة السلطان عبد الله الغالب السعدي حوالي 965هـ / 1558م عندما جدد المدرسة الكبرى المتصلة بجامع علي بن يوسف المرابطي، وفضلا عن الكتب التي أوقفها الغالب على هذه المكتبة ظل المؤلفون وغيرهم من العلماء وذوي اليسار، يتنافسون في وقف الكتب عليها.

ومن الملاحظ : أن المكتبة العامة بمراكش ما تزال تحتفظ حتى اليوم ببعض الكتب الموقوفة على مكتبة ابن يوسف في العصر السعدي مثل المخطوطات، أرقام : 385 - 464 - 499.

2 - **مكتبة جامع الشرفاء بمراكش :**

وهذه المكتبة هي أخت المكتبة السابقة أسسها في نفس التاريخ عبد الله الغالب وأوقف عليها من نفائس الكتب أكثر، وظل الأمراء السعديون، والمحسنون من العلماء والأثرياء، يوقفون عليها من أمهات الكتب ما جعلها في الجنوب قرينة مكتبة القرويين في الشمال، ومن هذه المكتبة كان أكثر استفادة أحمد بابا السوداني لتأليف كتبه الشهيرة في التراجم.

ويلاحظ أيضا أن من كتب جامع الشرفاء اليوم في المكتبة العامة بمراكش المخطوطين رقمي : 26 و139.(153)

3 - **مكتبة الحرم العباسي بمراكش :**

أسس هذه المكتبة الأمير أبو فارس عبد الله الواثق بن أحمد المنصور في قبلة الجامع الكبير الذي شيده بجوار ضريح أبي العباس السبتي، وقد عبر أحمد المقري عن كثرة الكتب التي أوقفها أبو فارس على هذه المكتبة بقوله :

---

153) انظر هامش رقم 11 من المرجع أعلاه ونفس الجزء ونفس الصحيفة.

«وحبس عليها خزائن من الكتب العتيقة، فكأنه جمع فيها ما يملأ مكتبات عديدة».

وقد لاحظ الدكتور حجي : أن كتب هذه المكتبة شتتت في المغرب وإسبانيا وأن من بين مخطوطاتها الباقية اليوم في المكتبة العامة بمكناس أرقام : 7 – 22 – 224 – 358 وفي الأسكوريال رقم 1840.(154)

4 – مكتبة جامع الحرة بمراكش :

فقد أسست هذه المكتبة : الحرة مسعودة الوزكَيتية أم السلطان أحمد المنصور السعدي، وذلك حوالي عام 995 / 1587 بنتها في قبلة الجامع الذي شيدته بباب دكالة، وأوقفت عليها جملة وافرة من الكتب العلمية، وتنافس في إهداء الكتب العلمية إلى هذه المكتبة كل من :

أحمد المنصور، وأبنائه، وأحفاده، وجملة من العلماء، والمعتنين، ومن المخطوطات الباقية من هذه المكتبة اليوم في المكتبة العامة بمراكش، المخطوطات التي تحمل أرقام : 64 – 112 – 136.(155)

5 – مكتبة الجامع الكبير بالمحمدية :

إنها من تأسيس امحمد المهدي الشيخ حوالي عام 935 / 1528 عندما جدد بناء مدينة تارودانت وتوالت العناية، بهذه المكتبة من لدن ملوك السعديين والعلماء السوسيين والتلمسانيين والأندلسيين الذين استوطنوا هذه المدينة.

ومن مخطوطات هذه المكتبة الباقية إلى اليوم : مخطوط المكتبة العامة بمكناس رقم : 409 وهو من تحبيس زيدان بن أحمد المنصور.(156)

---

154) المرجع أعلاه ونفس الجزء ونفس ص هامش 13.

155) المرجع أعلاه ونفس الجزء ونفس ص هامش 14.

156) المرجع أعلاه ص 186 هامش 15.

وقف الأمير زيدان ابن المنصور السعدي هذا الجزء من البخاري
وهو بمكتبة الجامع الأعظم بمكناس تحت عدد 395

6 – مكتبة المسجد الأعظم بمكناس :

أحيى السعديون هـذه المكتبة القديمة، وأوقفوا عليهـا العديد من الكتب، وازدادت عنايتهم بها عندما عين الأمير العـالم زيدان بن أحمد المنصور واليا على مكناس.

ومن مخطوطـاتها الباقيـة إلى اليوم في المكتبـة العامة بمكنـاس مخطوط رقم : 395 وهو من تحبيس الأمير زيدان.(157)

7 – مكتبة دار العدة في فجيج :

أسس هذه المكتبة في مطلع القـرن العاشر هـ / 16م الشيخ عبد الجبار بن أحمد العزوزي الفجيجي وأوقف عليها هو وأولاده العلماء كتبا كثيرة من ضمنها : تآليفهم في التفسير، والفقه، والأدب.

«حبس على من ينتفع بـه من الذريـة وغيرهم بالنظـر فيها، والانتسـاخ منها إن كان أهلا لذلك، ثم ترد بعد ذلك لمحلها... معقب مؤبد».(158)

8 – مكتبة الجامع الأعظم بآسفي :

حاول السعـديون أن يعيدوا إلى آسفـي المحررة حياتها الثقـافية الأولى، فجددوا جامعها الكبير، ومدرستها، ومكتبتهـا القديمة، وشارك الجمهور في إغناء مكتبـة الجامع الأعظم التي لم تستجلب القـراء إلا بعد مضي فترة غير قصيرة.

ومن مخطوطات هـذه المكتبة الباقية اليـوم في آسفي : جزء من مشارق الأنوار للقاضي عياض من تحبيس القائد عبد الله عام 1003 / 1594م.(159)

---

157) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص هامش 16.

158) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 187.

159) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 186 وهامش 18.

9 – مكتبة الجامع الكبير بالدلاء :

بنيت هذه المكتبة ضمن الجامع الكبير الذي أسسه الشيخ أبو بكر بن محمد الدلائي أواخر القرن 10 بزاوية الدلاء القديمة، وازداد عدد الكتب التي أغناها به أبناء الشيخ وأحفاده العلماء والأمراء، حتى أمست تعد بالآلاف، وشبهها بعض المؤرخين بمكتبة الخليفة الأموي الحكم المستنصر في قرطبة.(160)

10 – المكتبة الملكية بمراكش :

وهي مكتبة خاصة بالمنصور الذهبي.

وتعد هذه المكتبة أم المكتبات الخاصة في هذا العصر، وأهمها على الإطلاق حوت من نفائس مؤلفات القدماء والمحدثين ما لم تحوه مكتبة أخرى من قبل في هذا البلد، وأهدى إليها مآت المؤلفين كتبهم من المغرب والمشرق إلى ما حمل لها وانتسخ لحسابها طوال نحو قرن ونصف.

وبلغت المكتبة السعدية ذروة مجدها مع أحمد المنصور الذي رتب لها في قصره : خطاطين ماهرين للنساخة، وفنانين للتجليد، والتزويق وأخذوا يكتبون بدل المداد، بمحلول الذهب والعنبر المسقي بماء الورد، وينشفون بمسحوق الذهب، بدل التراب، فضلا عن الوراقين المشارقة الذين لم يفتروا عن إمداده بما ينتجون في القاهرة واصطمبول والحرمين الشريفين.

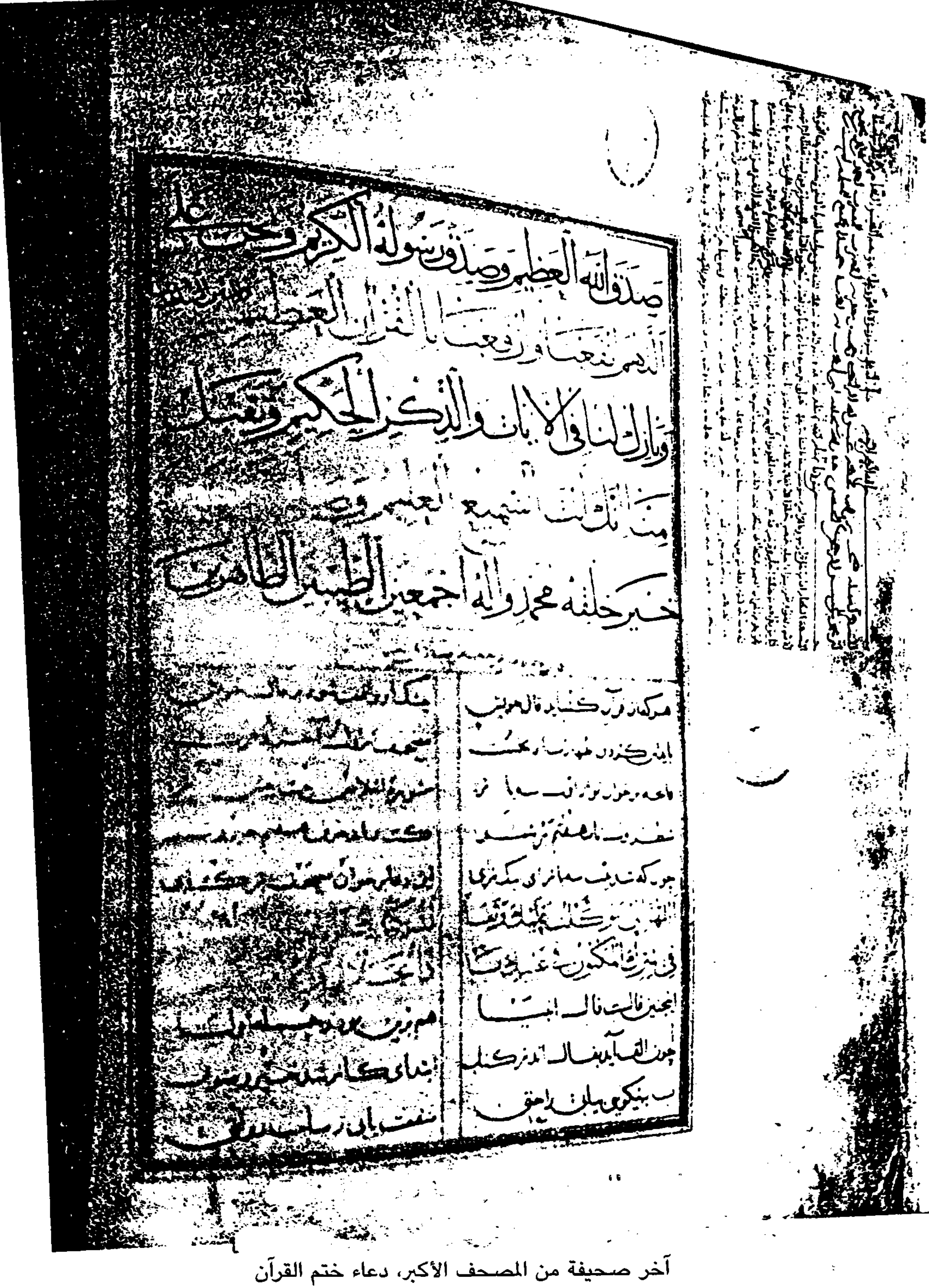
وزاد الدكتور حجي قائلا : «إننا نعتقد جازمين، أن الثلاثة آلالاف من الأسفار التي آلت إلى الأسكوريال ليست كل المكتبة الملكية السعدية، ولا تمثل حتى أهم ما كان فيها».(161)

تلكم كانت أهم المكتبات العامة الوقفية في عهد الدولة السعدية – بغض النظر عن المكتبة الخاصة بأحمد المنصور السعدي – والتي قامت بدور فعال في تنشيط الثقافة، وتنميتها.

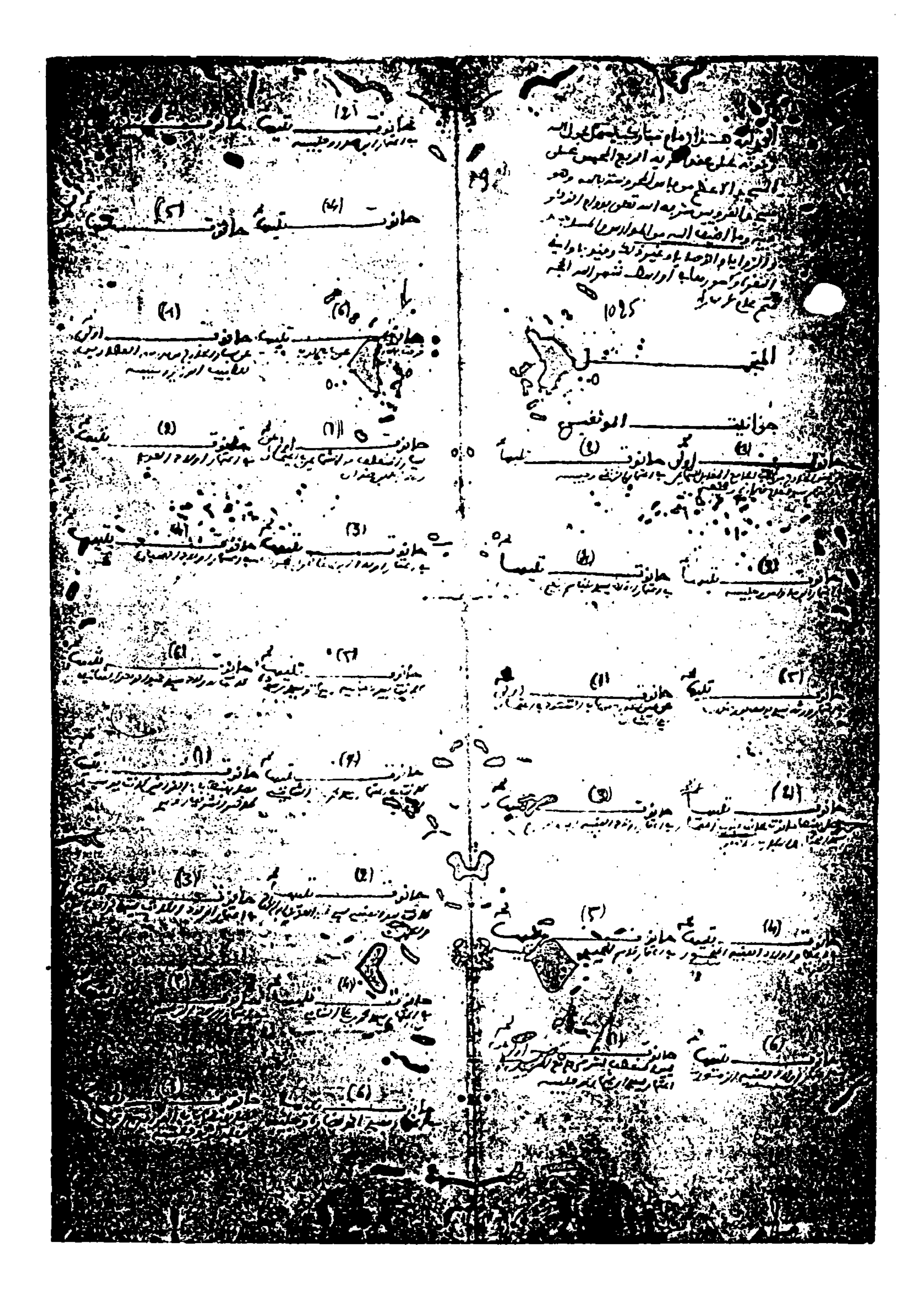
---

160) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 187.

161) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 190.



آخر صحيفة من المصحف الأكبر، دعاء ختم القرآن
يوجد المصحف بخزانة جامع القرويين بفاس،
هو من تحبيس السلطان المنصور السعدي أواسط رمضان المعظم من عام 1011هـ



حوالة 1025 تتضمن عدة زمامات فيها ما يتعلق أيضا بالأكرية الراجعة للقرويين
وما أضيف إليها من المدارس والمساجد والزوايا

وإلى جانب هذه المكتبات توجد مكتبات خاصة تزيد على 100 مكتبة، وهي لبعض الخواص في العهد السعدي.

وإنه بتأملنا في دور الوقف في الحياة الثقافية في هذا العهد، نجده قد شجع العلم والعلماء، وساعد الطلبة على الحصول على نسبة كبيرة من العلوم، مما جعل المغرب يصبح قبلة إشعاع فكري ومعرفي، يقصده كثير من طلاب المعارف.

وهكذا نكون – من خلال الباب التمهيدي – قد أعطينا نظرة مكثفة عن دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد ما قبل الدولة العلوية، لنتخلص بعد ذلك إلى الكلام على موضوع دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية الشريفة.

وحتى نوفي هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة، لابد لنا من معالجته في إطار أربعة أعصر، وهو ما يجعلنا نتناوله في أربعة أبواب :

الباب الأول : دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في العصر العلوي الأول.

الباب الثاني : دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في العصر العلوي الثاني.

الباب الثالث : دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في العصر العلوي الثالث.

الباب الرابع : دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في العصر العلوي الرابع.

الباب الأول

دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في العصر العلوي الأول

1050 – 1171 هـ / 1640 – 1757 م



الباب الأول

دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في العصر العلوي الأول

1050 – 1171 هـ / 1640 – 1757 م

مقدمة :

قبل أن نشرع في الكلام على دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في العصر العلوي الأول، يجدر بنا أن نقدم لذلك بما يبين أصل العلويين ونسبهم، وبداية ظهورهم، ودولتهم في المغرب.

أولا : أصل العلويين، ونسبهم :

ذهب المؤرخون إلى أن أصل الملوك العلويين، يرجع إلى أرض ينبع النخل بالحجاز التي كان عمر بن الخطاب أقطعها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فتناسلت ذريته هناك، واستقروا بها إلى أن خرج منها أحد الأشراف، وهو المولى : **حسن بن قاسم**، ودخل المغرب في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، فلقب بالداخل.

وقد بين صاحب الإستقصا.(162) نسب الدولة العلوية الشريفة، فقال : إن نسبها من أصرح الأنساب وسببها المتصل برسول الله ﷺ من أمتن الأسباب... وأول ملوكها هو المولى امحمد بن الشريف بن علي الشريف المراكشي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي بن الحسن بن محمد بن حسن الداخل بن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي

162) ج 7 ص 1.

بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن الحسن بن محمد بن عبد الله الأشتر بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ... هكذا ذكر هذا النسب، الذي هو حقيق بأن يسمى سلسلة الذهب، جماعة من العلماء، كالشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي، والشيخ أبي عبد الله محمد الغربي بن يوسف الفاسي، والعلامة الشريف أبي محمد عبد السلام القادري في كتابه : «الدرالسني فيما بفاس من النسب الحسني» وغيرهم.

ثانيا : بداية ظهور العلويين، ودولتهم في المغرب :

ينص المؤرخون على أن أول ظهور العلويين في المغرب يرجع إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري، كما سبق القول :

وإن أول من دخل منهم إلى المغرب، هو المولى حسن بن قاسم الملقب بالداخل، وقد ساق صاحب الإستقصا عدة أسباب في هذا الدخول.(163) من بينها :

1 - أن الشيخ أبا إبراهيم - وهو من ذرية عمر بن الخطاب - هو الذي جاء به...

2 - وقال بعضهم : إن أهل سجلماسة لم تكن تصلح الثمار ببلدهم، فذهبوا إلى الحجاز بقصد أن يأتوا برجل من أهل البيت تبركا به، فأتوا بالمولى حسن المذكور، فحقق الله رجاءهم، وأصلح ثمارهم، حتى عادت بلادهم، هي هجر المغرب.

3 - إن سبب إتيانهم به - المولى حسن بن قاسم - أن الأشراف من آل إدريس رضي الله عنه، كانوا قد تفرقوا ببلاد المغرب، وانتثر سلك - **نظامهم،**

163) ج 7 ص 3 ـ 5.

واستولى عليهم القتل والصغار من أمراء مكناسة وغيرهم، فقل الشرف بالمغرب، وأنكره كثير من أهله، حقنا لدمائهم، فلما طلع نجم الدولة المرينية بالمغرب، أكبروا الأشراف، ورفعوا أقدارهم واحترموهم، ولم يكن ببلد سجلماسة أحد من آل البيت الكريم، فأجمع رأي كبرائهم وأعيانهم أن ياتوا بمن يتبركون به من أهل ذلك النسب الشريف، فقيل :

إن الذهب يطلب من معدنه، والياقوت من موطنه، إن بلاد الحجاز، هي مقر الأشراف، وذلك الجوهر النفيس من أجل الأصداف، فذهبوا إلى الحجاز، وجاءو بالمولى حسن على ما ذكرناه، فأشرقت شمس البيت النبوي على سجلماسة، وأضاءت أرجاؤها، وظللتها من الشجرة الطيبة ظلالها وأفياؤها، حتى قيل :

إن مقبرة أهل سجلماسة، هي بقيع المغرب، وكفاها هذا شرفا وفخرا، ومزية وذخرا...

ومن اللافت للنظر : أن المولى حسن الداخل، كان رجلا صالحا ناسكا له مشاركة في العلوم، خصوصا علم البيان، فقد كانت له فيه اليد الطولى...

ولما توفي رحمه الله، لم يترك إلا ولدا واحدا هو محمد، ثم ولده هذا ترك هو أيضا ولدا واحدا أسماه الحسن.

أما الحسن، فقد ترك ولدين :

1 – أبا البركات المولى عبد الرحمن، وهو الأكبر.

2 – المولى علي بن الشريف المثنى، وهو الذي تفرعت عنه الدولة العلوية الشريفة... وقد ترك ثلاثة أولاد، وهم :

1 – **المولى محمد**. 2 – **المولى محرز**. 3 – **المولى هاشم** : جد الأشراف الأمرانيين.

أما المولى محمد، فقد ولد له المولى علي الشريف المراكشي مع عدة أولاد سواه، والمولى علي هذا هو جد الملوك العلويين أيضا، وتوفي بمراكش حيث

بنى عليه حافده المولى الرشيد قبة بديعة، تلقاء ضريح القاضي عياض رحمه الله.

وأما المولى علي الشريف المراكشي، فقد رزق تسعة أولاد، وهم :

1 – المولى الشريف اسما، وقد ولد في سنة 997هـ وهو جد الملوك العلويين أيضا. 2 – المولى الحفيد. 3 – المولى حجاج. 4 – المولى محرز. 5 – المولى حرون. 6 – المولى فضيل. 7 – المولى أبو زكرياء. 8 – المولى مبارك. 9 – المولى سعيد.

أما المولى الشريف، فكان أشرفهم وأفضلهم، وقد ولد له عدة أولاد كانوا نجوما زاهرة في تاريخ المغرب، وهم :

1 – المولى امحمد، وهو أكبرهم. 2 – المولى رشيد. 3 – المولى إسماعيل. وقد ولوا الأمر بالمغرب على الترتيب. 4 – المولى الحران. 5 – المولى محرز. 6 – المولى يوسف. 7 – المولى أحمد. 8 – المولى الكبير. 9 – المولى حمادة. 10 – المولى عباس. 11 – المولى سعيد. 12 – المولى هاشم. 13 – المولى علي. 14 – المولى مهدي. وهو شقيق المولى إسماعيل.(164)

أما عن بداية ظهور الدولة العلوية في المغرب، فيرجع السب فيها إلى ما قام به المولى الشريف بن علي من استصراخه أبا حسون السملالي المعروف بأبي دميعة – وكانت له صلة وصداقة مع المولى الشريف – على بني الزبير : أهل حصن تابوعصامت، بغية الاستيلاء على سجلماسة، بعد أن استولى على **سوس ودرعة**، ولم يكن من **أبي حسن إلا أن أقبل على سجلماسة، فاستولى عليها سنة** 1041، وولى عليها عاملا من قبله، ورجع إلى مقره من أرض سوس، غير أن أهل **تابوعصامت**، قد استصرخوا هم أيضا أهل زاوية الدلاء... وكادت الحرب تعصف بالطرفين معا لولا أن حال

164) انظر الاستقصا ج 7 ص 12.

بينهم وبينها بعد التفكير، فحقنوا دمـاء المسلمين، ورجعوا إلى حال سبيلهم، وكان ذلك في سنة 1043.

إلا أن عداوة تابـو عصامت بقيـت كامنـة في نفوسهم، حتى أوقعوا بين أبي حـسون... وبين الـشريف، حيـث أقبلوا عليـه يخدمـونه بأنفسهـم وأولادهم، ويظهـرون لـه النصـح حتـى أفسدوا فيما بينـه وبين المـولى الشريف.

ولما تأكد المولى امحمد، وهو الابن الأكبر للمولى الشريف، ما قاموا به من تآمر على والـده، قرر أن يرد لهم الصاع بالصـاع، فخرج إليهم ليلا في 200 فـارس، قصـد استئصـالهم، فحكم السيـوف في رقـابهم، وتمكن منهم، واستولى على ذخائرهم، وأموالهم.

وحالما وصل خبر ذلك لأبي حسـون، غضب لذلك غضبا شديـدا، فأمر عامله أبـا بكر أن يحتال على المولى الشريف، ويبعث إليه بـه... فما كان من العامل إلا أن تمارض واستدعى المولى الشريف لعيـادته والتبرك به، ثم ألقى عليه القبض، وبعث بـه إلى أبي حسون، فـاعتقله في قلعة هنـاك مدة إلى أن أفتكه ولده المولى امحمـد بأموال كثيرة... **ثم رجع إلى سجلماسة في حدود سنة 1047...**

وأثنـاء هذه الظـروف، كـان المولى امحمد يعـد الأعـداد لمحو دعـوة أبي حسـون من سوس، خـاصـة وأن عمال أبي حسـون قد أسـاءوا السير في سوس، وأثقلوا كاهل الناس بضرائب غير عـادلة، مما جعلهم يتألبون عليهم برئاسـة المولى امحمد، فأخـرجهم من منطقة السوس منـدحرين بعـد قتال شـديـد بين الطـرفين... وإذ ذاك **أجمع رأيهم على بيعـة المولى امحمـد، فبايعوه سنة 1050 في حيـاة أبيه ووافق على بيعتـه أهل الحل والعقـد** بسجلماسة، فاستتب أمره، واستحكمت بيعته.(165)

165) انظر الاستقصا ج 7 ص : 14 ـ 15.

فكانت هـذه البيعة إيـذانا بطلـوع فجـر دولـة جديـدة، ستتحمل أعباء الحيـاة من أجـل استمـرار الـدولة المغربيـة، والمحافظـة على كيـانها، ووجودها...

وأن التاريخ ليحدثنـا عن المولى امحمد بن الشريف – وهو أول ملك من ملوك الـدولة العلـوية – بأنـه ما إن بـويع حتى أخـذ يعد الاعـداد اللازم للقضاء على أبي حسون السملالي، وتشتيت جموعه، ثم الاستيلاء على درعة باعتبارها جزءا مهما في إيالته...

وقـد اندلعت حـروب بينهما، أسفرت في نهايـة الأمر عن انتصـار المولى امحمـد بن الشريف وانهزام أبي حسـون السملالي، انهزامـا مـريعا، جعلـه ينكص على عقبيه، ويفر حالا إلى مسقط رأسه بأرض السوس.

ولما ضمت درعة إلى سجلماسة، وتوحـدتا تحت رئاسة المولى امحمد بن الشريف، فكر في الاستيلاء على الغرب، وكانت الرئاسة فيه يومئذ لأبي عبد الله محمـد الحاج الدلائي، وهـو من كان يـرجع إليه أمـر فاس ومكنـاسة وأعمالهما، وأمـر سلا وأعمالها بعـد مقتل أبي عبد اللـه سيدي محمـد بن أحمد العياشي في (19 محرم 1051).

وما إن قويت شوكـة المولى امحمد بن الشريف في الصحراء، حتى أخذت المخاوف تتسرب إلى محمد الحاج الدلائي، وكان أشـد قوة، وأكثر جمعا من المولى امحمد بن الشريف، فعـاجله بـالحرب، حيث قصد سجلماسـة مرارا، ودارت بينهما حروب فظيعة على رأسها : **«وقعة القاعة»** التي انتصر فيها الـدلائي، وتقدم إلى سجلماسـة فـافتتحهـا، واستولى عليهـا، وكـان ذلك في ضحى السبت 12 ربيع الثاني 1056.(166)

ورغم هـذا الانتصار، فقـد انبرم صلح بين الطـرفين على أساس أن مـا حازته الصحـراء إلى جبـل بني عياش هو للمـولى امحمد، وما دون ذلك إلى

---

166) انظر الاستقصا ص 15 ـ 16.

ناحية الغرب، هـو لأهل الدلاء، وقد استثنى هؤلاء 5 مواضـع أخر، كانت في إيالة المولى امحمد بن الشريف، فجعلوها لهم، وهـي :

1 – الشيخ مغفـر في أولاد عيـسى...

2 – السيد الطيب في قصر السـوق...

3 – أحمد بن علي في قصر بني عثمان...

4 – قصر حليمة في وطـن غريـس...

5 – أسريـر في فركلـة...

وقد استمر الصلح بين الطرفين على أساس ما تقدم، إلا أن المولى امحمد عندمـا اطلع على ما أوجب الفتك **بالشيخ مغفر**، فتك هو بدوره على بعض من شرط عليه الدلائي بقـاءه، الأمر الذي جعل الصلح تنفصم عـراه، بعدما دارت بين الطرفين مكاتبات وتهديدات،(167) فأخذت العلاقات بينهما تزداد حدة وسوءا...

أما فاس التي تحت أمـرة الدلائي، فقد كان أهلها تـارة يستقيمون معه، وتارة ينحرفون عنه، فولى عليهم قائده أبـا بكر الثاملي، وأنزله بدار الإمارة من فـاس الجديـد، فـاتفق أن وقعت بينـه وبين أهل فـاس القـديم حـرب، فحـاصرهم، وقطع عنهم الماء، فـاستصرخـوا المولى امحمـد بن الشريف، ووعـدوه الطاعـة والنصرة بما شاء من عـدد وعدة متى قـدم عليهم، فأقبل عليهم حتى اقتحم دار الإمارة بفاس الجديد في منسلخ جمادى 2 سنة 1060، وقبض على أبي بكـر الثاملي فسجنـه، وبـايعه كـل من أهل فاس الجديـد، والقديم معا... واتفقـوا على نصرته والقيام بأمره، وكتبت لـه البيعة، وما إن وصل الدلائي خبر ذلك، حتى هب لمقاتلته، فانهزم المولى امحمد بن الشريف بظهر الرمكة خارج فاس، فـاسلمها إليه، وقفل راجعا إلى سجلماسة، فدخل

167) انظر نص الرسـالة التي راجت بينهما ومدى ما فيها من انتقـاص وإقذاع من المولى امحمد بن الشريف نحو الدلائي... في ج 7 من الاستقصا ص 17 ـ 18.

الفاسيون بلدهم، فأغلقوها عليهم وحاصرهم الثاملي حصارا شديدا، مات بسببه جماعة من أعيان فاس وغيرهم... ثم أذعنوا إلى طاعة الدلائيين فولى عليهم محمد الحاج ولده : أحمد، فبقي أميرا على فاس إلى أن توفي في 20 ربيع الأول 1064، وخلفه أخوه محمد إلى أن مات سنة 1070.

أما المولى امحمد بن الشريف، فقد صرف عزمه عن فاس لتمهيد عمائر الصحراء وبلاد المغرب الشرقي، فبايعته الأحلاف، وهم **العمارنة والمنبات من عرب معقل، وسقونة** فسار بهم إلى بني يزناسن، فأغار عليهم وانتهب أموالهم ومواشيهم... ثم انثنى إلى وجدة، وكان أهلها ما بين متحزب للأتراك، وما بين خارج عنهم...

فانحاز الخارجون عنهم إلى المولى امحمد... وحاربوا الأتراك، فأخرجوهم عن وجدة، فاستولى عليهم المولى الشريف... ثم دخل في طاعته : أولاد **زكري، وأولاد علي**، وبنو سنوس المجاورون لهم، ثم سار نحو ندرومة فشن الغارة على **مضغرة، وقديمة وطرارة وولهاصة**، ورجع إلى وجدة نحو تلمسان، فأغار على سرحها وسرح القرى المجاورة لها، واكتسح بسائطها، فبرز أهلها، ومعهم عسكر الترك، فأوقع بهم، وقتل منهم عددا كثيرا، ورجع إلى وجدة.(168)

ثم أغار على الجعافرة، وانتهب أموالهم، وقدم عليه هناك محمود شيخ حميان من بني يزيد بن زغبة في قبيلته مبايعا له ومتمسكا بطاعته، كما قدمت عليه : دخيسة، فأكرمها، ودلته على **الأغواط وعين ماضي، والغاسول** فنهب تلك القرى، واستولى على أموالها، وفرت أمامه عرب **الحارث وسويد، وحصين من بني مالك بن زغبة** فنزلوا بجبل راشد، متحصنين به، فرجع عنهم.

168) نفس المرجع أعلاه والجزء ص 20.

وقد تركت إغارته على هذه القبائل خوفا وفزعا في أوساطها، كما حملت بعضها على عزمها في الانقضاض على حكام الأتراك الموجودين بين ظهرانيهم، مما جعل رئيسهم المسؤول عنهم هناك يستنجد بصاحب الجزائر المدعو **بالدولة**، وما كان من هذا الأخير إلا أن أعطى أوامره بالتوجه لمحاربة شريف سجلماسة.

وحالما سمع المولى امحمد بن الشريف تأهب الجيش التركي لمقاتلته، رجع إلى وجدة، ففرق العرب الذين كانوا حواليه، حيث ضرب معهم موعدا للقاء في فصل الربيع القابل.

وهكذا استطاع المولى امحمد بن الشريف أن يركز الدعوة العلوية في هذا البلد، ويرسم لها الخطوط الأولى لسيرها، وتقوية دعائمها، انطلاقا من تعاليم الإسلام، وتوجيهاته البناءة.

والمولى امحمد بن الشريف وإن لم يستطع أن يخضع أصقاع المغرب الأقصى إلى سلطانه، فقد استطاع كأول ملك علوي أن يمهد السبيل لأبطال عظام عرفوا بجهادهم المستميت والمتواصل في إرساء قواعد الدولة المغربية، والمحافظة على كيانها، والذب عنها كل من أرادها بسوء في وحدتها، وحريتها، وسيادتها...

كما عرفوا بإسهاماتهم الفاعلة في تنمية الثقافة بسبب عدة عوامل منها : الوقف الذي يعتبر الأساس الأول في دعم الثقافة وتنشيطها.

ومن بين هؤلاء الملوك : **المولى الرشيد، والمولى إسماعيل، والمولى عبد الملك، والمولى عبد الله، والمولى محمد الثالث، والمولى هشام، والمولى سليمان، والمولى عبد الرحمن، والمولى محمد الرابع، والمولى الحسن الأول، والمولى عبد العزيز، والمولى عبد الحفيظ، والمولى يوسف، والمولى محمد الخامس، ثم المولى الحسن الثاني.**

وبعد هذه المقدمة التي بينت لنا أصل العلويين، وبداية ظهورهم وإنشاء دولتهم في المغرب، نعود إلى الكلام على الباب الأول الذي يتناول بالتحليل دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في العصر العلوي الأول ابتداء من سنة 1050 إلى سنة 1171هـ / 1640 - 1757م حيث سنقسمه إلى خمسة فصول :

1 - في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى امحمد بن الشريف.

2 - في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى الرشيد.

3 - في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى إسماعيل.

4 - في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى أبي مروان عبد الملك بن إسماعيل.

5 - في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى عبد الله ابن إسماعيل.

الفصل الأول

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى آمحمد بن الشريف

1050 – 1075 هـ / 1640 – 1664 م



الفصل الأول

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى امحمد بن الشريف

1050 - 1075 هـ / 1640 - 1664 م

توطئـــة :

قبل أن نتناول الكـلام على دور الوقف في الحياة الثقافيـة في عهد المولى آمحمد بن الشريف، نرى من المفيد : التذكير بأن العهد السعدي والذي قبله بقليل، كان يتوفر على 34 حوالة وقفية.(169)

وكان من بين مضامين هذه الحوالات : الإشارة إلى دور الوقف في الحياة الثقـافية، وخـاصــة في نطاق الكـراسي العلميـة، وكذلك الشأن في المجـالس العلمية.

ومن البديهي، أن العهـد العلوي أضحى يشكل امتدادا للعهود الســابقة عليه في هــذا المجال، بل إنه زاد عليهـا كثيرا حيث ازدهرت الثقافــة فيه أيما ازدهار بسبب عدة عوامل، كان من أهمها :

---

169) أنظر كتاب جامع القرويين ج 2 ص 460 ـ 463، للدكتور عبد الهادي التازي فقد عين سنوات هذه الحوالات الأربع والثلاثين كالتالي :

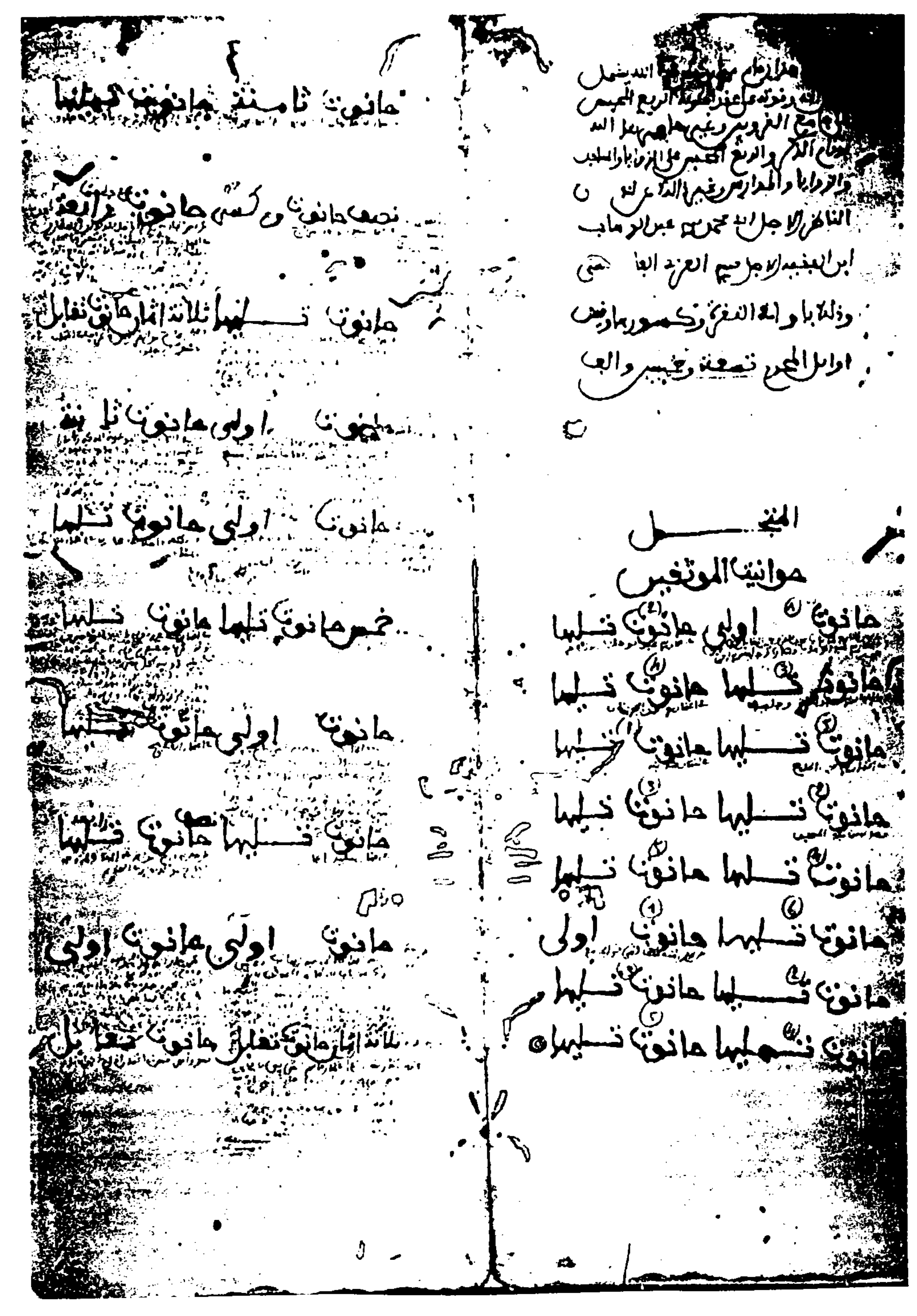
904هـ ـ 905هـ ـ907هـ 908هـ 910هـ ـ 921هـ 922هـ ـ 957هـ ـ 958هـ 959هـ ـ 579هـ ـ 961هـ ـ 962هـ ـ 963هـ ـ 965هـ ـ 967هـ ـ 971هـ ـ 973هـ ـ 975هـ ـ 975هـ ـ 978هـ ـ 979هـ ـ 984هـ ـ 987هـ ـ 990هـ ـ 994هـ ـ 998هـ ـ 1008هـ ـ 1025هـ.

وبين أن الحوالة هي عبـارة عن سجل الأوقاف، ولعلهـا مأخوذة من الحول بمعنى العـام، لأننا نلاحظ أنها تتجدد كل سنة في أكثر الظروف التي مرت بها القرويين.

إن الحوالة تعرض باستمرار للمراجعات، الأمر الذي يدل الذي على الرقابة الدائمة على السجلات، كما نلاحظ على سائر الحوالات أن تهيئتها تتم في ذي الحجة لتكـون جاهزة في غرة المحرم تماما على نحـو ما يتم في تحضير الميـزانيات الحاليـة بفـارق واحد، تلك تعتمـد على التاريخ القمـري وتعتمد الميزانية اليوم على التاريخ الشمسي، انظـر مزيد بيان حول هذه الحوالات في نفس الجزء والصحيفات المشار إليها أعلاه.



حوالة 1052 بداية عهد الدولة العلوية، وهذا زمام يتضمن عقود أكرية الربع المحبس على جامع القرويين والأندلس والمساجد والمدارس والزوايا ويلاحظ ابتداء الحوالة بحوانيت الموثقين



حوالة 1059 مكتوبة على رق الغزال وكان الناظر على ذلك العهد عبد الوهاب
ابن الشيخ العربي الفاسي وقد ابتدأت على العادة بحوانيت الموثقين

عامل الوقف الذي لاقى من قبل الملوك العلويين عناية ورعاية واهتماما، إذ أصلحوا جهازه، وأدخلوا عليه تنظيمات، كفلت استمراره في أداء رسالته المنوطة به في الحياة المجتمعية بصفة عامة، وفي الحياة الثقافية بصفة خاصة.

وأن المسيرة الثقافية في عهد المولى آمحمد بن الشريف لم تقف على ما كانت عليه من قبل، بل أخذت تشق طريقها نحو التوسع والازدهار بسبب طائفة من العلماء الذين وهبوا حياتهم لخدمة العلم، ونشره في أنحاء كثيرة من المغرب، سواء في ذلك مدينة فاس، أو مكناس أو تطوان، أو مراكش، أو تارودات، أو غيرها.

وكان هؤلاء العلماء يكافأون غالبا عن طريق الوقف، حيث يضمن لهم حياة كريمة سعيدة، وعيشا رغيدا هنيئا.

والمولى آمحمد بن الشريف وإن كان له اهتمام - أول الأمر - بالحياة السياسية، فقد كان له اهتمام وعناية بالأوقاف التي تدعم الثقافة، وتنشطها.

ومما يدل على عنايته بها : جمعه إياها في سجلات خاصة بها، وهذا ما أشار إليه الدكتور عبد الهادي التازي بقوله :(170)

«إن أول حوالة علوية ترجع إلى عهده تسمى الحوالة المحمدية لعام 1052 هـ وقد جمعت بعد عامين من بيعته، علما أن بيعته كانت سنة 1050هـ / 1640م.

هذا، ولم يكتف الدكتور التازي بما سبق، بل ساق الكلام على حوالة أخرى في عهده لعام 1058هـ وتتعلق بزمام الأكرية عن إذن الناظر الفقيه أبي محمد عبد الوهاب ابن الفقيه العربي العباسي، كما ساق الكلام أيضا على حوالة ثالثة كانت في عهده لعام 1059هـ وكانت مكتوبة على رق

170) انظر ج 3 من جامع القرويين ص 705.

الغزال،(171) على أن الحوالات الوقفية قد تعرضت لمظاهر التواصل الثقافي، وبينت مختلف الطرق التي يتلقى بها الخلف عن السلف أنواع الثقافات بواسطة الكراسي العلمية، وكذا بواسطة المجالس العلمية، سواء في المساجد، أو في المدارس أو في بعض الزوايا، والأضرحة.

ولقد سجل التاريخ أسماء كثير من رجال العلم في هذا العصر كانوا يقومون بأداء رسالتهم العلمية، نذكر منهم على سبيل المثال :

1 – الشيخ العلامة سيدي محمد بن أحمد ميارة الفاسي، حامل لواء المذهب المالكي (15 رمضان 999هـ – 3 جمادى الثانية سنة 1072هـ)، فقد أسهم هذا الشيخ في نشر المعرفة عن طريق كرسي العنزة بجامع القروين، وكان لهذا الكرسي نصيبان من متجرين بفاس، وأنصبة أخرى في دور وفنادق وحمامات.(172)

2 – الشيخ العلامة المحدث محمد المسناوي بن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي المتوفى قتيلا بدار ابن غضيفة، ودفن بالزاوية الدلائية سنة 1059هـ.(173)

3 – العلامة المحدث الحافظ محمد بن محمد الشريف البوعناني المتوفى في شوال سنة 1063هـ.(174)

4 – العلامة محمد بن إسماعيل المسناوي المتوفى بتكرارين سنة 1064هـ.(175)

---

171) نفس المرجع أعلاه ونفس الجزء والصحيفة.

172) انظر ج 2 من جامع القرويين ص 381 مع ما بينه الدكتور التازي من أن هذا الكرسي عرف بدروسه في الفقه، وأنه كان في صدر الكراسي التي اهتمت بتدريس الرسالة، ثم مختصر الشيخ بعد وصول نسخة منه إلى مدينة فاس.

173) انظر كتاب نشر المثاني ج 2 ص 43، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق الأستاذين محمد حجي وأحمد التوفيق، نشر وتوزيع مكتبة الطالب بالرباط الطبعة 1 سنة 1403هـ/1982م، وانظر كذلك كتاب التقاط الدرر ص 124، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق الأستاذ هاشم العلوي القاسمي.

174) انظر التقاط الدرر ص 133 ونشر المثاني ج 2 ص 65.

175) انظر التقاط الدرر ص 134 ـ 135 ونشر المثاني ج 2 ص 69.

5 – الفقيـه العـلامة أحمد بـن علي السلاسي المتـوفى سنـة 1065هـ(176) والذي كان من بين تلاميذه :

– العـلامة المشـارك حمدون المزوار (1084هـ). والعلامـة الكبير أبو علي الحسن اليوسي (1102هـ).

6 – العلامة المشارك أبو الحسن علي الزرهوني الشفشاوني (1072هـ).

7 – الأستاذ المجـود الكبير إمام القـراء، وشيخ المغرب الأقصى، الحافظ الحيسـوبي أبـو زيـد عبـد الـرحمن بن أبي القـاسم ابن القـاضي (999 – 1082هـ).

8 – العلامة المشارك محمد بن أبي القاسم ابن سودة المري (1003 – 25 ذي القعدة عام 1076هـ).

9 – العـلامـة المشارك عبـد القـادر بن علي ابن أبي المحـاسن يـوسف الفهري الفاسي (1007 – 1091هـ).

10 – العـلامة المشـارك أبـو زيد عبـد الـرحمن بن عبد القـادر بن أبي المحاسن يوسف الفهري الذي كان يلقبـه أبوه بـ : «سيوطي زمانه» (1040 – 1096هـ).

11 – الشيخ العـلامة أبـو العبـاس أحمد الملقب بحمدون بن محمـد بن موسى الأبار (1071هـ).

12 – العلامة الشيخ الطيب المسناوي (1077هـ).

13 – العلامـة الفقيه الناظـر إبراهيم ابن الحاج محمد مسـامح المكناسي الأندلسي (1080هـ).

14 – العـلامة المشـارك أحمد بن محمد التجمـوعتي (توفي يوم الإثنين تاسع ذي القعدة عام 1080هـ).

وعنه قال العلامة اليوسي في فهرسته :

176) انظر نشر المثاني ج 2 ص 74 ـ 75 والتقاط الدرر ص 136.

قرأت عليه جملة من مورد الظمآن، وجملة من المختصر، ومن القرآن، وله تحقيق وفصاحة». (177)

15 – العلامة أبو محمد عبد القادر بن الشيخ أبي الحسن بن علي الطليطلي الأندلسي الأنصاري أستاذ الحساب والتوقيت والربع المجيب، تنعته الحوالات الحبسية بأنه مزوار المؤذنين (1071هـ).

16 – الشيخ العلامة محمد بن سليمان الروداني (1037 هـ – 1094هـ).

17 – العلامة المشارك محمد المرابط (1098هـ).

وهؤلاء الشيوخ قليل من كثير، لا يحصون عددا.

وبمراجعة حجج الوقف، نتبين أن هؤلاء الشيوخ قد وقفت عليهم أوقاف يستفيدون من مداخيلها، سدا لحاجياتهم اليومية من مأكل ومشرب وملبس وغيرها، باستثناء من كان يتعفف عن آخذ مقابل من الأوقاف.

ويجب لفت النظر إلى أن هؤلاء الشيوخ، منهم من كان في عهد المولى امحمد بن الشريف وحده ومنهم من كان في عهده وفي عهد أخيه المولى الرشيد، ومنهم من كان في عهده، وفي عهد أخويه : المولى الرشيد والمولى إسماعيل.

أما الكراسي العلمية التي كانت المنطلق الأساس لبث العلوم وتدريسها، فهي كثيرة، نكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها في مدينة من مدن المغرب الأقصى دون التنصيص على عصر من العصور، ودونما ذكر لكل من تعاقب عليها من الشيوخ الرواد، إلا أننا سنعرف بهم أو ببعضهم عندما تسمح الفرصة بذلك فيما بعد بحول الله.

وإذا كانت الكراسي العلمية تقوم بتدريس العلوم، فإنه تقوم إلى جانبها مجالس علمية كذلك تؤدي نفس رسالتها :

---

177) انظر نشر المثاني ج 2 ص 184.

أما عدد الكراسي العلمية – حسب ما في كتاب جامع القرويين – فهي 18 كرسيا، وهي :

1 – كرسي (المحراب : (651 هـ).

وهذا الكرسي مخصص لدراسة السيرة والتاريخ، وقد درس عليه كثير من الشيوخ.

2 كرسي الورياكَلي : (880 هـ).

وقد خصص هذا لدراسة العلوم والفنون... ويعتبر هذان الكرسيان من أعظم وأهم الكراسي العلمية، سواء من حيث الشيوخ المتعاقبون عليهما، أم من حيث الكتب الموقوفة عليهما، أو من حيث الأوقاف عليهما.(178)

3 – كرسي باب الرواح الأدنى.

4 – كرسي النحو.

بعض الحوالات حددت موضع هذا الكرسي، بأنه في بداية البلاط الأفقي الثاني، وخصص لدراسة النحو. ويقع هذا الكرسي عن يمين الداخل من باب الصفر الأعلى الذي تسميه بعض الحوالات الحديثة : باب الكتبيين الجديد : أو باب السبطريين.(179)

5 – كرسي باب الصالحين الأيمن.

ومن الكتب الموقوفة عليه : كتاب شهاب الأخبار للقضاعي (554 هـ) والعمدة للعيني (855هـ) كل خميس وجمعة... وإن الأوقاف على هذا الكرسي،

---

178) انظر كتاب جامع القرويين ج 2 ص 372 ـ 374 وكذا جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس لعلي الجزنائي ص 80 ـ 81.

179) انظر جامع القرويين ج 2 ص 375.

هي : متجران، وطراز، وأربعة متاجر أخرى، وبستان فسيح بناحية سيدي بوجيدة.(180)

6 – كرسي باب الصالحين الأيسر :

وكان مما يدرس عليه من الكتب بين العشائين : صحيح الإمام مسلم، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني (386هـ) والترغيب والترهيب للمنذري (656هـ) بعد الظهر، وكذلك العمدة للعيني (855هـ) كل صباح.(181)

7 – كرسي باب الشماعين :

يوجد هذا على البلاطة المرتفعة قليلا عن أرض جامع القرويين، ومما كان يدرس عليه من الكتب : رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

8 – كرسي ظهر الصومعة :

ويعد هذا الكرسي من أهم الكراسي العلمية من حيث الشيوخ المتعاقبون على التدريس عليه، بدءا من عصر الموحدين إلى عهد المولى محمد الخامس رحمه الله، كما أن من بين الكتب الموقوفة عليه :

صحيح البخاري، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وتفسير القرآن للثعلبي (427هـ) وحلية الأولياء لأبي نعيم (430) والشفا للقاضي عياض (544هـ) والتحبير للسمعاني (615هـ) والاكتفا للكلاعي (634هـ) والحكم العطائية (709هـ) والروض الفائق للحريفش (801هـ) والتسهيل والتقريب للرصاع (894هـ) وسائر الكتب التي كانت موقوفة على كرسي المحراب.(182)

---

180) المرجع أعلاه ونفس الجزء والصحيفة.

181) المرجع أعلاه ونفس الجزء والصحيفة.

182) جامع القرويين ج 2 ص 376.

9 – كرسي مستودع باب الحفاة :

ويعد هذا الكرسي من الكراسي المهمة التي كان يقصدها الخاصة والعامة من الناس، وقد عرف نشاطا علميا ملحوظا في عهدي السعديين والعلويين، ومن الأوقاف المدعمة لنشاطه.

أرح بوادي العظام، وعقاران آخران، ومتجران، وثلاث بقاع.(183)

10 – كرسي مستودع ابن عباد :

يقع هذا الكرسي على رواق محمل على مستودع يدعى مستودع ابن عباد، ويعد من الكراسي المهمة، لكونه يجاور خزانة السلطان أبي عنان المريني، ويدرس على هذا الكرسي كل ما يتعلق بالتوقيت والتعديل... ومن أوقافه : عقاران، وأروى.(184)

11 – كرسي ظهر الخصة :

لقد تعاقب على هذا الكرسي كثير من الشيوخ... وقد تعددت الكتب الموقوفة عليه، مثلما تعددت أوقافه، أما الكتب الموقوفة عليه في عهد العلويين، فتتعلق بدراسة التفسير، والصحيحين وغيرهما من الكتب الستة وقد كانت الرسالة تدرس عليه بعد صلاة صبح كل يوم، والحلية لأبي نعيم قبل صلاة العصر، والاكتفا للكلاعي وكتب ابن الجوزي، والترغيب والترهيب للمنذري بعد صلاة العصر، والروض للحريفش.

ومن أوقافه : 22 بقعة إلى جانب 3 رباع في ظهر غالب، ومتجر بسوق القبيب الناقص، كان وقفا خاصا على قراءة الرسالة به، وحانوت كامل على

183) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 377.

184) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 378.

قراءة ابن الجوزي، ونصف حانوت بالقبة البالية من القيسارية حبس على الترغيب، وعشرة أمكنة أخرى في جهات مختلفة من المدينة.(185)

12 – كرسي الونشريسي :

نسب هذا الكرسي إلى الونشريسي، لأن آخر درس له كان عليه، لأنه قبض عليه من فوقه، وأخرج من الباب المقابل في الجهة الغربية، حيث نفذ فيه قدر الله (27 ذي الحجة 955هـ) بعد أن رفض أن يخلع عنه بيعة أبي العباس الوطاسي، لصالح السعديين أيام امحمد الشيخ السعدي.

ويعتبر هذا الكرسي من أثرى الكراسي العلمية، وأغناها بالقرويين.

ومن أوقافه : 12 حانوتا بالقيسارية والعطارين، و7 بالصفاح، و11 عقارا إلى 38 بقعة موزعة في أهم جهات المدينة، وبذا يكون مجموع الموقوفات عليه : 49(186) موقوفا.

13 – كرسي الركن الشمالي الشرقي :

ويقع هذا الكرسي على مقربة من الباب ذي الخوخة الذي ينفذ إلى مصرية الإمام الخطيب والذي كان المفتي يتخذ من الرواق المؤدي إليها مقصورة يجلس فيها للآفتاء. ومن أوقافه : 3 عقارات إلى جانب 3 أرباع فندق رحبة الزرع.(187)

14 – كرسي الثريا الكبرى :

يقع هذا الكرسي على مقربة من الثريا الكبرى بوسط القرويين.

ومن الكتب الموقوفة عليه للتدريس : صحيح البخاري، ونوادر الأصول في أحاديث الرسول، للترمذي (295هـ) والرسالة القشيرية (465هـ) والعمدة،

---

185) جامع القرويين ج 2 ص 378 ـ 379.

186) المرجع أعلاه ج 2 ص 379 ـ 380.

187) المرجع أعلاه ج 2 ص 381.

للمقدسي (600هـ)، والترغيب والترهيب للمنذري، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (911هـ).

تبلغ العقارات الموقوفة على هذا الكرسي : 12 مكانا عرفت بأعيانها في الحوالة الإسماعيلية والسليمانية.(188)

15 – كرسي العنزة :

كان يعرف هذا الكرسي بدراسة الفقه إلا أنه تحول إلى دراسة علم الكلام.

ومن أوقافه : نصيبان من متجرين في المدينة إلى عدد من أنصبة في دور وفنادق وحمامات.(189)

فإذا أضيفت الكراسي الثلاثة الأخيرة إلى 15 كرسيا، يصبح المجموع : 18 كرسيا. هذا ما يتعلق بالكراسي العلمية بجامع القرويين...

وأما الكراسي العلمية بالنسبة لجامع الأندلس فهي :

1 – كرسي التفسير (بباب آشنيخن) :

يقع هذا الكرسي في الجانب الغربي من المسجد عن يمين الداخل من باب اشنيخن الذي يقابل الزنقة التي فيها مدرسة الصهريج، وعن يسار الباب المقابل لمدرسة السبعيين في البلاط الأفقي الرابع.

ومن بين الكتب الموقوفة على هذا الكرسي : تفسير الفخر الرازي، والاكتفاء للكلاعي الذي كان يعطى كل مساء، والتسهيل، للأمام الرصاع الذي كان يدرس كل جمعة، وقد وقفت عليه عدة بقاع.(190)

---

188) المرجع أعلاه ج 2 ص 382.

189) المرجع أعلاه ج 2 ص 382.

190) المرجع أعلاه ج 2 ص 381.

2 – كرسي بباب آشنيخن أيضا :

ويقع بالجدار الغربي أيضا، ولكنه في البلاط الثاني بيمين الداخل من باب اشنيخن... وكانت تدرس به رسالة ابن أبي زيد القيرواني فيما بين العشائين، وقد ظهر للدكتور التازي : أن هذا الكرسي هو الذي عرف بكرسي العبسي (965هـ) الذي ذكر المنجور : أنه كان يحضره ويقرأ فيه الألفية بنقل المرادي، ومختصر الشيخ خليل، والدرر اللوامع للكمال بن أبي شريف، وعرفت من أوقافه : خمس بقاع.(191)

3 – كرسي باب المحراب :

وهو من أقدم الكراسي بالنسبة لجامع الأندلس، وقد بلغت العقارات الموقوفة عليه : 10 بقاع.

4 – كرسي باب مصرية الخطيب :

ومن الكتب التي كانت تدرس عليه : كتاب العمدة للمقدسي، والموطأ، للإمام مالك... ومن العقار الموقوف عليه : 5 بقاع.(192)

5 – كرسي المستودع :

يتميز هذا الكرسي بكون فضليات من نساء البلد يستفدن من الإستماع إلى بعض الكتب الموقوفة عليه، من بينها : كتاب الترغيب والترهيب، للمنذري، وبكونه قريبا من الخزانة العلمية هناك تحت مستودع النساء، وقد وقفت عليه 6 رباع.(193)

---

191) المرجع أعلاه ج 2 ص389 ـ 390.

192) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 390.

193) نفس المرجع ونفس الجزء والصحيفة.

6 – كرسي العنزة :

وكـان يـدرس عليـه الفقـه في إطـار المدونـــة، ورســالـة ابن أبي زيـد القيرواني.(194)

وأما الكراسي العلمية بالنسبة لجامع الشرفاء بفاس، فهي :

1 كرسي القبة :

ويدرس على هـذا الكرسي التفسير والحديث والفقه والنحـو، أما التفسير، فيقع بتفسير الثعلبي، بينما الحديث يـدرس بصحيح البخـاري، وأما الفقـه فيدرس بالرسالة القيروانية أحيانـا، وبالمرشد المعين حينا آخر، وقد يدرس في حين آخر بمختصر خليل.(195)

2 – كرسي يمين القبة :

يقع هذا الكرسي من الباب المقابل لجامع المقلقة.

ويدرس على هذا الكرسي : السنوسيـة، والشفا.

3 – كرسي يسار القبة :

ويدرس على هذا الكرسي : الفقه والحديث.

بالنسبة للفقـه : الرسالة القيروانية، وبالنسبـة للحديث : صحيح الإمام البخاري.(196)

---

194) انظر جذوة الإقتباس ص 320 ـ 321.

195) انظر مختلف الشيوخ المتعاقبين على هذا الكرسي، والبقاع الموقوفة عليه جامع القرويين ج 2 ص 396 ـ 307.

196) نفس المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 397.

4 – **كرسي القبلة :**

أما الكتب التي تدرس عليه، فهي رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والاحياء للإمام الغزالي، والروض الفائق لأبي مدين الحريفش.(197)

وأما الكراسي العلمية بالنسبة للمدارس القديمة بفاس : فتبلغ 15 كرسيا، وهذه المدارس هي مدرسة الحلفاويين ومدرسة الخصة، والمدرسة المتوكلية، ومدرسة الهصريج، ومدرسة العطارين، ومدرسة فاس الجديد، ومدرسة الوادي.

أما مدرسة الحلفاويين، ففيها كرسيان للفقه والنحو.

وأما مدرسة الخصة، ففيها كرسيان أيضا للفقه والنحو، ويدرس الفقه بكتاب التهذيب في اختصار المدونة للإمام خلف بن أبي القاسم المعروف بابن البراذعي (400هـ) وكذا بمختصر خليل.(198)

وأما المدرسة المتوكلية، ففيها ثلاثة كراسي :

1 – يدرس في الفقه.

2 – يدرس في النحو.

3 – يدرس فيه التفسير، والحديث.(199)

وأما مدرسة العطارين، ففيها أيضا كرسيان للفقه والنحو.

وقد اشتهرت هذه بدراسة النحو أكثر من الفقه، ومن بين الكتب التي كانت تدرس في النحو : كتاب سيبويه، وكتاب الشيخ بدر الدين المرادي (849هـ) ومؤلفات الشيخ خالد الأزهري (905هـ) المعروف بالوقاد.(200)

---

197) نفس المرجع أعلاه ج 2 ص 397.

198) نفس المرجع أعلاه ج 2 ص 385.

199) نفس المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 386.

200) نفس المرجع أعلاه ج 2 ص 387.

وأما مدرسة فاس الجديد، ففيها كرسيان للفقه والنحو.

ومن بين الكتب الفقهيـة التي كانت تـدرس فيهـا : كتاب التهـذيب لابن البراذعي.

وأما مدرسة الوادي، ففيها كرسيان للفقه والنحو.

وشيوخ هـذه المدرسة لا يحصـون عددا، وقد سبـق القول بأن الحسن اليوسي، قال : إن مجلسها يحتوي على 700 أستاذ.(201)

وهكذا يكون مجموع الكراسي العلميـة بالنسبة لكل من جامع القرويين، وجامع الأندلس، وجامع الشرفـاء، والمدارس القديمة بفاس هو : 43 كرسيا علميا.

وأمـا الكراسي العلميـة التي بمسـاجد فـاس عـدا القرويين، والأنـدلس، ومسـجد الشرفاء، فقـد بلغ عددها : 53 كرسيا – حسـب ما ورد في الحوالة العبد الرحمانية(202) وهي كما يلي :

1 – **كرسي جامع الشوك للتوريق.**

2 – **كرسي مسجد سيبوس أو سيدبوس للتوريق.**

3 – **كرسي مسجد الميزاب قديما،** والمعروف الآن لمولاي عمر بالأنوار... ويدرس عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والمرشد المعين، كما هو للتوريق أيضا.

4 – **كرسي مسجد المزدغي** بباب درب السعود من العدوة للتوريق.

5 – **كرسي سيد عبد الرحمن المليلي،** ويدرس عليه الرسالة.

6 – **كرسي مسجد الخطار،** للرسالة.

7 – **كرسي مسجد العبادسة** وهو لتوريق البخاري.

---

201) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 388.

202) انظر ص 140 ـ 142 من الحوالة العبد الرحمانية مخطوطة رقم 5 ميكروفيلمها عدد 163 بقسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

8 – كرسي مسجد باب درب الشيخ، وهو لتوريق الحريفش، والسمرقندي، والمنذري.

9 – كرسي مسجد ابن صكوم للتوريق.

10 – كرسي ضريح سيدي نوار داخل سيدي العواد، وتدرس عليه الرسالة.

11 – كرسي مسجد الخل من جزاء ابن برقوقة للرسالة.

12 – كرسي زاوية سيدي يوسف الفاسي بالمخفية للرسالة.

13 – كرسي مسجد سيدي حبيب للتوريق.

14 – كرسي مسجد سيدي المخفي للتوريق.

15 – كرسي زاوية سيدي محمد بن عبد الله بالمخفية لقراءة السير.

16 – كرسي مسجد السمارين بالرصيف، لقراءة الرسالة، والتوريق به.

17 – كرسي مسجد قميمة، لقراءة البخاري، والثعلبي.

18 – كرسي مسجد رأس الجنان الأعلى، للرسالة.

19 – كرسي جزاء ابن عامر، لقراءة الرسالة.

20 – كرسي المسجد الأكبر الجديد بالرصيف، لقراءة الرسالة، والتوريق للكلاعي.

21 – كرسي مسجد ابن سمعون بالعيون، للرسالة.

22 – كرسي ضريح سيدي أحمد الشاوي، لقراءة الرسالة، وتوريق الدرر، وابن الجوزي.

23 – كرسي مسجد ابن عمران بعقبة ابن صوال، لقراءة البخاري، والشمائل.

24 – كرسي زاوية المعادي، لقراءة الرسالة.

25 – كرسي مسجد حمام القلعة، لقراءة البخاري.

26 – **كرسي مسجد العقبة الزرقاء الأسفل**، لقراءة الرسالة.

27 – **كرسي زاوية الغازيين بالشراطين**، للرسالة.

28 – **كرسي مسجد وادي الرشاشة**، للتوريق.

29 – **كرسي مسجد درب البواق جرنيز**، على قراءة الرسالة.

30 – **كرسي مسجد سيدي تميم بدرب الغرباء**، لقراءة الرسالة.

31 – **كرسي سيدي موسى**، للرسالة.

32 – **كرسي مسجد دار دباغة بجرنيز**، للتوريق.

33 – **كرسي جامع سيدي الجيلالي الرقعي بالشرشور**، للتوريق.

34 – **كرسي جامع سيدي امحمد اللزاز بالطالعة**، للتوريق.

35 – **كرسي زاوية سيدي حمدون الملاحفي**، للحريفش.

36 – **كرسي زاوية سيدي الحسن السفياني**، لتوريق البخاري، وغيره من الكتب.

37 – **كرسي مسجد الشرابليين**، للرسالة.

38 – **كرسي زاوية سيدي أحمد بن ناصر**، للتوريق.

39 – **كرسي مسجد سويقة ابن صافي**، للتوريق، وقراءة الرسالة.

40 – **كرسي مسجد زقاق الماء**، للتوريق.

41 – **كرسي زاوية سيدي قاسم بن حمدون**، للتوريق والتدريس.

42 – **كرسي مسجد ماشان بزقاق الحجر**، لقراءة الرسالة.

43 – **كرسي مسجد بوعقدة**، للتوريق.

44 – **كرسي زاوية التيالين**، للتوريق.

45 – **كرسي مسجد الأرازين بعين علون**، للتوريق.

46 – **كرسي مسجد عين الخيل**، لتوريق الحريفش، والكلاعي.

47 – **كرسي مسجد الأبارين** وهو للبخاري والتوريق.

48 – **كرسي الديوان**، للرسالة.

49 – **كرسي مسجد سيدي أحمد بن يحيى**، للبخاري.

50 – **كرسي مسجد عجيسة.**

والحقيقة أن في هذا المسجد كرسيين : أحدهما لقراءة التسهيل والتقريب للرصاع، وثانيهما للرسالة.

51 – **كرسي مسجد الدرب الطويل** من حومة البليدة.

52 – **كرسي زاوية سيدي محمد العواد**، للتوريق.

53 – **كرسي زاوية سيدي الخياط الرقعي بالشرشور**، للرسالة.

على أن الدكتور عبد الهادي التازي، أضاف إلى ما في الحوالة العبد الرحمانية 24 كرسيا، فيصير مجموع هذه الكراسي، هو 77 كرسيا، والكراسي المضافة هي :

1 – **كرسي مسجد طلوقة.**

2 – **كرسي حلق النعام.**

3 – **كرسي مسجد الحمراء.**

4 – **كرسي مسجد ابن خبية**، ويقع في درب ابن عتيق في زقاق الرمان، حيث يكتظ السكان، والكتاب الذي يدرس عليه، هو تنبيه الغافلين، لأبي الليث السمرقندي (373هـ).

5 – **كرسي مسجد سيدي خليل**، للرسالة، ولمختصر خليل.

6 – **كرسي فران كويشة**، ويدرس عليه كتاب العمدة، للمقدسي.

7 – **كرسي مسجد زقاق الرواح.**

8 – **كرسي بوجلود.**

9 – **كرسي مسجد القصبة.**

10 – **كرسي الزاوية القادرية.**

11 – **كرسي مسجد آمحمد بن الفقيه** بن محمد بن عيسى عالم أصولي سني (1136هـ).

12 – **كرسي الأزدع أو الأصدع** يقع في فندق اليهودي.

13 – **كرسي مسجد سيدي جبل**، يقع بأعلى الشناكين من الشرابليين، مقابل درب زقاق الماء.

14 – **كرسي مسجد درب ابن زيان** يقع في الطريق الذي يربط سويقة ابن صافي بمسجد سيدي الهبطي.

15 – **كرسي مسجد درب الاجاصة.**

16 – **كرسي مسجد بني يزناسن.**

17 – **كرسي مسجد سيدي يعلى.**

18 – **كرسي مسجد النارنجة** يقع بحومة الكدان، شرقي جامع القرويين، وسمي كذلك، لأن صحنه كان مظللا بنارنجة.

19 – **كرسي مسجد النارنجة** أيضا، ويقع شمالي القرويين في فندق اليهودي عند مدخل الزنجفور على يمينك.

20 – **كرسي مسجد الهبطي**، نسبة إلى الإمام الهبطي (963هـ).

21 – **كرسي مسجد عقيبة الفئران.**

22 – **كرسي مسجد القوري.**

23 – **كرسي مسجد** رحبة الزبيب، وهو معلق.

هذا ما يتعلق بالكراسي العلمية الزائدة على ما ورد في الحوالة العبد الرحمانية، بيد أنه توجد إلى جانب هذه الكراسي : مجالس علمية، قامت بنفس الدور الذي قامت به هذه الكراسي، إلا أن الدروس فيها لا تلقى من فوق الكراسي، وإنما يلقيها شيوخ العلم، وهم جالسون على الأرض،

ومن بين المجالس العلمية المشهورة في فاس : ما ذكره الدكتور التازي في كتابه جامع القرويين(203) حيث قال :

«ونحن لم نعد طبعا المجالس التي عرفتها بعض الجهات في القرويين مما لم يرق إلى درجة الكراسي، وأن المتتبع لكتب النوازل والتاريخ والحوالات الحبسية، سيقف على عدد من تلك الأمكنة الموصوفة، وسيقف على عدد من السواري الخاصة التي كان يقصدها الطلاب للتحليق حول أساتذتهم، ومن تلك المجالس :

1 - **مجلس لتدريس كتاب الإمام ابن الحاجب** (646هـ) المعروف بالمختوم، أو الفرعي الفقهي، هذا المجلس الذي - لم يكن على الكرسي - كان يضم حوالى سنة 997هـ عشرات من الأعلام أمثال الشيخ عبد العزيز الفيلالي، والفقيه سيدي محمد الشريف التلمساني ...الخ.

وأن السارد في هذا المجلس، هو سيدي إبراهيم المنصوري من عدول سماط القرويين.

2 - **مجلس وراء ظهر خصة العين عن يمين الداخل من باب المعدة :**

كان بيد القاضي عبد الواحد الحميدي، وكان يدرس فيه العقيدة الكبرى للسنوسي (895هـ).

3 - **مجلس السراج :**

وهو يحيى السراج كان يلقيه قرب مقصورته في شرح مختصر خليل، وهو مستند إلى حائط القبلة بين الخزانة السعدية وباب المصرية، وفي الشتاء يضيف إلى هذا درسا في التفسير، وكان يسرد في مجلسه : سيدي عبد الرحمن بن عثمان المكناسي.

---

203) جامع القرويين ج 2 ص 389 ـ 391 ـ 392 ـ 393 ـ 394 ـ 395 ـ 399 ـ 400.

4 – مجلس بظهر خصة العين :

وكـان يتصدر هـذا المجلس الشيخ سيـدي محمد الشريف التلمسـاني، ويلقي فيه صغـرى الشيخ السنوسي، وكبراه كـذلك... كما كان يـدرس فيه أحيـانا ألفيـة ابن مـالك بشرح المكـودي على حسب ما يتبرع بـه زائدا على حبسه.

5 – مجلس الرسالة :

وذلك عند باب الرواح الأوسط بيد سيدي يعقوب البدري (999هـ).

6 – مجلس عن يمين الداخل إلى القرويين من باب الشماعين :

وكان أيام السعديين... والشيخ الذي يتصدر التـدريس فيه، هو أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان المكنـاسي وكان يلقي فيه درسه في مختصر خليل على الأرض أمام جماعـة من الطلاب تحلق حـوله من نـداء الظهر إلى الصلاة.

7 – مجلس بسارية غير محددة الموقع بالقرويين :

وأستاذها هو قاسم ابن القاضي (980هـ) وكان يعلم الطلبة تجويد القرآن الكريم.

8 – مجلس بسارية تقع عن يمين عنزة القرويين :

جدد الوقف عليها الشيخ أحمد بن محمد الشاوي (1014هـ) وكان يشرف عليه أبو العباس أحمد بن بوشعيب الفاسي (1015هـ).

9 – مجلس بسارية :

قال التازي : ولعلهـا السـارية التي كانت بيـد سيدي أبي العلاء إدريس المنجرة الحسني (1137هـ).

ثم بيد ابنه أبي زيد عبد الرحمن، وبقي من أوقافها المعروفة: أربع بقاع، كما في الحوالة الإسماعيلية(204).

10 – مجلس كان في صدر جامع القرويين :

ومن بين أساتذتـه : أبو محمد عبد الله بن محمـد المعروف بابن يخلف الأنصاري الأندلسي(1162هـ)، وقد كان يقرئُ فيه التجويد.

11 – مجلس بظهر الصومعة :

وممن كان يشرف عليه : أبو العـلاء إدريس الودغيري الملقب بالبدراوي (1257هـ)، وكان يدرس فيه تجويد القرآن عند الأذان الثاني للظهر.

12 – مجلس بسارية لم يعين موضعها :

كان يدرس فيه الرسالة القيروانية، وقد تعاقب عليه عدد من العلماء من بينهم : أبو عبد الله محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي (961هـ).

13 – مجلس عن يسار الداخل إلى القرويين من باب الكتبيين :

وممن تصدر للتـدريس فيه : أبـو عبد اللـه محمد بن حمدون الشـديد الأندلسي (1110هـ) وولده أبـو العباس أحمد المتـوفى في العشرة السابعـة من

---

204) المرجع أعلاه ج 2 ص 382 ـ 383 بتصرف، نقلا عن الحوالة السليمانية، وانظـر كذلك : سلوة الأنفاس ج 1 ص 274 ـ 279.

المائة الثانيـة عشرة... وحفيده سيدي حمدون وعبد الكـريم بن علي الزهني اليازغي (1199هـ).

تلكم كـانت هي المجـالس العلميـة التي واكبت الكـراسي العلميـة في نشر الثقافـة، ولقد أخـذنا ما أوردنـاه فيها من كتاب جـامع القرويين للـدكتور التـازي، فإذا أضيفت هـذه المجـالس 13 إلى الكـراسي العلمية السـابقـة، أصبحت تشكـل في المجمـوع : 90 مجلسا علـميا، وكان الوقف وراء نشاطها المعـرفي.

وقد سقـنا هـذه الكراسي، وهـذه المجالس العلمية، لنبين المنـاخ الفكري والثقـافي الذي كـان عليه المغـرب قبيل الدولـة العلويـة وفي عهدهـا، بل إن المعارف على اختلاف تخصصاتها ازدادت في هذا العهد توسـعا ونماء، عما كانـت علـيه من قبـل، وذلك يرجـع إلى دعمـها عن طريـق قنـوات الأوقاف.

ولم يكن هذا الـزخم المعرفي خاصا بفـاس وحدها، وإنما كان معـروفا لدى مختلف المدن المغـربية كمكناس، وتطوان، وفجيج، والربـاط، ومراكش، وتارودانت، وغيرها.

وإذا كانت الثقافة قد لاقت تشجيعا كثيرا من قبل الشخصيات الهامة في الدولة، وفي طليعتهم : الملوك، فإنها قد لاقت نفس التشجيع حتى من أبسط الناس في معظم المدن المغربية.

فقـد ورد في الحوالـة العباسيـة بصـدد الكـلام على من كـان يقف على المساجد باعتبارها مراكز دينيـة وثقافية في نفس الوقت «أن العجوز فاطمة بنت إبراهيم الغيغاي حبست جميع الدويرة المعـروفة لها بدرب نزالة الحاج بلقاسم التكني الكائنة بالزاوية العبـاسية بمراكش على مسجد سيدي غانم، لينتفع بكرائها المسجد المذكور من شراء حطب وحصر وغير ذلك من مصالح

المسجد».(205) كل ما ذكر يدل دلالة واضحة على ما كان يسهم به الوقف من التشجيع للثقافة، والعمل على استمرار عطائها في عهد المولى امحمد بن الشريف، مثلما كان الشأن في العهود السابقة عليه، وكذا في العهود التي جاءت بعده، ومن بينها : عهد المولى الرشيد، وهو ما سنعالجه في الفصل التالي :

---

205) انظر ج 2 من حوالة الأحباس العباسية بمراكش ص 12 رقم الحوالة المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط 11 ورقم ميكروفيلمها بنفس الخزانة المذكورة : 120.



الفصل الثاني

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى الرشيد

1075 – 1082 هـ / 1664 – 1672 م



الفصل الثاني

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى الرشيد :(206)

1075 – 1082 هـ / 1664 – 1672 م

سنتعـرض في هذا الفصل – بعـد إعطـاء نظـرة عامـة عن اهتمام المولى الـرشيد بـالأوقاف، وعن صفـوة من العلماء المعاصرين لـه بالمغـرب – إلى الكـلام على دور الوقف في الكـراسي العلميـة في عهده، وعلى إنشـائه خزانـة علمية مع وقف الكتب عليهـا، وتأسيسه بعض المراكز الثقافيـة، في المباحث التالية :

1 – في دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى الرشيد.

2 – في إنشائه خزانة علمية مع وقفه الكتب عليها.

3 – في تأسيسه بعض المراكز الثقافية.

نظرة عـامة حول اهتمام المولى الرشيـد بالأوقاف وعنـايته بها مع إيراد لائحة بصفوة من العلماء المعاصرين له بالمغرب :

قبل معالجة الكلام عن دور الوقف في الكراسي العلمية في هذا العهد، نرى من المفيد أن نشير في إطار هذه النظرة إلى مدى اهتمام المولى الرشيد بجهاز الأوقاف، هذا الجهاز الـذي قام بدور فعال في مرافق الدولـة المغربية بصفة عامة، وفي مرفق الثقافة بصفة خـاصة، هذا، وأن المولى الرشيد، ما إن بويع

---

206) يعتبر المولى الرشيد ثاني ملـوك العلويين، ازداد سنة 1040هـ وبويع بالخلافة بعد مقتل أخيه آمحمد بن الشريف يوم الجمعة 9 محرم فاتح 1075هـ في المعركـة الدائرة بينهما، وعلى إثر ذلك بقليل، بويع بالخلافة وكانت سنه وقتذاك 35 سنة، وقد بقي في الملك 7 أعوام وأحد عشر شهرا ويومين حيث توفي في 2 عيد النحر بمراكش 11 ذي الحجة 1082هـ انظر نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ص 304 والحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 86 طبعة دار الرشاد الـدار البيضـاء ط 1 سنة 1977، للدكتـور محمد الأخضر، وانظـر كذلك ج 7 من تاريخ الاستقصا ص 43 منه.

بالخلافة سنة 1075هـ (1664) حتى أخذ في الاهتمام بالأوقاف، ووجه عنايته الكاملة نحو الثقافة، فاستفاد منها العلم والعلماء والطلبة، فكان عهده زاخرا بالعطاء المعرفي، سواء في جوامع فاس الكبرى، كالقرويين، والأندلس، والشرفاء، أو في مساجدها الصغرى المنتشرة في دوربها، والبالغة حوالي :

334 مسجد(207) أو في غيرها من بقية المراكز العلمية، كالزوايا، وفي مقدمتها : الزاوية الفاسية بالقلقليين(208) والناصرية(209) بتمكروت، والدلائية(210) بالدلاء قبل تخريب هذه الأخيرة. وعنايته بالأوقاف تتجلى

207) انظر هذه المساجد مفصلة بأسمائها ومواقعها وما كان منها يشتمل على كرسي علمي، أو خزانة كتب موقوفة في كتاب جامع القرويين ج 3 ص 682 – 685 مع هوامشها ص 686 ـ 701.

208) الزاوية الفاسية قد أسسها سيدي عبد الرحمن الفاسي، بناء على ما قاله صاحب نشر المثاني ج 3 ص 152 ـ 153 ومؤسسها هذا من أكبر العلماء الذين عرفتهم الأسرة الفاسية، وقد انحدرت هذه الأسرة من أبي المحاسن يوسف الفاسي المولود بالقصر الكبير سنة 938هـ / 1540 ـ 1541م، والمتوفى بفاس في 18 ربيع الأول 1010هـ، 14 غشت 1604م) وكان جده عبد الرحمن جاء من الأندلس وكذا أبو جده أبي بكر جاء من مالقة بالأندلس لفاس أيضا، وكان أبوه مؤسس هذه الزاوية من أعظم العلماء الذين تتلمذ عليهم جهابذة أعلام في فاس، ألا وهو سيدي عبد القادر الفاسي الفهري المولود بالقصر الكبير في 2 رمضان 1077/1599م والمتوفى بفاس في 8 رمضان 1091 (2 اكتوبر 1680) انظر ترجمة أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر في كتاب نشر المثاني ج 2 ص 325 ـ 329 وفي التقاط الدرر ص 217 ـ 218، تحقيق الأستاذ هاشم العلوي القاسمي، وفي النبوغ للشيخ عبد الله كَنون ص 285 ج 1، وفي مؤرخو الشرفاء لليفَي بروفَنصال ص 187 ى 188، وانظر كذلك ترجمة سيدي عبد القادر الفاسي في كل من مؤرخو الشرفاء ص 186 ـ 187، والنبوغ ج 1 ص 183 ـ 184، وفي التقاط الدرر ص 217 ـ 218، وفي نشر المثاني ج 2 ص 270 ـ 187، وفي جامع القرويين، للدكتور التازي ج 3 ص 794 فقرة 29.

209) والزاوية الناصرية بتمكَروت تعتبر من أكبر المؤسسات الثقافية في الجنوب، وقد كان على رأسها سيدي امحمد بن ناصر، وهو عالم كبير، وصوفي شهير.. وطريقته الصوفية ترتبط في سندها الصوفي بالشاذلية وبالزروقية، كما تتصل بالقادرية عن طريق أبي مدين الغوث دفين تلمسان، وزاويته عرفت بالزاوية الناصرية، وقد عرفت في عهده تطورا كبيرا، وازدهارا علميا قل نظيره، حيث قصدها الطلاب من جميع جهات المغرب، وقد توفي رحمه الله بزاويته في 10 صفر 1085هـ (17 ماي 1674م) اهـ من التقاط الدرر، تحقيق الأستاذ هاشم العلوي القاسمي ص 196 هامش 5.

210) والزاوية الدلائية، وعن هذه الزاوية قال الدكتور محمد حجي في كتابه الزاوية الدلائية ص 43 ـ 45ـ 47 هناك زاويتان دلائيتان تبعد إحداهما عن الأخرى بنحو عشر كيلومترات أسس أولاهما : الشيخ أبو بكر محمد الدلائي حوالي عام 974هـ (1566م) في مرتفعات جبال الأطلس=

في كونه أرجع أوقاف القرويين التي اغتصبت منها إبان الأزمات التي حلت بالبلاد بعد عهد المرينيين، وأواخر السعديين، إليها.

وكان عضده الأيمن في هذا : العدل مسعود الشامي الذي عينه ناظرا على الأوقاف بإشارة من الشيخ أبي زيد عبد الرحمن الفاسي، عندما استشاره(211) فقد قال له المولى الرشيد لما زاره :

=المتوسط فحبس الرباع فيها على الطلبة والمساكين.. وقصدها الناس من مختلف الجهات، فالتقى فيها العلماء والطلاب وعقدت المجالس العلمية في مسجد الدلاء وقامت سوق العلم فيه على قدم وساق.

وشيد الثانية حفيده السلطان محمد الحاج الدلائي عام 1048هـ (1638م) في موقع زاوية آيت إسحاق اهـ بتصرف.

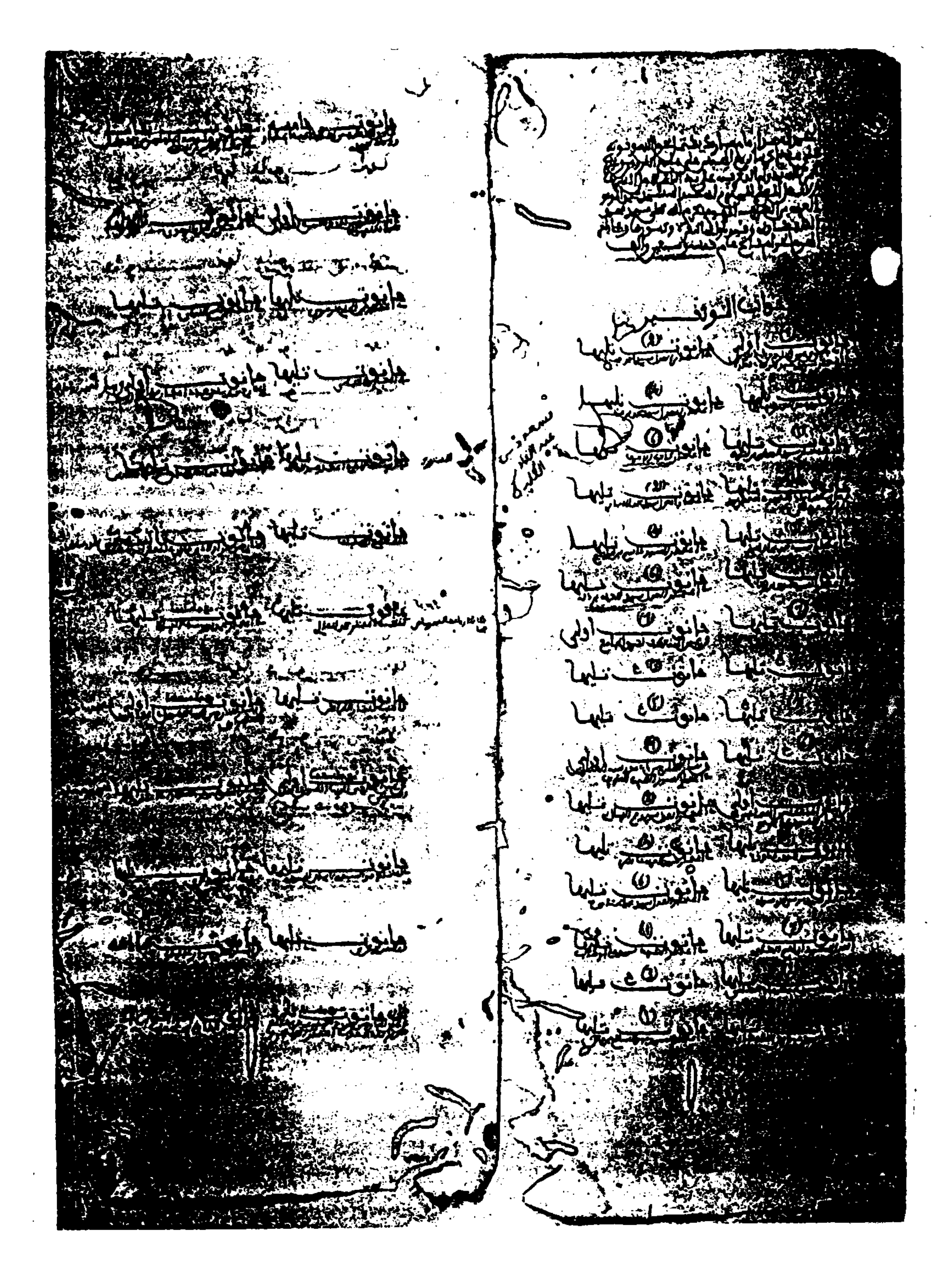
وقد عني الشيخ أبو بكر الدلائي في زاويته بالعلم والعلماء، عنايته بالتصوف والمريدين، واهتم بالغ الاهتمام بتعليم أبنائه الستة.

وقد حفظ العلم بالمغرب على أيدي رؤساء هذه الزوايا الثلاث، يدل على ذلك ما أشار إليه أبو العباس أحمد الناصري في كتابه : طلعة المشتري في النسب الجعفري ج 1 ص 133 (طبعة حجرية) نقلا عن نشر المثاني حيث قال : «العلامة سيدي محمد بن الطيب القادري في كتابه نشر المثاني ما نصه : ومن الجاري على الألسنة، وحكاه بعضهم عن شيخنا أورع أهل زمانه سيدي محمد بن عبد الكبير السرغيني – رضي الله عنه – قولهم :

«لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر، لكثرة الفتن التي ظهرت فيه، وهم : سيدي امحمد بن ناصر في درعة، وسيدي محمد بن أبي بكر الدلائي في الدلاء، وسيدي عبد القادر الفاسي بفاس»».

ومحمد بن أبي بكر الدلائي، هو والد السلطان محمد الحاج الدلائي الذي نكبه المولى الرشيد وخرب زاويته، وفرق جموعه، وأمر علماء الزاوية بالدخول إلى فاس، والعمل على نشر العلوم والتدريس فيها وكان عدد العلماء الذي تصدروا منهم للتدريس فيها يزيد على 10، فيهم المحدثون، والفقهاء، واللغويون، والأدباء، وفيهم المشاركون في كثير من هذه الفنون، كمحمد الدلائي، ومحمد الشاذلي والحسن اليوسي، واشتغل بتدريس الأدب وقواعد اللغة في فاس من العلماء الدلائيين : أحمد بن المسناوي، ومحمد بن أبي عمر، وأحمد بن الشاذلي، ومحمد بن عبد الله بن محمد الحاج، وكلهم من أحفاد الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، انظر : الدكتور محمد حجي في كتابه الزاوية الدلائية ص 264 ط 2 سنة 1409/ 1988.

211) وتفصيل هذا أورده صاحب الأتحاف بقوله : إنه اقترح على المولى الرشيد منذ البداية اسم الفقيه مسعود الشامي مشرفا على الأوقاف. وقد فصل هذا مولاي عبد الرحمن ابن زيدان في كتابه : إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، نقلا عن ألفية السلوك هذه، حيث قال: إن تولية حمدون القضاء، كان بإشارة من الأستاذ أبي زيد عبد الرحمن ابن القاضي، وذلك أن المترجم – الرشيد – لما جلس على أريكة الملك بالعاصمة الفاسية، وجه للأستاذ المذكور يستقدمه عليه، فأجابه : بعدم قدرته على القدوم، لكبر سنه وملازمته بيته، فلما جاء=



حوالة 1075 عهد السلطان المولى الرشيد وقد كان الناظر
هو العربي الشفشاوني وكان الكاتب هو مسعود الطليط

«جئتك لأستشيرك فيمن أوليه بفاس من حاكم، وقاض، ومحتسب، وناظر».

فقال له : أما الحاكم، **فلا أتقلده، والقاضي : حمدون المزوار، والمحتسب : عبد القادر المركَني الفلالي، والناظر : العدل مسعود الشامي.**

ويهمنا من هذه الزيارة : عنصر المشورة الذي كان يعمل به المولى الرشيد، وقد تعلق هنا بأربعة وظائف سامية في الدولة المغربية آنذاك، ومن بينها : نظارة الأوقاف التي تسهر على سير أوقاف الواقفين، وقد رشح لها هنا الفقيه مسعود الشامي، فكان في مستوى الترشيح والاختيار.

وإلى المولى الرشيد، يرجع الفضل في إحياء سجلات الأوقاف (حوالاتها) والمحافظة عليها، حتى تبقى أوقاف الواقفين مستمرة في أداء رسالتها، وفق مقاصد الواقفين، ومن بينها : نشر العلوم، وتنميتها.

ومن بين السجلات أو الحوالات الوقفية التي كانت قد جمعت في عهده :

1 – حوالة سنة 1075 هـ / 1664 م : وقد كان كاتبها هو مسعود الشامي بن عبد القادر الطليط الذي كان دكانه، هو السادس عن يمين الخارج من باب القرويين (الشماعين).

=جوابه للمترجم، قال للرسول :

«إني آتيه، يخرج لمحل قريب من بيته آتيه فيه، فخرج لغريسة درب الدرج، حائطها موال لصمودة، ولما قدم السلطان، فتحوا له في حائط الغريسة نقبا دخل منه إليها، واجتمعا معا، فقال له :

«جئتك لأستشيرك فيمن أوليه بفاس من حاكم، وقاض، ومحتسب، وناظر».

فقال له :

«أما الحاكم، فلا أتقلده، والقاضي : حمدون المزوار، والمحتسب : عبد العزيز المركَني الفلالي، والناظر : العدل مسعود الشامي».

انظر مزيدا من المعلومات حول تصرف المولى الرشيد بالنسبة لهذه الاستشارة :

إتحاف أعلام الناس.. ج 3 ص 39 ـ 40.

2 – **حوالة سنة 1079 هـ :** فقد صرح الدكتور التازي(212) أن الكتاب في عهد هذه الحوالـة، أخذوا يبدأون في عد حـوانيت سماط العدول من التي توجد يمين الخارج من باب القرويين المقابل لسوق الشماعين وكانوا يبدأون يسار الخارج من السوق، وقـد ترك مكان اسم الناظر بياضـا، ونعتقد أنه المصلح الكبير النزيه سيدي مسعود الشامي.

3 – **حوالة سنة 1080 هـ :** فقـد كان الناظـر المشرف عليـها، هو أبا القاسم إبراهيم ابن الحاج محمد مسامح الأندلسي المكناسي.

ولعل هذه الحوالات، تحمل في طيها مـا يؤشر على دور الوقف في الحياة الثقافيـة في هذا العهد، سـواء من حيث الكراسي العلميـة، أو من حيث إنشاء الخزانات العلمية، أو من حيث تأسيس بعض المراكز الثقافية.

لائحة بصفوة من العلماء المغاربة المعاصرين للمولى الرشيد :

إن من بين الشيوخ الأعلام المغاربة الذيـن عاصروا المولى الرشيد، وكانوا يتصدرون الكراسي العلمية في عهده، ويسهمون بحظ وافر في النشاط الثقافي، هم كالتالي :

1 – العلامة محمد ابن سودة المري (1003 – 25 ذي القعدة 1076هـ).

2 – الشيخ أبـو زيد عبد الـرحمن ابن أبي القاسم ابـن القاضي (999 – 1082هـ / 1590 – 1672م).

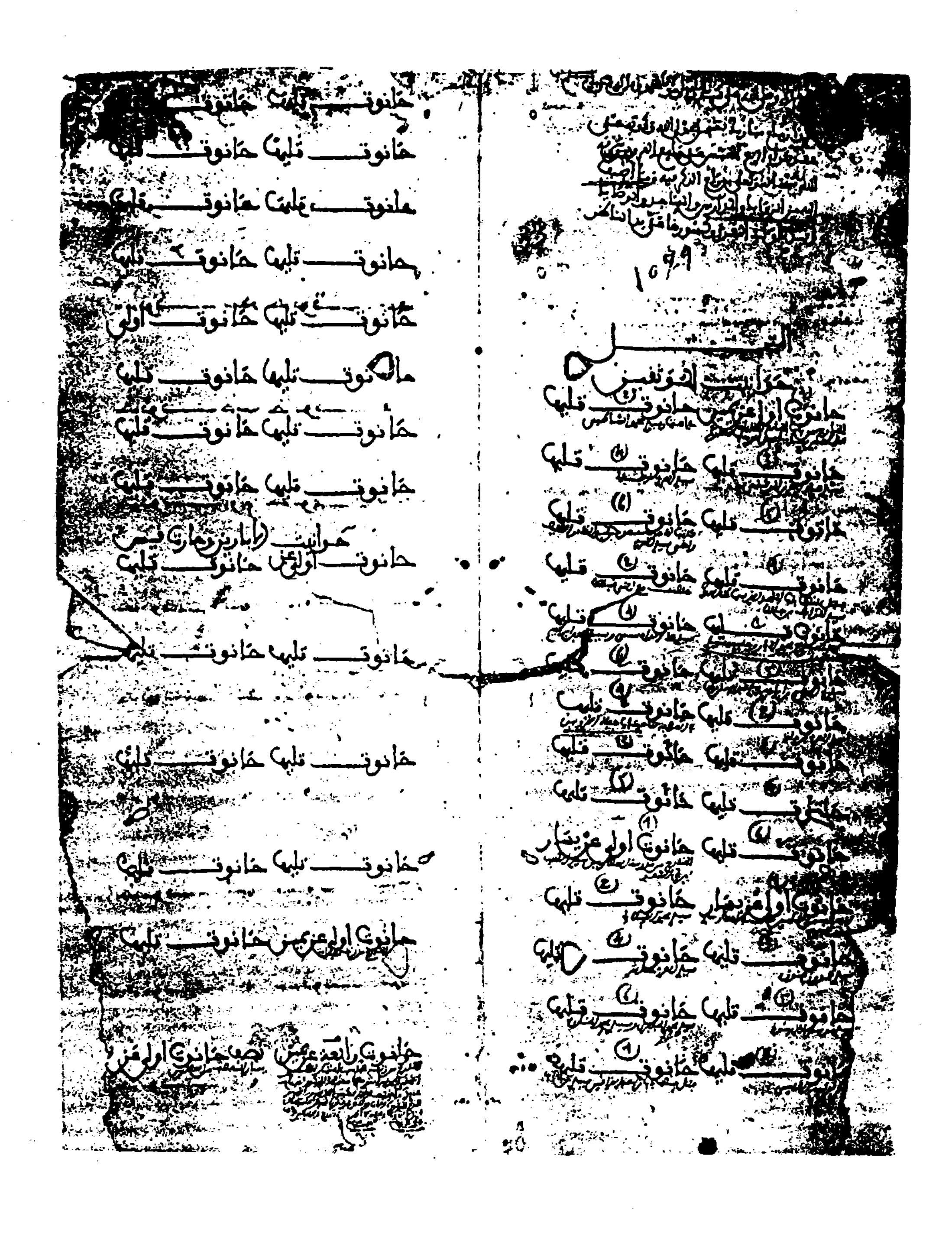
3 – الشيخ أحمد بن محمد التجموعتي (1080هـ).

4 – الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن ناصر رئيس الزاوية الناصرية بتمكَروت (1085هـ / 1674م).

5 – الشيخ الإمام محمد بن أحمد ابن أبي المحاسن الفاسي (1084هـ).

---

212) انظر ج 3 من جامع القرويين ص 706.



حوالة 1079 وقد تيمنت ـ كما هي العادة ـ بالابتداء بحوانيت الموثقين...

6 – الشيخ أبو عبد الله محمد بن ناصر الجعفري الزينبي دفين درعة (1089هـ).

7 – الشيخ الرحالة الشهير أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (1037 – 1090هـ / 1628 – 1679م).

8 – الشيخ العلامة عبد القادر الفاسي الفهري (1007 – 1091هـ) / 1599 – 1680م).

9 – الشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري (1040 – 1096هـ / 1631 – 1685م).

10 – الشيخ العلامة محمد بن سليمان الروداني (1037 – 1094هـ / 1627 – 1683م).

11 – الشيخ العلامة محمد المرابط الدلائي (1098م).

12 – الشيخ العلامة أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (1102هـ).

13 – الشيخ العلامة محمد الشاذلي (1103هـ).

14 – الشيخ العلامة أبو الفضل أحمد ابن الحاج الفاسي الحارثي المرداسي السلمي (1042 – 1109هـ / 1632 – 1697م).

15 – الشيخ العلامة محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي (1033 – 1109هـ / 1624 – 1697م).

وهؤلاء قليل من كثير من أولئكم العلماء الذين كانوا يقومون بتدريس مختلف العلوم العقلية منها والنقلية من فوق الكراسي العلمية في هذا العهد، وهذه الكراسي لم تكن مقتصرة على مدينة فاس وحدها، وإنما تشاركها في ذلك عدة مدن أخرى مغربية، عرفت بإشعاعها الفكري، كمكناس، وتطوان، وفكَيك، ومراكش، والرباط، وتارودانت وغيرها.

المبحث الأول
دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى الرشيد

قبل التحدث عن دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى الرشيد، يجدر بنا أن نشير - بادىء ذي بدء - إلى أن الكراسي العلمية في المغرب لم تكن إلا تقليدا علميا وجد في الشرق العربي قبل وجوده في المغرب، ولم تعرف الكراسي العلمية في المغرب إلا بعد أن مدت الجسور بينه وبين دول المشرق، فأضحى بينهما تواصل ثقافي، والتحام فكري، مما جعله يسير في ركابه في هذا المجال يدل على ذلك : ما أشار إليه العلامة محمد المنوني.(213) حيث قال :

«إن الكراسي المخصصة لتدريس أمهات المصنفات بجامع القرويين، وفروعه لكبار الأساتذة والموقوفة لتدريس أمهات المصنفات على مختلف العلوم، هي تقليد علمي وجد في الشرق أيضا... ومن هذا ما يحدث به ابن بطوطة(214) عن المدرسة المستنصرية ببغداد، حيث يقول :

...«وبها المذاهب الأربعة، ولكل مذهب ديوان فيه مسجد، وموضع التدريس، وجلوس المدرس في قبة من خشب صغيرة على كرسي عليه البسط».

وبعد هذا أشار الأستاذ محمد المنوني : **إلى أن ولاية كرسي التدريس بالقرويين، تعتبر منصبا ساميا ولهذا كانت لا تصدر إلا عن السلطان، أو ولي عهده** خاصة...(215) كما أن لهذه الكراسي أوقافا خاصة صادرة عن

---

213) انظر مجلة دعوة الحق العدد 4 السنة التاسعة شوال 1385هـ / فبراير 1966 ص 91 ـ 92.

214) في رحلته : تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار ج 1 ص 141 مكتبة النجاح مصطفى محمد بمصر السنة 1377هـ وانظر هذا أيضا في المطبعة الرابعة 1405هـ / 1985م المحققة من طرف الدكتور علي المنتصر الكتاني ج 1 ص 244.

215) انظر مجلة دعوة الحق العدد 4 السنة التاسعة شوال 1385هـ/ فبراير 1966 ص 91 - 92
ومما أورده الأستاذ المنوني هنا أن السلطان المولى سليمان، أسند تدريس علم الحديث بجامع القرويين لأبي الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي وولاه هذا الكرسي - كرسي الحديث - حيث درس به الصحيحين، وغيرهما من الكتب الستة، كما أقرأ به التفسير.. توفي أبو الفيض المذكور يوم الاثنين 7 ربيع الثاني 1232هـ / 1817م اهـ من سلوة الأنفاس ج 3 ص 14ـ15.

السلاطين أو الأفراد، وتوجد في حوالات القرويين عدة لوائح، فيها أوقاف كراسي التدريس بجامع القرويين وغيره».

وقد أوضح الأستاذ محمد المنوني :(216) «أن الدروس الوقفية بما فيها ذات الكراسي، كانت مدة القراءة فيها، هي : زمن الشتاء وأول الربيع... قال في مرآة المحاسن(217) أثناء كلام... «وكانت القراءة على العادة في المغرب الأقصى في فصل الشتاء، وأول فصل الربيع، وقد حلل هذه العادة الإمام محمد بن يوسف السنوسي هكذا : وجرت عوائد الشيوخ قديما وحديثا أن يجتهدوا في فصل الشتاء بسرد القليل من المسائل، وإفراغ الوسع في نقل ما للعلماء فيها، وتحقيق ما يخصها من مباحث وأنظار، ولا يسمحون لأنفسهم في هذا الفصل بشيء من البطالة، فإذا انصرم هذا الفصل، أجموا أنفسهم بعض الاجمام، ثم شرعوا في إقراء الطلبة والمبالغة في نصيحتهم بقدر الإمكان، لا سيما طلبة المدرسة التي تضاف إليهم، وعادتهم في سائر فصول السنة غير فصل الشتاء أن تسرد عليهم كثرة المسائل، ويقتصرون على بيان صورة كل مسألة مع نقل ما لابد منه عليها من المباحث والأقوال، وحل ما يعرض في ذلك من نظر، وإشكال».

وأما الكراسي العلمية في عهد المولى الرشيد : فإنها كانت نفس الكراسي العلمية أيام أخيه المولى امحمد بن الشريف، إلا أنها لاقت عناية وتشجيعا من المولى الرشيد، أكثر من أخيه السابق، نظرا لكونه كان أكثر تعلقا بالعلم وبرجاله، وكان يؤانس العلماء، ويقربهم منه، ويكافئهم مكافآت خاصة، زيادة على ما يأخذونه من مستفاد الأوقاف.

إضافة إلى ذلك : أن المولى الرشيد، كان طالب علم، وكثيرا ما اغترف من مناهل كراسي القرويين، حيث أخذ العلم من فحول عصره.

---

216) انظر مجلة دعوة الحق المشار إليها أعلاها ص 92.

217) صاحبها هو الشيخ محمد العربي الفاسي من أبناء الشيخ أبي المحاسن الفاسي 1084هـ.

والكـراسي العلمية في هـذا العصر، كانت تشجع عن طـريق المحسنين من عامة النـاس، ومن الشخصيات البارزة في الدولـة، ومن العلماء أيضـا، ومن الملوك أنفسهم، حيث يلاحظ ما تقوم به الأوقاف من تشجيع للعلم والعلماء والطلاب أيضـا.

وكنموذج على تشجيع الثقـافة من طرف الملـوك عن طريق الـوقف : ما سـاقـه محمـد بن جعفـر الكتـاني في كتـابـه : روضـة الآس العـاطـرة الأنفاس...(218) حيث قال :

«إن المولى الرشيـد عندما زار ضريح المولى إدريس الأصغر، بـذل أموالا عظيمـة، وحبس دارا وأرضا فيهـا بلاد حـرث وزيتون على من يقـرىء في روضته : صغرى الإمام السنوسي في التوحيد إلى الأبد...».

وهكذا أنشـىء كـرسي التوحيد، أو كرسي علم الكـلام في مسجد الشرفاء بفاس بعد أن لم يكن له.

فـالكـراسي العلميـة إذن في عهـده كـانت من الكثـرة بمكـان، إلا أنها في المساجد الصغار، أكثر منها حظا في المساجد الكبار.

ويجب لفت النظر إلى «أن حوالة جامع الاشراف(219) ذكرت – كما يقول الأستـاذ المنوني – وقفيـات أربعة كـراسي للتـدريس بعهد العلـويين، وهي كرسيـان لصحيح البخـاري، وثالـث للرسالـة القيروانيـة، ورابع للتوحيـد».

ومن الملاحظ أنه في الكـراسي العلمية بالمسـاجد الصغـار غالبا مـا يقوم العلماء بتدريس رسالـة ابن أبي زيد القيرواني، ولعل السبب في ذلك يرجع

---

218) انظر ص 167 من الطباعة الحجرية حيث تفيـد أن زيارة المولى الرشيد للمولى ادريس الأصغر كانت في عشرة الثمانين بعد الألف الهجرية.

219) انظر هذه الحوالـة مصورة في ميكروفيلم رقم 24 بقسم الوثائق والمخطوطـات بالخزانة العامة بالرباط.

فيما بعد إلى نهي المولى محمد بن عبد الله(220) عن الاشتغال بالمطولات كمختصر خليل، وابن عرفة وأمثالهما، وحتى وضع في ذلك كتابا مبسوطا أعانه عليه أبو عبد الله الغربي، وأبو عبد الله المير، وغيرهما من أهل مجلسه، وهذا خلافا لما كان عليه ولده المولى سليمان، ولا شك أن العلماء الذين يقومون بتدريس الرسالة وغيرها إنما كانوا يكافأون من قبل الأوقاف حيث يأخذ كل عالم من مستفاد الوقف المعين له ما يقيم به أوده وأود أسرته، وهذا من شأنه أن يساعد على تنمية الثقافة، وتنشيطها.(221)

وإذا كان للوقف هذه الأهمية من حيث دعمه الكراسي العلمية، فإن له نفس الأهمية من حيث إنشاء خزانات علمية، ووقف الكتب عليها، تيسيرا لطلاب العلم في الحصول على كل المظان التي يحتاجون إليها في دراستهم، وإذا كان الدور الأكبر في تحصيل العلوم يرجع إلى الخزانات العلمية، فإن هذا يجعلنا نلقي أضواء على ما أسسه المولى الرشيد منها، وهو ما سنخصص له المبحث التالي :

المبحث الثاني

إنشاء المولى الرشيد خزانة علمية ووقفه كتبا عليها

ونظر لما للخزانة العلمية من دور هام في تسهيل الثقافة لطلابها، فإن المولى الرشيد أنشأ خزانة علمية بفاس الجديد المسماة الدار البيضاء، خدمة

---

220) انظر ذلك في المنشور الذي أصدره المولى محمد بن عبد الله المتعلق بإصلاح العدلية وإصلاح الدروس في جامع القرويين حيث بين ما يدرس من العلوم فيه، وما لا يدرس منها الخ ما ورد فيه في كتاب : الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لمؤلفه عبد الرحمن ابن زيدان ص 61 ـ 62.

221) توجد أمثلة كثيرة عن هذه المكافآت في الحوالة العبد الرحمانية أيام المولى عبد الرحمن بن هشام وولده الرابع والحسن الأول وأبنائه من بعده.

للعلم وأهله. يدل على ذلك ما أشار إليه المؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان»(222) حيث قال :

«أسس الخزانة العلمية بالجانب الجنوبي من الجامع الأعظم بفاس الجديد، وحبس نفائس الكتب عليها يدل على ذلك ما قرأته في نقش خشب بأحرف بارزة بأعلى المحافل التي توضع بها الكتب، ولفظه :

«الحمد لله حق حمده، هذه خزانة أمر بصنعها وإنشائها الإمام الأوحد الهمام، أمير المومنين المتوكل على رب العالمين مولانا الرشيد بن مولانا الشريف أيد الله أمره، وأعزه بعزه بتاريخ فاتح شهر الله الحرام عام تسعة وسبعين وألف».

ولم يقف عمل المولى الرشيد على إنشاء هذه الخزانة فحسب، وإنما وقف عليها كثيرا من نفائس الكتب التي وردت الإشارة إلى بعضها في فهرس مخطوطات خزانة القرويين(223) ومن بين هذه الكتب :

1 – الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعلبي أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المولود سنة 787هـ والمتوفى بالجزائر سنة 876هـ وقفه الرشيد على خزانته العلمية بالجامع الكبير من حضرة فاس الجديد.(224)

2 – فتح الباري، لشرح البخاري، وقد حبسه أيضا على خزانته التي أحدثها.(225)

3 – الجامع الصغير، للسيوطي.(226)

---

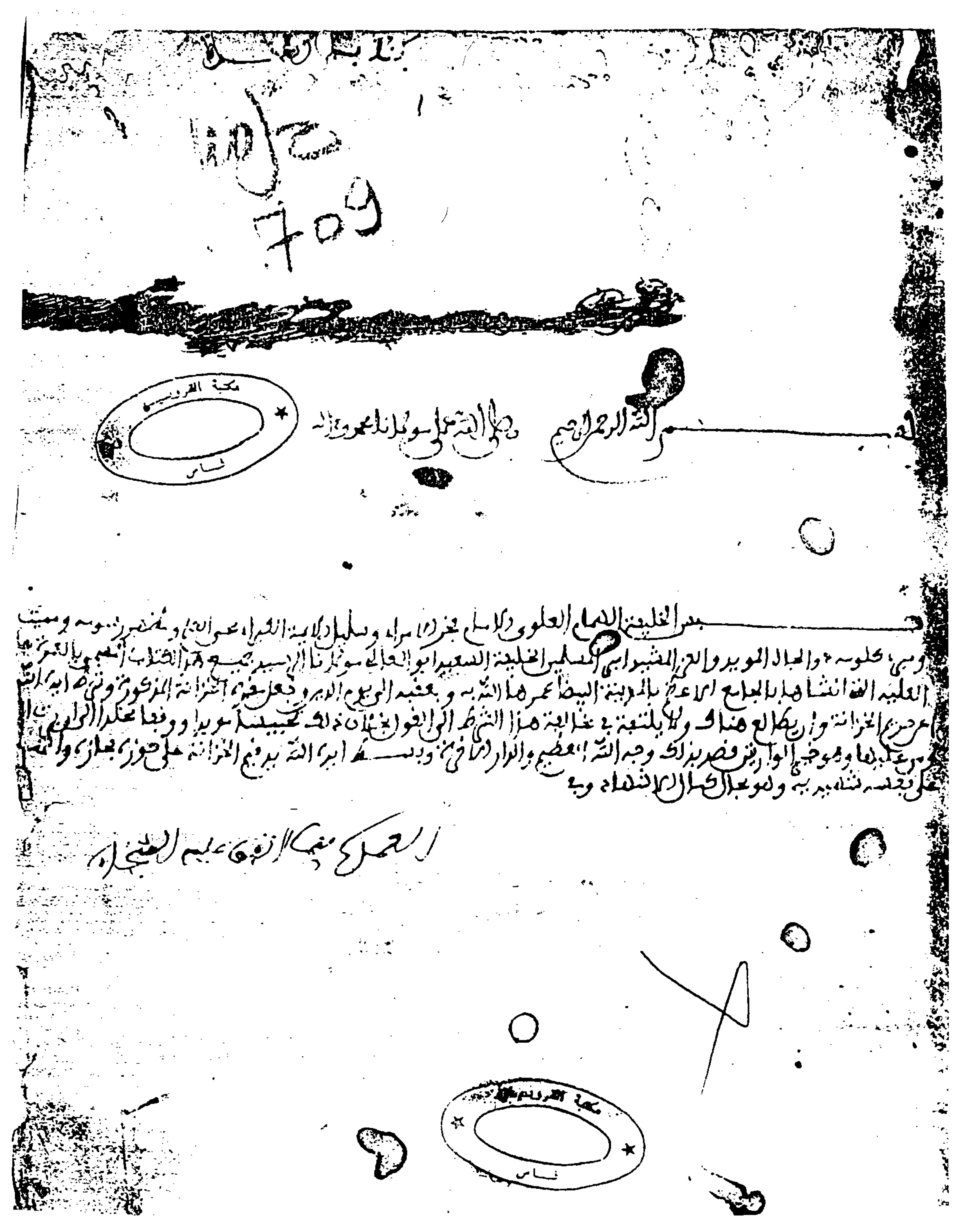
222) انظر ذلك في كتابه : الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة ص 13 ـ 14 المطبعة الاقتصادية بالرباط لصاحبها مصطفى عبد الله، سنة الطبع : 1356هـ/1937م.

223) لمؤلفه المرحوم محمد العابد الفاسي، وفيه بضعة أجزاء، طبعة دار الكتاب البيضاء 1399هـ/1979م.

224) انظر الجزء الأول من الفهرس المذكور أعلاه ص 72.

225) نفس المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 130.

226) نفس المرجع السابق أعلاه ونفس الجزء 201.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

العمدة فيما اتفق عليه الشيخان

هذا نص وقفية كتاب العمدة فيما اتفق عليه الشيخان،
من وقف المولى الرشيد الملك العلوي

4 – كتاب الفتاوي،(227) للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر المتوفى سنة 911هـ.

5 – مشارق الأنوار على صحاح الآثار (كذا) الآثار، مما يشكل من الأمهات الثلاث في المتون والأسانيد وإيضاح ذلك وتجديد ذلك التقييد، تأليف الفقيه القاضي الأجل الإمام الأوحد الأصيل أبي الفضل عياض موسى ابن عياض اليحصبي المتوفى سنة 544هـ.(228)

6 – غريب السير في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لمصعب بن محمد مسعود بن عبد الله بن مسعود الخشني من أهل حيان يكنى أباذر.(229)

ووقف التلخيص في تفسير القرآن العزيز، حيث أشار إلى ذلك عبد الرحمن بن زيدان(230) حيث قال ومما قرأته في عقد حبس، هذا لفظه :

«حبس مولانا الهمام، غيث الغمام، خليفة الله على عباده، وظله في أرضه وبلاده، فخر الأمراء، وسليل الأئمة الكبراء، ذو الجاه المديد، والعز المشيد أمير المسلمين، الناصر بالله أبو المعالي مولانا الرشيد : جميع هذا المجلد المسمى بالتلخيص في تفسير القرآن، المكتوب على أول ورقة منه على خزانته العلمية السعيدة أنشأها بالجامع الكبير من حضرته العلمية فاس الجديدة، لينتفع بها من فيه أهلية الانتفاع من المتبوعين والاتباع، حبسا مؤبدا على الدوام والاستمرار، قصد بذلك : وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، والدار الآخرة، بحيث لا يبدل ولا يغير، فمن سعى في تبديله أو تغييره، فالله حسيبه، وقصدا لأذاعة العلم وإفشائه، كما هي سيرة الخلفاء المهتدين، أثابه الله على قصده، وخلد في صفحات المكرمات ذكره، بالنبي وآله، وبسط –

227) نفس المرجع المذكور أعلاه نفس الجزء ص 228.

228) نفس المرجع المذكور أعلاه نفس الجزء ص 238.

229) نفس المرجع أعلاه نفس الجزء ص 283.

230) في كتابه الدرر الفاخرة ص 14.

أيده الله تعالى - يد قيم الخزانة على حوزه، فحازه عام اثنين وثمانين وألف».

من خلال ما سبق، يتضح جليا : أن وقف الكتب يجعل الثقافة تنتعش في الحياة وينميها بشكل أكثر اتساعا، وانتشارا.

وإذا كان إنشاء الخزانات العلمية، ووقف الكتب عليها يبعث الثقافة من مرقدها، فإن إنشاء المؤسسات، أو المراكز الثقافية، يجعلها تتخذ طريقها نحو البقاء والاستمرار، وهذا ما جعل المولى الرشيد يهتم بتأسيس بعض المدارس العلمية، وهو ما سنقف عليه في المبحث التالي :

المبحث الثالث

تأسيس المولى الرشيد بعض المراكز الثقافية

لم يقتصر عمل المولى الرشيد في المجال الثقافي على المساهمة في إحياء الكراسي العلمية وفي إنشاء الخزانات العلمية، وإنما تجاوز عمله ذلك إلى تأسيس بعض المراكز الثقافية، علما منه أن المراكز الثقافية، هي منطلق العلوم، ومبعث الفهوم.

وإنه بالرجوع إلى المظان التاريخية الخاصة به، نجدها تشير إلى أنه قد أسس مركزين ثقافين هامين في كل من مراكش وفاس.

1 - مدرسة بن صالح.

2 - مدرسة الشراطين.

أما عن المدرسة الأولى، فقد أمر ببنائها بإزاء جامع الولي الصالح الشيخ أبي عبد الله بن صالح(231) وقد كانت هذه المدرسة مأوى للطلبة الآفاقيين الذين يؤمون مراكش طلبا للعلوم التي تدرس آنذاك بالجامعة اليوسفية.

---

231) انظر ج 7 من تاريخ الاستقصا ص 41.

وأن هـذه المدرسـة ليست هي المدرسـة الـوحيـدة التي تـؤوي الطلبـة الآفاقيين هناك، وإنما توجد إلى جانبهـا مدارس أخرى، لتكون مسكنا لطلبة الاغتراب الـذين يقبلون على هـذه البلـدة، لكونها تعتبر قبلـة إشعاع فكـري وثقافي في الجنوب، مثلما كانت فاس تعتبر قبلة إشعاع فكري وثقافي كذلك في الشمال.

ومن بين هذه المدارس الموازية لها في مراكش :

1 – مدرسة ابن يوسف.

2 – مدرسة المواسين.

3 – مدرسة الزاوية العباسية.

4 – مدرسة باب دكالة.

5 – مدرسة القصبة.

6 – مدرسة حم يحة.

وقد استقبلت هذه المدارس آلافا من الطلاب الـوافدين على مراكش، بغية الاغتراف من مناهل المعرفة الزاخرة بـالجامعة اليوسفية... وقد كان يسمح لهم بالسكن فيها مجانا، لأنها وقفت لهذا الغرض، كما أن الخبز كان يوزع مجانا يوميا عليهم، وتوزيع الخبز عليهم بالمجان، هو أثر من آثار الوقف.

ومن المعلوم، أنه كان على هذه المدارس قومة يسهرون على سيرها، وعلى راحة القاطنين بها.

ويكفي أن نشير إشـارة مقتضبة إلى أوقاف بعض هـذه المدارس، لنقف على ما كان للوقف من أثر فاعل في هذا المضمار، ولنأخذ كمثال على ذلك من مدرسة المواسين، ومدرسة الزاوية العباسية، ومدرسة حم يحة.

1 – أوقاف مدرسة المواسين :

بالرجوع إلى حوالة أحباس كبرى مراكش(232) نجدها تشير إلى هذه الأوقاف، وهي :

فنيدقة بحومة المواسين في مراكش على يسار الخارج من فندق الباشا.

– حانوتان بين الفنيدقة المذكورة، وباب المدرسة المذكورة.

– حانوتان على يسار الخارج من المدرسة المذكورة.

– جميع بقعة 5 حوانيت قبالة باب المدرسة المذكورة، والهري الذي بأسفلها على يسار الخارج من درب عبيد الله.

– الطاحونة الكائنة بالدرب المذكور على يمين الداخل له مقابلة للفرن هناك.

– جميع 5 حوانيت بسوق الباشا متواليات، أولهن الرابعة، وآخرهن الثامنة بالصف الذي على يسار الداخل للسوق المذكور من الفحل المجاور للغسيل هناك.

– حانوت بين فندق الباشا، وقاعة الفاكهة.

– حانوت على يمين الخارج من باب السوق.

2 – أوقاف مدرسة الزاوية العباسية :

وبالرجوع إلى نفس الحوالة المشار إليها أعلاه، نجدها تعدد أوقاف هذه المدرسة، حيث بلغت 25 حانوتا تقع في أماكن متعددة من مدينة مراكش.(233)

---

232) انظر حوالة أحباس كبرى مراكش رقم النسخة الخطية 10 رقم مكيروفيلمها 119 في قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط : ص 28.

233) انظر هذه الحوانيت ومواقعها في الحوالة المشار إليها أعلاه ص 20 ـ 22.

3 – أوقاف مدرسة حم يحة :

وقد عددت نفس الحوالة المشار إليها أعلاه أيضا أوقاف هذه المدرسة، حيث بلغت 15 حانوتا تقع في أماكن متعددة من مراكش مع 3 مصريات وطرازين ونصف حانوت.(234)

وأما عن المدرسة الثانية، وهي مدرسة الشراطين بفاس، فتعتبر من أهم ما تركه المولى الرشيد في الحقل الثقافي، فقد أسسها في أوائل شعبان عام 1081هـ، وتقع في شارع الشراطين : موضع دار عزوز وجعل لها بابان، أحدهما على الشراطين، والآخر مقابل له ينفذ من درب الصفارين مباشرة إلى باب القرويين (الخلفاء) تحتوي هذه المدرسة على 3 طبقات، وتشتمل على 232 حجرة، وقبة للصلاة، وبكل زاوية من زواياها الثلاث دويرة، وبالرابعة الميضأة.(235)

وإذا كان المولى الرشيد أسس هذه المدرسة العظيمة، فإن الذي أكملها، هو أخوه المولى إسماعيل عام 1089هـ.

أما عن أوقافها، فهي كثيرة جدا، وقد تعرضت لذكرها كل من :

- الحوالة الجديدة لأحباس فاس.(236)
- الحوالة الإسماعيلية.(237)

---

234) انظر ص 73 من الحوالة المشار إليها أعلاه، ويوجد بأسفلها، : رسم التحبيس مع رسوم أخرى مؤرخ بمنتصف شعبان عام 1137هـ.

235) انظر الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لمؤلفه عبد الرحمن ابن زيدان ص 12 ـ 13 المطبعة الاقتصادية بالرباط 1366هـ/1973م.
وانظر كذلك جامع القرويين، للدكتور عبد الهادي التازي ج 3 ص 671.

236) رقم النسخة الخطية 45 ورقم ميكروفيلمها 157 ص 80 ـ 81 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

237) رقم النسخة الخطية 46 رقم ميكروفيلمها 158 ص 150 ـ 160 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

- حوالة المدارس القديمة بفاس.(238)

- والحوالة السليمانية.(239)

ولم نشر إلى أوقافها هنا، لأن المدرسة لم تكتمل في عصر المولى الرشيد من جهة، ومن جهة أخرى، فإن أوقافها كانت قد ابتدأت في عهد المولى إسماعيل.

تلكم كانت أهم المنجزات في عهد المولى الرشيد، والتي دعمت بالأوقاف، لتبقى لها الديمومة والاستمرار ما شاء الله لها ذلك، وإذا كان للوقف دور فعال في الحياة الثقافية في عهد المولى الرشيد، فإن دوره في الحياة الثقافية في عهد المولى إسماعيل، كان أكثر وأوسع وأشمل من عهد أخيه، وهو ما سنعالجه في الفصل التالي :

---

238) رقم النسخة الخطية 48 ص 37 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

239) رقم النسخة الخطية 50 ورقم ميكروفيلمها 162 ص 50 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

الفصل الثالث

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى إسماعيل

1082 – 1139 هـ / 1672 – 1727 م



الفصل الثالث

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى إسماعيل :(240)

1082 – 1139 هـ / 1672 – 1727م

سنتطرق في هذا الفصل إلى إعطاء نظرة عامة عن اهتمام المولى إسماعيل بالأوقاف، وعن الإصلاحات التي أدخلها عليها، وعن إنشائه حوالة تضمها وتصونها عن الضياع، كما سنتطرق إلى دور الوقف في الكراسي العلمية في عهده، وإلى تأسيسه كتاتيب قرآنية مع الوقف عليها، وإلى دور الوقف في سير المدارس العلمية، وإلى الوقف على القراء ومعلمي الصبيان، وإلى وقفه الكتب على الخزانات العلمية، حيث سنعالج الكلام عن كل ذلك في نظرة عامة، وخمسة مباحث.

1 – في دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى إسماعيل.

2 – في تأسيسه كتاتيب قرآنية مع الوقف عليها.

3 – في دور الوقف في سير المدارس العلمية.

4 – في الوقف على القراء ومعلمي الصبيان.

5 – في وقفه الكتب على الخزانات العلمية.

نظرة عامة : حول اهتمام المولى إسماعيل بالأوقاف وحول الإصلاحات التي أدخلها عليها مع إنشائه حوالة تجمع شتاتها، وتصونها عن العبث والضياع، مع إيراد لائحة للعلماء المعاصرين له بالمغرب :

---

240) ولد المولى إسماعيل بتافيلالت على القول الراجح وذلك عام 1065هـ وقيل عام 1558، وبويع له بالخلافة، بفاس بعد أخيه الرشيد سنة 1082/1664، وتوفي بمكناس في السبت 28 رجب 1139هـ/ 21 مارس 1772هـ الدرر الفاخرة.

إنـه بتصفح الكتب التاريخيـة المتعلقة بـالعهـد العلوي بـالمغرب، وكـذا الوثائق المتعلقة بالأوقاف في هذا العهد، نجد عهد المولى إسماعيل، كان عهدا زاخرا بالعطاء المعرفي، كما كان زاخرا أيضـا بالأوقاف، سواء منها ما يتعلق بالحياة الثقافية بصفة خاصة، أو ما يتعلق بالحياة المجتمعية بصفة عامة.

وقد قيض الله للأوقاف هـذا الملك الشهم، حيث اهتم بها، اهتماما بالغا أكثـر ممـا اهتم بها سلفه مـن قبل حيث أمـر بإنشاء حـوالـة(241) جامعة مختلف الأوقاف، صـائنة لها عن الضيـاع والتبدد، وقـد ضمت بين دفتيها الأوقاف المتعلقـة بالحيـاة الثقافيـة، والأوقاف المتعلقـة بالحيـاة المجتمعية، وغيرهما.

وهنـا يحسن بنا أن نعطي نظـرة مـركزة عن مشمـولات هذه الحوالـة بإيجاز كثير، وقبل إعطائها، تجدر الإشارة إلى بعض فقرات مقدمة الحوالة.

فقد ورد في مقـدمة هذه الحوالـة بعد الحمد للـه والصلاة على النبي ﷺ والتعرض للمولى إسماعيل في الديباجة الواردة فيها ما يلي :

«ولما بنى نصره الله وغرس، وقعد وأنس، وسبل ووقف وحبس، وأعطى ووهب، وجـاد بما وجب مـن النشب، تـوجهت (جامع الحوالـة ومنظمها : القائد أبو عبـد الله الروسي) وجهة حـذر وتحري، وتوخ وتبري، للنظـر في جملـة الأحباس ومـا عسى يعرض فيهـا من التلف والاختلاس والالتبـاس بامتـلاك الناس لها مع طول الـزمان وضعف الإيمان، وخصوصـا أوقاف فاس، لكثرة أوقافها، واختلاف أصنافها.

فصرف، أيده اللـه، وجه اعتنائه إليهـا، وقصد بكريم خصـاله، وجميل أفعاله وخلاله، لتفقد أحوالها، والبحث عن أموالها، والنظر في ولاتها وجباتها،

---

241) الحوالة الإسماعيلية هي في الواقع حوالتان :

الأولى : وردت في الخزانة العامة بالربـاط قسم الوثائق والمخطوطات تحت عدد 46 وصورت في ميكروفيلم تحت عدد 158 في نفس الخزانة السابقة الذكر، وتحتوي علي 433 صحيفة.

والثانية : وردت أيضا في نفس الخزانـة السابقـة تحت عدد 47 وصورت في ميكـروفيلم تحت عدد 159 وعدد صحيفاتها 470، وهذه الأخيرة هي التي سنعطي نظرة عن مشمولاتها

فرأى - أيده الله وأرشده وبارك فيه وأسعده، ووفقه وسدده - أن يوجه إليها من يلم شعثها، وينظم مجشمها، ويجمع مفرقها، ويقيد مطلقها، ممن عرف بالصفاء وسار في الأحباس سير الوفاء، فعين لذلك خديمه وأمينه الذي ارتوى من نمير الصدق والصداقة معينه، عهده الذي بولايته تشرف، وبعلميته بعد التنكر تعرف، العبد المتشرف بخدمته، المستظل تحت سرداق حرمته، الذي لا يعرف بابا غير بابه، ولا نعمة غير نعمته، المقدم الأنجد الأرجح الأفلح، الأنجم الأصرح الأنصح، المغتبط بخدمة البساط المولوي، المستمد من نفحات المقام الهاشمي العلوي، المحب في آل البيت النبوي : القائد أبو محمد عبد الله الروسي، فقام في أحباس هذا البلد وقعد، واعتنى بأمرها واجتهد، وجمعها من تفريق، ونظمها في عقد وثيق، واحتفل في جمعها على اختلاف أصنافها، وتعدد أنواعها...».

وأما عن مشمولات الحوالة الإسماعيلية، فقد ورد بعد ذلك في مقدمة الحوالة نفسها ما يأتي :

«... فمنها : ما هو طعمة للضعفاء والمساكين.

- وما هو لأعانة الفقهاء المدرسين.
- وما هو متوكل المسلسلين.
- وما هو للمرابطين بالثغور والمجاهدين.
- وما هو لأئمتها والمؤذنين.
- وما هو على الخطباء الواعظين.
- وما هو على خلاص المأسورين.
- وما هو على القراءة على مقابر المسلمين.
- وما هو لأقامة ضرائح الصالحين.
- وما هو على القراءة على مقابر المسلمين.
- وما هو على القراء الحزابين.

الحوالة الإسماعيلية لعام 1115 وقد امتازت بما لم تسبقها إليه أي حوالة من قبل من حيث مسطرتها وضبطها وإتقانها

- وما هو لتعليم الصبيان، وتكتيب المبتدئين.

- وما هو لتنبيه المصلين الداعين إثر الفرائض لسلطان وقتنا، وإمام عصرنا، وعماد عزتنا، وقرة أعيننا بالنصر والتمكين، والأعانة على الدنيا والدين، والظهور على أعداء الله الكافرين.

- وما هو لتنبيه المصلين لتعديل الصفوف بجامع القرويين.

- وما هو للنداء على الصلاة على موتى المسلمين.

فلقد شمر المعين لذلك المذكور عن الساعد الأقوى، وأخذ بقوله تعالى : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾. ولازال على ساق الجد قائم، حتى جمعها الجمع الكامل السالم، مع تهذيبها، وقيد منها مانئا وما ترح وشرد وجمح، وضمها في ديوان فحفظها، وصوان يبديها للعيان فتلحظها، فهي مأثرة من مآثر مولانا محسوبة. فالشكر لله الذي هدى إليها وأرشد، ووفق وسدد، ثم للمقام العلي الذي قلده من وظيفتها ما قلد.

فلقد بذل النفس العزيزة في صلاح المسلمين والإسلام، وسلك مسالك الإسلام الكرام، وعامل الله ومن عامله، فاز بربح التجر، وظفر بالغنيمة المحفوفة بالثناء والشكر، فسح الله في مداه، وعمر بالمكارم منتداه، وأدام له في سماء المعالي ارتقاء وصعودا، ولا يعدمه مسرة موصولة وسعودا، سعدا لا يبلى، وعزا تروى آثاره وتتلى، ولازال تتزاحم على موارد ثنائه الألسن، وتروي الرواة من أنبائه ما يصح ويحسن، وجبر القلوب وبلغها من أيامه السعيدة كل مطلوب، يطرح البركة في عمره، ونصره وعصره... ولا حول ولا قوة بالله العلي العظيم، لا رب غيره، ولا خير إلا خيره، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليما».

وقبل التحدث عن دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى إسماعيل، يجب إعطاء لائحة بأسماء العلماء الذين أثروا الثقافة في عهده، سواء فوق

الكراسي الوقفية، أو من فوق الكـراسي التعليمية، أو في المجالس العلمية، كما نصت عليهم الحوالات الوقفية وغيرها، ومن هذه الأسماء :

1 – الشيخ العلامة عبد القادر الفاسي الفهري (1037 – 1091هـ).(242)

2 – الشيخ العلامة محمد بن سليمان الروداني (1037 – 1094هـ).(243)

6 – الشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن الحاج العربي بن محمد بن علي بن محمد المعروف بابن الحاج الفاسي المتوفى سنة (1109هـ / 1697م).(247)

7 – محمد المهدي الفاسي (1033 – 1109هـ).(248)

8 – أبو عبـد الله محمـد بن حمدون الشديـد الأندلسي المتـوفى في ربيع الثاني عام 1110هـ /1698م).(249)

9 – العلامـة الشيخ امحمد بن أحمد ابـن الحاج المتوفى في 16 حجة عام 1128هـ.(250)

---

242) انظر النبوغ المغربي ج 1 ص 283 ـ 284 للشيخ عبد الله كَنون وانظـر ترجمته أيضا في الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 102 ـ 105 للدكتور محمد الأخضر وفي نشر المثاني ج 2 ص 270 ـ 279 للشيخ محمد بن الطيب القادري.

243) انظر ترجمته في النبوغ المغربي ج 1 ص 284 ـ 285 وفي نشر المثاني ج 2 ص 314 ـ 315 وفي الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 106 ـ 113.

244) انظر ترجمته في مؤرخو الشرفاء تأليـف ليـفَـي بروفَـنصال وتعريب عبد القادر الخلادي ص 187 ـ 188 طبعة دار المعارف بالرباط 1397هـ / 1979م وفي النبوغ ج 1 ص 285 وفي الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 114 ـ 121.

245) انظر مـا راج بينه وبين المولى الرشيـد العلوي في قصره ج 7 من الاستقصا ص 43 ـ 44 وكذا الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 71 ـ 72 وفي السلوة ج 2 ص 90 ـ 92.

246) انظر ترجمته في كتاب التقاط الدرر القسم الثاني ص 258 ـ 260 وفي النبوغ المغربي ص 285 ـ 286. وفي الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 122 ـ 137.

247) انظر ترجمته في مؤرخو الشرفاء ص 262 ـ 265 وفي الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية ص 136 ـ 137.

248) انظر ترجمته في مؤرخو الشرفاء ص 192 ـ 193.

249) انظر مجلة دعوة الحق العدد 6 ـ 7 ص 118 السنة التاسعة ذو الحجة، محرم 1386هـ / أبريل ماي 1966م.

250) انظر ترجمته في سلوة الأنفاس ج 1 ص 155 ـ 156.

10 – العـلامة الشيخ امحمـد بن أحمد ابن الحاج العربي بن محمـد بن علي ابن الحاج المتوفى في 18 ربيع الثاني عام 1133هـ.(251)

11 – العلامة الشيخ أبو محمد عبـد السلام بن أحمد جسوس المتوفى في سنة 1121هـ.(252)

12 – العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القسمطيني المتوفى في 4 محرم عام 1116هـ.(253)

13 – العلامة الشيخ مولاي أحمد بن أحمد العمـراني الطود المتوفى سنة (1118هـ).(254)

14 – الفقيه العلامة القاضي السلفي أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بردلة الأندلسي الفاسي المتوفى سنة 1133هـ.(255)

15 – الفقيه العلامة الشيخ محمد المسناوي ابن الفقيه أبي العباس أحمد ابن الشيخ المحدث المسناوي بن ولي الله محمـد بن أبي بكر الدلائي المولود في سنة (1072هـ) والمتوفى زوال يوم السبت 16 شوال (1136هـ).(256)

16 – العلامة الشيخ الكبير بن محمد الطـالب ابن سودة المري الأندلسي المتوفى سنة (1136هـ).(257)

17 – الفقيه العـلامة امحمـد ابن الفقيه ابن محمـد بن عيسى الأصولي السني (1136هـ).(258)

---

251) انظر ترجمته في السلوة ج 1 ص 156.

252) انظر كتاب جامع القرويين ج 3 ص 798 وانظر كذلك تـرجمته في سلوة الأنفاس ج 2 ص 14 وكذا محنتـه وتصفية أموالـه وتركته وأولاده مـن قبل أبي العباس الروسي القـائد في عهد المولى إسماعيل في الاستقصا ج 7 ص 94 ـ 95.

253) انظر ترجمته في سلوة الأنفس ج 2 ص 30 ـ 31.

254) انظر نشر المثاني ج 3 ص 171.

255) انظر ترجمته في جامع القرويين ج 3 ص 799.

256) انظر ترجمته في السلوة ج 3 ص 44 ـ 46.

257) انظر المرجع أعلاه ج 1 ص 340 ـ 343.

258) انظر المرجع أعلاه ج 1 ص 292.

18 – الفقيه العــلامة أبو العلاء إدريس بن محمــد بن أحمد المنجرة(259) الحسني الإدريسي التلمساني ثم الفاسي المتوفى في (22 محرم عام 1137هـ).

19 – الشيخ العلامة الحسن أبو علي ابـن رحال المعداني المكناسي الملقب بصاعقة العلوم (1140هـ).(260)

20 – الشيخ العـلامة أبـو عبد اللـه محمد بن عبـد الرحمن بن زكـري الفاسي المحقق المشارك (1144هـ).(261)

21 – الشيخ العــلامــة أبــو الحسن علي بن أحمد الحريشي المتـوفى عــام (1144هـ).(262)

فهـؤلاء الشيـوخ المذكــورون وغيرهــم، هم الـذين كانـوا يسيــرون الثقافة في عهــده ويدفـعـون عجـلاتها إلى الأمـام، وقــد كانـوا يكافـأون من قبــل الأوقــاف، وهــذا هــو الســرفي استمــرار الثقافـة بالمغــرب إلى وقتنـا هذا، والآن نتحــدث عن بعض الكــراسي العلميــة في عهـد المــولى إسماعيـل، وعن دور الوقـف في ســيرها، وهــو ما سنعالجـه في الـمبحـث التالــي :

المبحث الأول

دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى إسماعيل

سنتنــاول بــالتحليل دور الـوقف في الكراسي العلميـة في هــذا العهـد، في مساجد فاس، وخاصة منها جـامع القرويين، وفي مساجد مكناس، وهذا ما يجعلنا نقسم هذا المبحث إلى فرعين :

---

259) المرجع أعلاه والسلوة ج 2 ص 272 ـ 273.

260) انظر ترجمته في مؤرخو الشرفاء ص 212 وفي النبوغ المغربي ص 287. وفي التقاط الدرر القسم الثاني ص 338 ـ 339، وفي الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 205 ـ 207.

261) انظر ترجمته في النبوغ المغربي ص 288 ـ 289، وفي الدرر الفاخرة ص 35 هامش رقم 1.

262) انظر المرجع أعلاه ص 35 هامش رقم 2.

1 – دور الوقف في الكراسي العلمية بالنسبة لمساجد فاس.

2 – دور الوقف في الكراسي العلمية بالنسبة لمساجد مكناس.

الفرع الأول

دور الوقف في الكراسي العلمية بالنسبة لمساجد فاس

مما هو معلوم وثابت أن مدينة فاس كان لها دور طلائعي في نشر الثقافة، والحفاظ عليها وتنميتها منذ عدة قرون، وكان أشهر مركز تعليمي في جنباتها هو : جامع القرويين، ثم جامع الأندلس، ثم جامع الشرفاء، ثم المدارس السبع السالفة الذكر، ثم بقية المساجد الصغرى الأخرى المنبثة في دروبها وأزقتها، ولكن المركز الذي أحرز قصب السبق في العطاء المعرفي، هو جامع القرويين، وقد اشتمل هذا الجامع على 18 كرسيا، يرجع إنشاء بعضها إلى النصف الأول من القرن 6 الهجري، وبعضها الآخر أنشىء فيما بعد، هذا وقد سبق القول بأن هناك بعض الكراسي العلمية أسست في عهد الدولة العلوية، إلا أن الكراسي الأخرى بقيت مستمرة العطاء إلى العهد الذي نتحدث عنه، وهو عهد العلويين بصفة عامة، وعهد المولى إسماعيل بصفة خاصة، كل ذلك كان بفضل عنايتهم ورعايتهم المعارف بما دعموها به من أوقاف تجعل استمراريتها في الأشعاع الفكري والثقافي ظاهرة ملحوظة.

وسنجمل الكلام في بعض الكراسي العلمية المدعمة بالأوقاف في العهد الإسماعيلي، سواء في جامع القرويين، أو في غيره من بقية الجوامع الأخرى بفاس فيما يلي :

أولا : بالنسبة لجامع القرويين :

إن من بين الكراسي العلمية بجامع القرويين التي بقيت مستمرة العطاء في عهد المولى إسماعيل، هي :

1 – كرسي المحراب.

2 – كرسي ظهر خصة العين.

3 – كرسي ظهر الصومعة.

4 – كرسي الورياغلي (880هـ).

5 – كرسي الركن الشمالي الشرقي.

6 – كرسي مستودع باب الحفاة.

7 – كرسي النحو.

فالكرسي الأول، وهو كرسي المحراب، يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة 651هـ وقد كان خاصا في البداية بتفسير القرآن للثعلبي (427هـ) وحلية الأولياء، لأبي نعيم (430هـ).

وإنه لما أقبل الناس على الاستفادة منه، فكر المشرفون عليه في أن يضيفوا إلى التفسير والحلية : كتاب الأحياء، لأبي حامد الغزالي، كما أمر أبو عنان المريني بزيادة كتاب الشفا، للقاضي أبي الفضل عياض. وقد تعاقب على هذا الكرسي كثير من العلماء، حيث وليه – كما يقول الدكتور التازي – في أول القرن الثاني عشر بعض الأشراف الصقليين، وسار فيما بعد إلى سيدي العربي قصارة المتوفى سنة 7 أو 1258هـ.

ثم إلى أبي محمد عبد الله ابن يخلف القاسمي ثم الأشراف العراقيين، أبناء المحدث أبي العلاء إدريس بن أحمد بن إدريس العراقي الحسيني الذي كان يلقي فيه بين العشائين، وبعد طلوع الفجر : دروسا في خمسة كتب : شرح الإمام ابن عباد على الحكم، وصحيح الإمام مسلم، علاوة على الثعلبي، والبخاري، والحريفش.

وقد ظل الكرسي المذكور بيد عقب الشيخ العراقي أكثر من مائة سنة.

وقد أوضح الدكتور التازي،(263) أن عدد العقار المحبس على هذا الكرسي بلغ أكثر من 21 عقارا، منها 12 عقارا للقراءة صباحا، و9 للقراءة مساء.

كما ورد جرد لأهم الموقوفات عليه في الحوالة الجديدة لأحباس فاس،(264) كما يلي : «نصف حانوت تقابل مكتب مولانا إدريس ثانية يمنة الخارج من دار الصابون، حظ من حانوت بالقيسارية في شركة الشاميين وقدره : 3 أرباع العشر في الأصل والجلسة.

- رابعة يمنة المنعطف من سوق الصرف للقبة.
- وحانوت بقببية الصديني، وعلى الثالثة عن يمين الداخل من العطارين للقيسارية.
- نصف حانوت صغرى محمل عليها مصرية المشاط بالسبطريين تتصل بحانوت كبرى، وتقابل باب الصغرى وفي شركة الأندلس.
- أرحى رأس زنقة الرطل، تجاور الفرن يسرة الطالع لسيدي أحمد الشاوي.
- ربع مصرية الحدادين من باب السلسلة تجاور حانوت الصفريوي... في شركة القرويين.
- قصاري بدار الدبغ من جرنيز تجاور الساقية.
- دار بزنقة العكريين عوضت بحانوت أولى يمنة المنعطف من الدلالين بعين علون في شركة المقابر والدار بالقطانين أدخلت بدار العربي الذيب.
- دار بباب النقبة ادخلت بدار الخلادي بالجزاء».

والكرسي الثاني، وهو كرسي ظهر خصة العين، يقع عن يمين الطالع للمسجد من باب العمدة في أول باب في الجهة الشرقية الجنوبية.

---

263) جامع القرويين ج 2 ص 405 هامش 23.

264) رقم النسخة الخطية منها : 45 ورقم ميكروفيلمها 157 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط ص 127.

وقد تعاقب عليه أساتيذ كما يقول الدكتور التازي،(265) وقد صرح هذا الأخير بأن المواد والكتب التي كانت موقوفة عليه كانت متعددة إلا أنه تمحض على عهد العلويين لدراسة التفسير والصحيحين، وغيرهما من الكتب الستة، وكان في صدر هذه الكتب : رسالة ابن أبي زيد القيرواني بعد الصبح من كل يوم، والحلية لأبي نعيم قبل صلاة العصر، والاكتفاء، للكلاعي، وكتب ابن الجوزي، والترهيب بعد صلاة العصر، والروض للحريفش، أما أساتيذه في العهد الإسماعيلي، فمن بينهم :

1 – الشيخ أبو العباس أحمد ابن الحاج العربي بن محمد بن علي بن محمد المعروف بابن الحاج الفاسي (1109هـ / 1697م).

2 – الشيخ امحمد بن أحمد بن الحاج المتوفى في حجة عام 1128هـ.

3 – الشيخ الحفيد أبو العباس أحمد ابن الحاج ابن أحمد ابن الحاج العربي ابن محمد بن علي ابن الحاج المتوفى في 18 ربيع الثاني عام 1133هـ.

وقد وقف على هؤلاء الشيوخ وعلى غيرهم عدة أوقاف، وهي كما وردت في الحوالة الجديدة لأحباس فاس.(266)

- حظ من حانوت بسوق البرنس.
- حظ بأرحى قنطرة أبي رؤوس.
- حظ بطراز من الطالعة.
- حظ من حانوت بالعوادين.
- حظ من أرحى في رحبة ابن زروق.
- فرن بابين بالأقواس.
- حظ من حانوت بعين علون.
- حظ من حانوت بالنخالين.

---

265) جامع القرويين ج 2 ص 378 ـ 379.

266) ص 171 ـ 172.

- حظ من حانوت بالعطارين.
- حظ من أرحى بالعيون المعروفة بالديدبان الكائنة بعين البغل من حومة العيون.
- حظ من حانوت الداخل لقبة القيسارية.
- جميع جلسة حانوت بالنخالين بجوار الدالية.
- حانوت قبالة معراض صاباط الصحامين بالخراف أصلا وجلسة، الجميع منقول من الحوالة الحجامية بطرتها.
- خمسة أثمان الأوقية شائعة في كافة أرحى الديدبان بعين البغل من حومة العيون على من يقرأ العلم في القرويين بالكرسي الذي بظهر سقاية العين منها، من تحبيس سيدي محمد بن عبد المجيد الكغاط والعمري بن أحمد النسب، والحسن بن عبد النبي النسب للحظ المذكور بمحول الورقة 22 من الحوالة السليمانية المنتسخ منها ص 172.

يضاف إلى ذلك : وقف بيت أروى (إصطبل) بالصاغة يقابل الفرن الذي هناك... وقد حبس على قراءة حلية أبي النعيم، وسيدي الحريفش قبل صلاة العصر، وسيدي عبد العظيم المنذري بعد الصلاة بالكرسي المذكور...

والكرسي الثالث، وهو كرسي ظهر الصومعة، قد تحدث عنه الدكتور التازي(267) فقال «ويُعَدُّ هذا الكرسي من أهم الكراسي العلمية التي تعاقب عليها القوم بالقرويين، وذكر من أقدم أساتذته اللامعين ابن جامع الأنصاري الحياني (546هـ) وأبا العباس أحمد بن علي الزموري الفاسي (1001هـ) وأبا الحسن علي بن عبد الرحمن بن عمران السلاسي (1018هـ) والقاضي علي البوعناني الشريف الحسني، والمهدي أبا عنان والعربي قصارة (15 محرم عام 7 أو 1258هـ) وأبا الفضل أحمد ابن الحاج (1109هـ) كما ذكر

267) في جامع القرويين ج 2 ص 376 377.

أنه خصصت عدة أوقاف ليدرس عليه صحيح الإمام البخاري، ورسالة ابن أبي زيد، وتفسير القرآن للثعلبي (427هـ) وحلية الأولياء لأبي نعيم (430هـ) والشفا لعياض (544هـ) والتحبير، للسمعاني (ت715هـ) والاكتفاء، للكلاعي (634هـ) والحكم العطائية (709هـ) والروض الفائق، للحريفش (801هـ)، والتسهيل والتقريب، للرصاع (894هـ) وسائر الكتب الأخرى التي كانت موقوفة على كرسي المحراب.

وبين الدكتور التازي أن **لكرسي الصومعة أوقافا تعد من الأهمية بمكان، إذ فيها أحد عشر مكانا كانت في عهد السلطان المولى إسماعيل، وذكر من أحباسه مصرية شرقي الجامع** تجاور فندق التجار، ودار الوضوء للنساء، وبعض الحمامات أيضا.

كما نصت الحوالة الجديدة لأحباس فاس(268) على عدة أوقاف وقفت عليه، وهي :

- حانوت برأس عين علون، وهي الثانية عن يسار الخارج من الزنقة التي تقابل الحجام.
- حانوت بالبرادعيين من الصاغة.
- ربع أصل رحى بالمخفية، وهي الأولى عن يسار الداخل للحومة المذكورة.
- حانوت برحبة التبن كانت للغسال في القديم.
- ربع أرحى بجنان الحارة.
- حظ من حانوت ثانية يمين الخارج من باب الحزامين مارا لناحية مدرسة العطارين.
- دار بدرب سيدي العواد.
- قصريتان بدار الدبغ من جرنيز سيد ابن منصور.

---

268) ص 173.

- حانوت بحارة قيس أولى عن يمين الخارج من زنقة العكريين طالعا لناحية الشهود.
- حانوت أولى عن يمين الخارج من زنقة فطيمة مارا للملاحين.
- نصف خزانة بدار الدبغ من جرنيز سيد القباب.
- نصف العريصة بالمرج خارج باب المسامرين بزنقة حجامة، تجاور جنان الطاهريين في شركة أربعة من الطلبة الذين يقرأون سورة الكهف بعد صلاة الجمعة بعنزة القرويين بما فيها حظ قدره : ثلاثة أعشار، وثلاثة أثمان العشر، وثلاثة أثمان العشر أيضا، ونصف ثلث ثلث العشر من جلسة الحانوت الثالثة يسرة المنعطف من البراطليين للفراشين من تحبيس الحاج علي بن الحاج محمد القطان على توريق الحلية بعد أذان العصر بكرسيها أعلاه حسبما في رسم تحبيسها بالحوالة الاسماعيلية.

والكرسي الرابع، وهو كرسي الورياغلي (880هـ)، قد ذكر الدكتور التازي(269) أهميته وبين أنه اشتهر بالعلوم والفنون، وأن من أوائل من ارتبط تاريخهم بهذا الكرسي، هو الإمام عبد العزيز الورياغلي الملقب بصاعقة العلوم، كما بين أنه تعاقب على التدريس عليه مجموعة من الشيوخ الكبار، أمثال الشيخ ابن غازي المكناسي (919هـ) ومحمد بن عبد الواحد الغزال، وأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن جيدة الوهراني المديوني (951هـ)، والشيخ أحمد المنجور (995هـ)، والقاضي الحميدي (1103هـ)، والشيخ يحيى السراج (1007هـ).

ثم تصدى للتدريس به في العهد الإسماعيلي : الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد الكماد القسنطيني الشريف المتوفى عند

---

269) في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 373 ـ 374 بتصرف.

غروب شمس يوم الجمعة الرابع من محرم الحرام فاتح سنة (1116هـ).(270)

وقد أوضح الدكتور التازي : أن سائر البقاع التي كانت محبسة على المرضى القاطنين ببرج الكوكب وعددها ثمان وسبعون بقعة، كل ذلك استحال بعد تعطيل البرج فيما يظهر إلى كرسي الإمام الورياغلي، كما أن من جملة الأوقاف عليه نحوا من اثني عشر عقارا للذين يدرسون في الصباح، ونحوا من سبعة عقارات وبعض الأرحية للذين يتصدرون له في الظهر، وزهاء ست بقاع لمن يتولى التدريس في العصر والمساء.(271)

والكرسي الخامس، وهو كرسي الركن الشمالي الشرقي، أوضح الدكتور التازي عنه أنه يقع على مقربة من باب الخوخة الذي ينفذ إلى مصرية الإمام والذي كان المفتي يتخذ من الرواق المؤدى إليها مقصورة يجلس فيها للفتيا.

ومن الأساتذة الذين تعاقبوا عليه في العهد الإسماعيلي : سيدي علي البوعناني (1153هـ)،(272) ومن أوقاف هذا الكرسي : **ثلاثة عقارات وثلاثة أرباع فندق رحبة الزرع**، وكان يتصرف فيها الشيخ علي البوعناني وقت تدريسه عليه.

والكرسي السادس، وهو كرسي مستودع باب الحفاة، تحدث عنه أبو سالم الكَلالي في رسالته «تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان، لمدعي استحقاق الفتوى آجليان(273) بقوله، وهو يتحدث عن العلامة المنجور (ت995هـ)... وكان رحمه الله يقرأ التفسير

270) سلوة الأنفاس ج 2 ص 30 ـ 31.

271) في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 374.

272) في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 380.

273) ص 15 من مخطوط رقم 571 حرف ك موجود بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط.

على الكرسي الكـائن عن يسار الـداخل من الباب المقـابل لباب القـراقين من جامـع القرويين، وهـي البـاب القريبـة للمنار... وإلى جانـب كرسي التفسير الذي كان يشغله، فإنه يقرأ أيضا صبيحة يوم الخميس ويوم الجمعة قصيد ابن زكري في التوحيد على الكرسي الكـائن عن يمين الطالع للمستودع الكائن عن يمين الـداخل من باب الحفـاة بجامع القـرويين وأنه - إضافـة إلى من تعاقـب عليـه من الشيـوخ في عهد السعديـين - فقـد كـان من بيــن من درس عليـه في العهـد الإسماعيـلي : العلامـــة أبو الحسن علي الحـريشــي (ت 1143 هـ)...

وكـان من أوقاف هـذا الكـرسي : أرح بوادي العظـام، وعقاران آخـران، وثلاث بقاع، ومتجران.(274)

والكـرسي السـابع، وهو كـرسي النحـو، تحدث عنه العـلامة محمـد المنوني(275) فقال : «كان موقعه بالبلاط الثاني يمين الداخل لهذا الجامع من باب الكتبيين، ومن أسـاتذته :

أبو عبـد الله محمد فتحـا بن إدريس بن أحمد المدعو حمدون الحسيني العـراقي، ثم الفاسي، وورد في تـرجمته أنـه أسند إليـه تدريس النحـو بهذا الكرسي أزمانا إلى أن توفي في 20 ربيع الثاني عام 1142هـ (1729م).

وان تـاريخ وفاتـه يصادف عهـد المـولى عبد اللـه بن إسماعيل، إلا أن معظـم حياتـه في التـدريس كانـت في أيام المولى إسماعيـل.

ومن الملاحظ : أن حجـج الـوقف، اهتمت بتسجيل لائحـة العقـارات والأماكن التي خصصت للعلماء الذين يتصدرون للتدريس على هذا الكرسي،

---

274) انظر جامع القرويين، للدكتور التازي ج 2 ص 377.

275) انظر مجلة دعـوة الحق العدد 5 السنة 9 من ذي القعدة 1385 مارس 1966 ص 92 نقلا عن كتاب المورد الهني، لمحمد بن أحمد الفاسي خ ع ضمن مجموع يحمل رقم 1234 ك، ونقله عنه في الدر النفيس لعبـد الله الوليـد العراقي : بنسخـة المكتبـة الملكية بالـرباط رقم 1119، وفي سلوة الأنفاس ج 2 ص 28 ـ 29.

وكان منهـا ستة أمـاكن معـروفة بأعيـانها إذا ما راجعنـا حوالات الـدولة العلوية.(276)

ثانيا : بالنسبة لغير جامع القرويين من الجوامع الأخرى بفاس :

1 – بالنسبة لجامع الأندلس :

يعد جامع الأندلس ثاني مركز للتدريس بعد القرويين، ويتوفر على عدة كراسي، من بينها :

أ – كرسي التفسير :

إن مـوضـع هذا الكـرسي كـان في الجانب الغربي من المسجـد عن يمين الداخل من باب «اشنيخن» الذي يقابل الـزنقة التي فيها مدرسة الصـهريج، وعن يسار الباب المقابل لمدرسة السبعيين في البلاط الأفقي الرابع(277) ومن أوقـافـه : جنان بـولجة المسـاكين خـارج بـاب الفتوح، وثـلاثـة حـوانيت بالعطارين الكبرى.(278)

ب – كرسي باب مصرية الخطيب فوق ظهر المستودع :

إن هذا الكرسي من الكراسي الهامة، وتدرس عليه العمدة غدوة، وقد كان من بين الأسـاتيذ المتعـاقبين عليه في العهـد الإسماعيلـي : الأستـاذ الفقيه الكبـير ابن الطالـب ابن سـودة (1136هـ) ومن بـين الأوقـاف على هـذا الكرسي :

---

276) جامع القرويين ج 2 ص 374.

277) انظر حـوالة الأحبـاس الجديدة رقم 45 ص 216 قسم الوثـائق والمخطوطات بالخزانـة العامة بالرباط.

278) نفس الحوالة أعلاه ص 215.

- ربع رحى وربع حانوت، وربع حانوت أخرى، ثم ربعا حانوتين.(279)

كما ورد جرد لموقوفات هذا الكرسي في الحوالة الإسماعيلية السابقة الذكر، ونصت على أن هذا الكرسي هو بيد الفقيه سيدي الكبير بن سيدي الطالب ابن سودة، قراءته : غدوة.

وهذه الموقوفات، هي :

- ربع أرحى الشجرة.

- ربع حانوت سيدي مسعود بن القاضي.

- ربع حانوت كانت في اعتمار عبد الله السلوي، ثانية عن يسار الخارج من باب الحزامين للعطارين.

- ربع حانوت البير بالنخالين بل برحبة ابن زروق تقابل الخارج من رحبة ابن زروق بانحراف.

ج - كرسي باب المحراب من جامع الأندلس لتوريق الترغيب والترهيب للمنذري، ولقراءة التفسير غدوة والكلاعي عشية.

ومما وقف على هذا الكرسي : 4 حوانيت ونصفا حانوتين ودويرة، وثمن حانوت، وثلث جنان، وربع دار جنان وترة (قطعة) من الأرض.(280)

وقد ذكرت الحوالة الإسماعيلية السابقة جردا لأهم موقوفاته، وهي كالتالي :

- حانوت بالقيسارية أصلا وجلسة.

- حانوت بظهر الحانوت يمنته، تقابل حانوت مؤذني القرويين، تجاور من أعلاه حانوت خزائن القرويين أصلا وجلسة.

- حانوت بالقيسارية أيضا أصلا وجلسة.

---

279) نفس الحوالة والصحيفة أعلاه.

280) انظر الحوالة السليمانية رقم النسخة الخطية 50 ورقم ميكروفيلمها 162 ص 141.

- دويرة بالقلقليين بالدور الجدود، تجاور دار البير.

- حظ بحانوت بعين علون، تجاور من أعلاه محراب المسجد الذي هناك.

- حظ من حانوت بالقيسارية الأولى عن يمين الخارج من زنقة الحرارين.

- حانوت برحبة الزرع بالصفاح الأولى عن يمين الطالع من زنقة العنوز.

- حظ بحانوت بالقبيب الناقص في شركة بنونة، وتجاور حانوت بنونة أيضا.

- بقعة أرض بولجة المساكين.

2 - بالنسبة لجامع الشرفاء :

سبق القول أن هذا الجامع يحتوي على أربعة كراسي علمية، وهي :

- كرسي القبة.
- وكرسي يمين القبة.
- وكرسي يسار القبة.
- وكرسي القبلة.

وأهم هذه الكراسي، هو كرسي القبة، لأنه بمدخل المشهد الإدريسي... وتدرس فيه مواد التفسير والحديث والنحو والفقه.

وقد تعاقب على التدريس عليه صفوة من العلماء في هذا العهد، ومن بينهم :

الإمام أبو عبد الله محمد المدعو الكبير بن محمد السرغيني العنبري نزيل فاس والمتوفى بها يوم الجمعة 5 جمادى الآخرة عام 1164هـ / 1751م فكان

رحمه الله إماما خطيبا بجامع الأشراف، ويدرس بهذا الكرسي سيدي خليل، وتفسير القرآن، والبخاري.(281)

وقد درس عليـــه علماء آخـرون فيما بعـد، سنتكلـم على بعضهـــم إن شاء الله.

وتوجد في حوالة الاشراف(282) وقفية على من يقرأ الرسالة القيروانية بين العشائين في ثـلاثة أشهـر الشتوة في كل عام، وذلك بـالكرسي الـواقع قرب الضريح الإدريسي.

ثالثـــا : بـالنسبـة للجـوامـع الأخـرى غير القـرويين، والأنـدلس، والشرفاء :

لقد تعـرض الدكتور عبد الهادي التـازي في كتابه جـامع القرويين(283) لهذه الجوامع، فأوصلها إلى 334 مسجد، ونص على المساجد التي تتوفر على كراسي علمية، حيث أوضح : أن عدد الكراسي في هذه المساجد يبلغ 91 كرسيا إلى جانب عدة مجالس علمية أخـرى أرضية، واعتمادا على ذلك نذكر منها : المساجد التي تتوفر على كراسي علمية في العهد الإسماعيلي، وذلك فيما يلي :

1 – مسجد ابن صكوم :

لقد اشتمل هـذا المسجد على كرسي علم، وهـو من كراسي حومـة سيدي العـواد، وقد عـرف من الكتب الموقـوفة عليـه : تنبيه الغـافلين، لأبي الليث السمرقندي، والتسهيل والتقريب، للقاضي الرصاع.

281) انظر ما ساقه الأستاذ محمد المنوني في شأن هذا العالم، نقلا عن السلوة، ج 2 ص 340 ـ 343 ونشر المثاني ج 2 هامش 25 ص 259 ـ 260 وعن سلوك الطريق الوارية لمحمد الزبادي.. مجلة دعوة الحق مارس 1966 ص 94.

282) انظر حوالـة الأشراف رقم الميكروفيلم 24 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانـة العامة بالرباط، وانظر كذلك مختلف الكراسي الموجودة بمسجـد الشرفاء بضريح مولاي ادريس، وجملة الكراسي أيضا بجامع الأندلس : الحوالة الإسماعيلية ج 2 رقم الميكروفيلم عدد : 159 ص 211 ـ 13 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

283) ج 3 ص 682 ـ 685.

وكان من أوقافه دار بالعطارين... ومن العلماء الذين تصدروا للتدريس فيه : العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زكري (1144هـ).(284)

2 – مسجد سيدي موسى :

إن هذا المسجد يقع قبالة الفرن هنالك، وكان به كرسي، وكرسيه كان موقوفا على تدريس الرسالة، ومن العلماء الذين درسوا عليه في العهد الإسماعيلي : الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني 1083 – 1163هـ / 1672 – 17 / 10 / 1750م.

ومن أوقافه : ثلث دار بدرب الأمانة تقابل جامع سيدي خالد.(285)

3 – مسجد الابارين :

يوجد بهذا المسجد كرسي علم، يدرس عليه التفسير والحديث، وقد عرف بنشاطه المعرفي لقربه من جامع القرويين، ومن بين أساتيذه : العلامة محمد ابن أحمد القسمطيني المعروف بالكماد (1116هـ).

4 – مسجد قميمة :

يعرف هذا المسجد بجامع الزليج، ويقع برحبة التبن، يوجد فيه كرسي علم لتفسير الثعلبي، وصحيح البخاري، ومن أساتيذه في العهد الإسماعيلي : العلامة الحاج أحمد بن سيدي بن سليمان الأندلسي، ثم الفاسي من أولاد ابن سليمان المشهورين بفاس، وهم القاطنون بجزاء ابن عامر من عدوة فاس القرويين، واشتهر بتدريس الحديث والسير توفي سنة (1141هـ) وقد كتب

---

284) الدكتور التازي ج 2 ص 397.

285) دعوة الحق العدد 5 السنة 9 ص 96 مارس 1966.

بالجدار الموالي لقبره وهو الذي عن يسار الداخل للدار التي هو بها : ما نصه.

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله :

هذا ضريح العالم العلامة الجليل المحدث البركة الأثيل أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي الحاج العربي بن سليمان الأندلسي، توفي رحمه الله منتصف رجب سنة إحدى وأربعين ومائة وألف.(286)

5 – مسجد اللزاز :

إن هذا المسجد يقع بسوق القصر فوق المدرسة العنانية، ويقصده الناس إلى القسم فيه، اعتقادا منهم أن الذي يحلف فيه على الغموس، لابد أن يصاب بسوء، وبه كرسي علم، وممن وقف على كرسيه المولى إسماعيل، حيث وقف عليه فندقا بكامله.(287)

6 – مسجد ابن سمعون بالعيون :

وهذا المسجد كان مختصا بقراءة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، قال التازي :

ويظهر من بين أساتذته الأولين : ابن سمعون (700هـ).

وقد كان هذا الكرسي بيد سيدي محمد الشريف العراقي (1123هـ) في العهد الإسماعيلي.(288)

---

286) سلوة الأنفاس ج 1 ص 291 ـ 292.

287) انظر جامع القرويين ج 3 ص 698.

288) انظر سلوة الأنفاس ج ؟ ص 17 ـ 18.

7 – مسجد الشرابليين الكبير :

يـدرس فيه الفقـه والنحو والتجـويـد، وقد عـرف في الحوالات الوقفيـة القديمـة باسم مسجـد الصفارين القـدماء الـذي يقع بالشنـاكين، وهو من المساجد المهمة من الوجهة التعليميـة، ومن جملة العلماء الذين درسوا فيه : العلامة أبو عبد الله محمد بناني (1163هـ).

8 – مسجد سيدي امحمد ابن الفقيه :

يوجـد في هذا المسجـد كرسي علم عـرف بتدريس رســالة ابـن أبي زيد القيرواني، وممن درســوا عليه : العــلامــة امحمد ابـن الفقيه بن محمـد بن عيسى وهـو عالم أصولي سنـي توفي يوم الإثنين بعـد الزوال ســابع ربيع الأول سنة 1136هـ.(289)

تلكم كـانت بعض الكراسي العلميـة بفاس، والتي أسهمت بحظ وافـر في تنشيط الثقـافة، وكان مـن وراء نشاطهـا في المجال المعرفي : الأوقــاف التي بعثت فيها الحيوية، وجعلتها تستمر في تفقيه الناس شؤون دينهم.

الفرع الثاني

دور الوقف في الكراسي العلمية بالنسبة لمساجد مكناس

وكما كان للوقــف دور هام في الكـراسي العلميــة بمساجد فــاس، فقد كان له نفس الدور بالنسبة لمساجد مكناس.

وان عـدد مســاجـد مكنـــاس في العهـد الإسماعيلي، يبلغ أزيـد من 140 مسجد،(290) فيها المساجد الكبرى، وفيها الصغرى.

---

289) انظر ترجمته بإسهاب وتصرف : سلوة الأنفاس ج 1 ص 292 ـ 297.

290) انظر أوقــاف مكناس في عهـد مولاي إسماعيل ج 2 ص 413، للأستاذة رقيـة بلمقدم، مطبعة فضالة 1413هـ/1993م.

وتعتبر هذه المساجد – زيادة على كونها دور عبادة – بمثابة مؤسسات ثقافية شعبية، حيث يتعلم فيها الخاصة والعامة من الناس.

وكان أشهر هذه المساجد في نشر العلم وبثه في صدور الناس : الجامع الأعظم، حيث تدرس فيه المواد العلمية، زيادة على المواد الوقفية، وقد كان هذا الجامع يتوفر على عدة كراسي علمية مدعومة بالأوقاف، ومن بين هذه الكراسي المدعومة بالأوقاف :

1 – **كرسي الليل بالجامع الأعظم :** وقد كانت له أوقاف حسب ما ورد في تقييد بحوالة الأحباس الكبرى،(290) ومن بين الأوقاف الخاصة به :

أربع حوانيت، ملكيتها تامة، وخمسة مشتركة، وكانت تقع بالخرازين وسويقة الجمعة، والعطارين والصبطريين منها مثلا «نصف حانوت بالخرازين من شركة مسجد القشاشين بالنصف، وتقابل التربيعة التي هنالك».

2 – **كرسي النهار بالجامع الأعظم أيضا :** وقد كانت له أوقافه الخاصة به، ومن بينها :

«حظ بحانوت العطارين الثانية عن يسار الخارج من القاعة الكبرى، حبس على القراءة بوقت الظهر على الكرسي المذكور، وكانت لهذا الكرسي أيضا أوقاف خارج المدينة، شملت فدانا ببني موسى، وغابة زيتون بحديدة : جميع غابة الزيتون، السقي بحديدة... والثلثان الاثنان منها حبس على القراءة بالليل (كذا) والثلث، الواحد حبس على القراءة بالظهر».(292)

---

291) رقم 5 ص 227 رقم ميكروفيلمها 122 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط، وانظر أيضا أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل ج 2 ص 379، للأستاذة رقية بلمقدم.

292) أوقاف مكناس في عهد مولاي اسماعيل ج 2 ص 379 ـ 380.

3 – **كـرسي التـوريق** : إن هـذا الكرسي يقع بظهـر العنـزة من الجامع الأعظم، وله أوقاف خـاصة به حسب ما ورد في تقييـد مؤرخ بأواسط ذي القعدة عام 1116هـ / 1705م، من هذه الأوقاف.

– حانوت بالتربيعة التي كانت تقع أمام درب سيدي غازي.

– أربع حوانيت مشتركة : ثـلاثة أثمان حانوت بالدقـاقين، ثمن حانوت أخرى بالخبازين، ونصف حانوت ثـالثة بالشناكين، ونصف جلسة حانوت بالصبطريين.

ومن الملاحظ : أن كل تلك الأوقاف خـاصة بقراءة المنـذري على الكرسي المذكور، غير أن هناك نصف حانوت أخـرى بالصبطريين حبست على قراءة كتاب الرصاع بعد صلاة الجمعة.(293)

4 – **كرسي التفسير المعد للتوريق** : وقد كان هذا الكرسي محبسا على قراءة تفسير القـرآن بالجامع الأعظم، وله أوقـاف خاصة بـه داخل المدينة، وخارجها.

أما أوقافه داخل المدينة، فمن بينها :

نصف خمس حوانيت ببـاب الجديد التي عوضت ببلاد المغطس الكـائنة بسيدي علي بن منصور.

– خمسة أثمان حانـوت بالخبازين، وجلسة حـانوت بتربيعة الخرازين، وكـانت تـوجـد وسط العطاريـن تحت درب الشرفاء في مـواجهـة الـداخل للتربيعة.

– نصيب من فندق «بـابلخير» السدس بل سبعه في الفندق المعـروف لـ «بابلخير» قرب الباب الجديد من شركة الحبس المناقل للجانب العلي بالله.

293) انظر المرجع أعلاه ج 2 ص 380.

يضاف إلى ذلك : ثلث بقعة فندق بالسفاجين، كانت تجاور حوانيت الحجامين، ودار بادو، ودار الصابون للكركوش.(294)

- موضع زيتون بالرميلة قرب فرن الفرس كان يجاور سوسان، موضع آخر معروف بالفكارين بحديدة.(295)

5 - **كرسي القشيري** : كان يقرأ على هذا الكرسي رسالة الإمام القشيري والبردة والجوزي، ومن بين أوقافه : أرض بتيللت حوز مكناس.(296)

6 - **كرسي التفسير المعد للتدريس** : ومن أوقافه :

- أرض بأبي ملال، وأرض بعين العنبر، ونصف أرض حرودة، وجنان أفراس بالعين الكبير، وعشر أواقي من جزيرة اليهود، وربع دار سيدي عبد الله بن أحمد.(297)

7 - **كرسي باب القيسارية المعد للتوريق** : لهذا الكرسي أوقاف وقفت على قراءة سيدي الكلاعي، وهذه الأوقاف هي - حسب تقييد أواسط شهر ذي الحجة عام 1116هـ / 1705م.

- حانوتان متصلتان بباب المشاورين القديم مواليتان لطراز هناك، ومستندتان على سور المدينة وثلثا كل من الحانوتين السادسة والسابعة من باب التربيعة المقابلة لباب درب غازي.

---

294) نفس المرجع أعلاه ونفس ص 380 ـ 381 ج 2 نقلا عن حوالة الأحباس الكبرى رقم 5 ص 250.

295) نفس المرجع أعلاه.

296) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 381.

297) نفس المرجع والجزء أعلاه ونفس الصحيفة نقلا عن حوالة الأحباس الكبرى رقم 5 ص 256.

ومن أوقاف هذا الكرسي خارج المدينة : الولجة المعروفة بولجة الكلاعي بمستاوة التي كانت تجاور أرض أحرضان، وأرض الحبس، وزيتون بعين العزلان، كان يجاور الحبس والقلفط، وأرض بأبي ملال، وأرض بعين العنبر.(298)

وإذا كان الجامع الأعظم بمكناس يشتمل على هذه الكراسي، فإن هناك مساجد أخرى تتوفر على كراسي علمية أيضا مدعومة بأوقاف مثل الجامع الأعظم، من هذه المساجد :

1 – مسجد أو جامع التوتة :

ومن أوقافه : ثلاثة حوانيت كانت تقع أمامه، وغابة زيتون بالرميلة.(299)

2 – مسجد الأنوار :

أنشأ هذا الكرسي ناظر الإيالة محمد الكاتب الأندلسي، وحبس عليه كتاب الاكتفاء، لسليمان بن موسى الكلاعي، وهو في ثلاثة أسفار، وكتاب الوعظ، لشعيب الحريفش في سفر واحد، كما حبس على قارىء الكتب المذكورة مصرية محملة على دار وضوء المسجد، والحوانيت المتصلة بها، وذلك في أواخر ذي القعدة عام 1115هـ / 1704م.(300)

3 – مسجد الزروق :

ومن أوقاف هذا المسجد : ثلث فندق «بابلخير» بالباب الجديد(301) وليست الكراسي العلمية مقصورة على هذه المساجد فقط، بل هناك مساجد أخرى تتوفر على كراسي متعددة، ومن بينها :

---

298) أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل ج 2 ص 251 ـ 259.

299) أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل ج 2 ص 382، نقلا عن الحوالة الآنفة الذكر.

300) المرجع أعلاه ج 2 ص 382.

301) نفس المرجع والجزء والصحيفة أعلاه.

مسجد ساباط ابن زغبوش، فهذا المسجد يتوفر على كراسي علمية، ومن بينها :

كرسي التفسير :

فقد ورد عن ذلك في إحصاء بحوالة المساجد الصغار ما يلي :

زيتون بالرميلة من حبس التفسير بمسجد ابن زغبوش.

ومن الجوامع التي احتوت على كراسي علمية : جامع النجارين، وجامع الزيتونة(302) وغيرهما، ولولا التطويل لذكرت كل مساجد مكناس المتوفرة على الكراسي العلمية.

وبتأمل ما سبق، يتضح أن الوقف كان له شأن وأي شأن في نشر الثقافة وتيسيرها للخاص والعام. وإذا كانت الكراسي العلمية بمكناس قد حظيت بهذا الاهتمام الكبير من المولى إسماعيل، فإن الكتاتيب القرآنية قد حظيت هي نفسها بهذا الاهتمام من جهته، وهو ما سنقوم ببسطه في المبحث التالي :

المبحث الثاني

تأسيس المولى إسماعيل كتاتيب قرآنية مع الوقف عليها :

إنه بغض النظر – في المجال الثقافي – عما لقيته الكراسي العلمية من رعاية واهتمام من لدن المولى إسماعيل، فإن الكتاتيب القرآنية هي الأخرى، قد لقيت منه تشجيعا كثيرا.

فقد أنشأ كثيرا من هذه الكتاتيب بمكناس، وكان يتوخى من إنشائها، أن تكون بقرب الجوامع أو المساجد، حتى يكون هنالك ربط بين الكتاب

---

302) نفس المرجع والجزء والصحيفة أعلاه.

والمسجد بالنسبة للأطفال الذين يتعلمون فيها... فهم ينتقلون من الدراسة في الكتاب إلى الدراسة في المسجد.

وقد سبق القول : أن معظم مساجد مكناس كانت تتوفر على عدة كراسي علمية يستفيد منها طلاب العلم(303) حيث نص على ما يلي :

«ومن إنشاءاته المحبسة جميع المكتب (الكتاب) المسند على المسجد الجامع الأعظم المذكور لتعليم الصبيان أولاد المسلمين : القرآن.

وعن هذه الكتاتيب قالت الأستاذة رقية بلمقدم : (304) «إن المولى إسماعيل لم يشيد – فيما نعلم – مدرسة في مستوى المدارس المرينية، لقد كان ما شيده في هذا الصدد : عبارة عن ملحقات لمختلف الجوامع والمساجد وبعض القصور التي بناها، وخصص جلها لتعليم الصبيان : القرآن، من ذلك : ما أحدثه بجامع بمدينة الرياض العنبرية» وكذا ما أحدثه من كتاتيب بكل من جامع الأنوار، وجامع الخضراء، وجامع القصبة، وقصر المحنشة.

وتدليلا على ذلك : ما تحدث عنه الرحالة الإنجليزي : جون ويندس(305) عن الكتاتيب القرآنية، حيث قال :

«توجد مدارس عديدة يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة والحساب، يحفظون القرآن.

وكذا ما تحدث عنه الكمندار (استوار) في رحلته لمكناس حيث قال : توجد مدارس عديدة يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة والحساب، يحفظون القرآن عن ظهر قلب، فإذا ما حفظوه، اشترى لهم آباؤهم أفراسا هدية، ويتناول المصحف بيده، ويركب الفرس يتفسح عليه، وتأتي إليه أجواق الطرب، وسائر صبيان المكتب تذهب لتتفسح مع المحتفل به حافظ القرآن،

303) بمكناس رقم 4 ص 208.

304) أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل ج 1 ص 132.

305) إنه آخر الأوروبيين المعاصرين الذين وصفوا مكناس في عهد المولى إسماعيل في رحلته عام 1721 انظر أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل ج 1 ص 232 ـ233

وبعد ذلك من أراد قراءة الفقه يتوجه للمساجد، قال ولا أدري هل يقع احتفال بمن يتم دروسه العلمية كما تقدم، أم لا؟

نعم، الذي أعلم أن التلميذ عندما يتم دروسه، يقع امتحانه واختباره، فمن فاز بأغلبية الأصوات على أقرانه، عين قاضيا أو مفتيا.(306)

من خلال هذين النصين، نتبين كم كان المولى إسماعيل يهتم بتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم منذ نعومة أظافرهم، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مكانة التربية لديه، حيث ينشىءأبناء شعبه على حب القرآن والسنة، وعلي توجيههم الوجهة الدينية المحض، ولم يكن المولى إسماعيل يكتفي ببناء الكتاتيب القرآنية فحسب، وإنما تجاوز ذلك إلى الوقف عليها حتى يستغني مدرورها عن الغير... ولم تكن الكتاتيب القرآنية في عهده بمكناس وحدها، وإنما كانت بفاس وغيرها من بقية المدن المتحضرة، كما كانت توجد في القرى : في السهول، وفي الجبال المسكونة.

ومما تجدر ملاحظته : أن الوقف لا ينصب على كل الكتاتيب القرآنية، وإنما ينصب على بعضها إن لم نقل على جلها، ولنأخذ كنموذج عن الكتاتيب القرآنية بفاس مثلا.

فقد ورد في الحوالة الإسماعيلية(307) تقييد عن مكاتب فاس المعدة لتعليم الصبيان : القرآن العظيم وتأديبهم، ما يلي :

– مكتب يقابل باب حفاة مسجد الأندلس بانحراف بيد سيدي محمد الحجاري له حبس بيت أروى المحمل عليها.

– مكتب بقرب المكتب المذكور : حبسه : ربع الحانوت بعطيطن من باب السلسلة، وهي الثانية عن يمين المنعطف من البرادعيين مارا لقنطرة الموازين،

306) الدرر الفاخرة، لعبد الرحمن ابن زيدان ص 33.

307) رقم النسخة الخطية منها 47 رقم ميكروفيلمها 159 ج 2 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط ص : 168 ـ 189، وانظر كذلك ما ساقته الحوالة العبد الرحمانية عن هذه المكاتب ص 140 رقم الحوالة بالنسبة للنسخة الخطية 51 رقم ميكروفيلمها 163 قسم الوثاق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

والحبس المذكور على شريطة قراءة البردة بالمكتب المذكور عشية كل يوم جمعة.

- مكتب باب درب اللبدة يقابل مسجد سيبوس بيد سيدي علال بن سيد أحمد حجي به حبس 4 حوانيت ثالثة برحبة التبن عن يمين الخارج من قنطرة التبن.

- مكتب بزنقة العنوز متصل بمسجد سيبوس بيد سيدي محمد بن داود حبسه : جزاء بقعة دار الخميري بالمقيد أعلاه في كل عام.

- مكتب معلق بداخل درب سيدي العواد بيد سيدي عبد الرحمن، حبسه : الحانوت الأولى عن يمين المنعطف من باب السلسلة بالزنقة المقابلة لباب البرادعيين النافذة لسوق الرصيف، وحانوت بعين علون.

- مكتب بشرقي الجامع يتصل بفندق سيدي عبد المجيد بيد سيدي التاودي بن العربي، لا حبس له.

ومن جملة المكاتب التي لا حبس لها ما يلي :

- مكتب بالصفارين يقابل السقايتين اللتين هناك بيد سيدي محمد بن أحمد بوزكري.

- مكتب باب النقبة محمل عليه المسجد بيد سيدي المهدي المصمودي.

- مكتب بالرميلة متصل بباب مسجد سيدي أحمد بن سيدي محمد التلمساني.

- مكتب بناحية سبوس بيد سيدي عبد السلام الحامض.

- مكتب محمل على ساباط باب جامع الشوك.

- مكتب بدرب اللمطي يقابل الفرن الذي هناك بيد سيدي محمد ابن علي.

- مكتب بحومة الأندلس قرب جامع الميزاب بيد سيدي الحسن الفيلالي.

- مكتب بحومة الأقواس يقابل زنقة النعجة، بيد سيدي أحمد بن سيدي عبد السلام ابن القاضي.
- مكتب بسوق الرصيف بيد سيدي عبد الرحمن مقنين.
- مكتب يقابل ضريح سيدي العواد بيد سيدي مسعود شوكة.
- مكتب برحبة ابن زروق بيد سيدي عبد الخالق الرندة.
- مكتب باب درب السعود من حومة الجزيرة.
- مكتب بداخل درب يسرته بيد السيد عبد السلام الشرشوري.
- مكتب بدرب أبي بكر بن حمامة بيد سيدي محمد الرياحي.
- مكتب بباب درب مشماشة بيد سيدي محمد الرياحي.
- مكتب بشارع الشراطين، يجاور المسجد.
- مكتب درب الشيخ قرب جامع الحجام بيد سيدي علي بن سيدي محمد الشريف.
- مكتب بأعلى عقبة ابن صوال بباب المسجد.
- مكتب معلق متصل بمسجد سيدي حبيب بالمخفية بيد سيدي عبد السلام الشرشوري.
- مكتب بالدرب الجديد من المخفية قرب زاوية سيدي يوسف الفاسي بيد الطالب أحمد.

ومن الملاحظ أنه يوجد 79 مكتبا آخر بعد هذه، فيكون مجموع المكاتب بفاس وحدها 106 مكتب حسب ما هو مسطر بالحوالة الإسماعيلية.

وإذا كانت فاس وحدها تشتمل على عدد المكاتب المشار إليه أعلاه، فإن مكناسا تشتمل أيضا على كثير من هذه المكاتب.

وأن ما قيل في فاس عن هذه المكاتب، يقال عن غيرها من بقية المدن المغربية الأخرى.

والعناية بالكتاتيب القرآنية في المغرب آنذاك، هي السر الذي جعل المغرب يبقى محافظا على القرآن الكريم، وعلى ما يضاف إليه من سنة رسول الله ﷺ.

وإذا كان الوقف قد أدى خدمة جليلة للكتاتيب القرآنية، فإنه في نفس الوقت قد أداها لسير المدارس العلمية وها ما سنعالجه في المبحث التالي :

المبحث الثالث

دور الوقف في سير المدارس العلمية في عهد المولى إسماعيل

ليس من شك في أن المولى إسماعيل كان له ضلع كبير في إرساء قواعد الثقافة بالمغرب، وتشجيع كثير لها من خلال الأوقاف المرصودة لها، ويتمثل هذا في الكراسي العلمية، وكذا في الكتاتيب القرآنية التي أنشأها، وجعلها موصولة بالمساجد.

أما بالنسبة للمدارس، فلم يكن له فيها حظ كبير، اللهم إلا ما كان من إتمامه مدرسة الشراطين أو المدرسة الجديدة التي كان أسسها سلفه المولى الرشيد، حيث كان ابتداء العمل في بنائها أوائل شعبان 1081هـ وأكملها المولى إسماعيل عام 1089هـ.(308) حيث أصبحت آية في الروعة والإبداع، وشارة في الحسن والجمال وموردا عذبا لتلقي المعارف.

وأنها من يوم إكمالها، أخذت تؤدي رسالتها، سواء في إيواء الطلاب، أو فيما يتلقونه من معارف على اختلاف أشكالها وألوانها، هذا، وقد أرصدت لها أوقاف تساعدها على أداء مهمتها، كما سنقف عليها فيما بعد، إلا أنه يجب لفت النظر إلى أنه توجد في عهد المولى إسماعيل مدرسة أخرى بالجنوب أسست من قبل الغير تدعى مدرسة حم يحة، هذه المدرسة تؤدي نفس الرسالة العلمية التي تؤديها مدرسة الشراطين، وإن كانت دونها في

308) انظر الدرر الفاخرة، لعبد الرحمن ابن زيدان ص 13.

العطاء المعرفي، وهذا ما يجعلنا نعالج موضوع هذا المبحث في إطار فرعين اثنين :

1 – دور الوقف في السير العلمي لمدرسة الشراطين.

2 – دور الوقف في السير العلمي لمدرسة حم يحة.

الفرع الأول

دور الوقف في السير العلمي لمدرسة الشراطين

من المعلوم أن مدرسة الشراطين أدت رسالتها العلمية على أكمل وجه، كما أدتها المدارس الأخرى التي أنشئت في عهد المرينيين بفاس، كمدرسة الحلفاويين (670هـ)، ومدرسة دار المخزن (720هـ)، ومدرسة الصهريج (721هـ)، ومدرسة السبعيين (721هـ)، ومدرسة الوادي (721هـ)، ومدرسة العطارين (723هـ)، والمدرسة المصباحية (745هـ)، والمدرسة العنانية (755هـ).

ولقد كان لها دور هام في نشر المعارف، وأرصدت لها أوقاف لمساعدتها على ذلك، ومن أوقافها – حسب ما هو مذكور في الحوالة الجديدة لأحباس فاس –(309) ما يلي :

– الطراز الأكبر بزنقة الشمع من الشراطين، يشتمل على أربع طبقات.

– الطراز الأصغر بباب الطراز قبله ،صار بابه خارج الزنقة.

– بيت أول يسرة خارج الطراز أعلاه صار منجرة.

– نصف جلسة حانوت مقابلة وجه الداخل من باب البراطليين لقبة القيسارية، وهي الثانية عن يمين الداخل لها من ناحية سوق الشاشية في شركة الإمام.

309) رقم النسخة الخطية منها 45 ورقم ميكروفيلمها 157 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط ص 80 ـ 81.

- حانوت تلي باب الطراز أعلاه.
- حانوت تليها.
- حانوت تليها.
- جلسة(310) حانوت ثانية يمنة الخارج من دار الصابون بالجوطية.
- حظ جلسة حانوت بقبة القيسارية، وهي الخامسة عن يمين الداخل للقبة من زنقة الحرارين الوسطى والسابعة عن يسار الداخل لها من ناحية سوق السباط حادثة (حديثة) الدخول في الحبس صار له من الشيخ ج الطالب ابن جلون بمعاوضة نصف فيض ماء الوادي النازل من خصة وسط المدرسة الرشيدية، قدره نصف الأوقية.
- حظ قدره : النصف الواحد من جلسة حانوت خامسة عن يمين الداخل بزنقة الشاشية زنقة الخم ناحية قيت (قنت) الصديني بالقيسارية حديث الدخول في الحبس بمعاوضة نصف الماء أعلاه لما ذكر.
- الجزاء(311) بجانب المدرسة الرشيدية، ويتجلى هذا الجزاء فيما يلي :

فدان البركة يتصل من أعلاه ببلاد جنينس. ومن أسفله سهب يمين النبي (المقبي) ويتصل بالطريق المرور عليها لخولان، وبالمحجة المرور عليها لقنطرة سبو.

- الولجة المعروفة في القديم بولجة أعراص خارج باب الجديد تتصل بالوادي الشهير بالسد بالمحجة المرور عليها للكدية الحمراء، وبقنطرة أبي فكران مناصفة بين عديل ومولاي أحمد بوطالب.

---

310) الجلسة هي كراء علي التبقية والأصل فيه أن صاحب الجلسة لا يخرج من العين إلا برضاه أو إذا أخل بالمصلحة التي روعيت في إحداثها، ولا يلزم التصريح بلفظ الجلسة في العقد، بل يكفي أن يشار إلى أنه كراء على التأبيد هـ من كتاب نظم الكراء بالمغرب لمحيي الدين إسماعيل علم الدين نقلا عن الوزاني ج 8 ص 2.

311) الجزاء عرفا : هو ما يؤدى من المال، مقابل البناء فوق أرض تمتلكها الدولة أو الحبس.. انظر أوقاف مكناس ف عهد مولاي إسماعيل ج 1 ص 116، وورد في نظم العمل الفاسي ج 1 ص 650، للعلامة أبي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي عن الجلسة والجزاء قوله :

وهكذا الجلسة والجزاء جرى على التبقية القضاء

– سبع فدادين مع ثلث مـاء سقـايـة السبيل بـالشراطين، التي فـوق المدرسة الرشيدية.(312)

وبتأمل ما سبق أعلاه من أوقاف لفـائدة مدرسة الشراطين نجد أن هذه الأوقاف قد ساعدت هذه المدرســة في سيرها العلمي، وجعلتها تزداد حيوية ونشاطا من حيث العطاء المعرفي، ومن حيث تنميته بشكل يستلفت الأنظار، وإذا كان الأمر هكـذا في هذه المدرسة، فإن مدرسة حم يحـة كذلـك أخذت في تزايـد نشاطـها، وهذا ما يجعلـنا نلقي عليها بعـض الضــوء في الفرع التالي :

الفرع الثاني

دور الوقف في السير العلمي لمدرسة حم يحة

إن دور الوقف في السير العلمي لهذه المدرسة كان دورا فعالا حيث جعل هـذه المدرسة تسير بشكل طبيعي ملحـوظ من حيث تشجيع الأساتيـذ من جهة، والطلبة من جهة أخرى.

وإن أوقاف هذه المدرسة كما وردت في حوالة أحباس كبرى مراكش هي كما يلي : (313)

15 حـانوتـا بأماكـن مختلفــة في مراكــش، مع ثـلاث مصــريــات ونصف حانــوت (أنظـر مواقع هـذه الحـوانيـت، والمـصريات في ص : 73

312) انظر موقوفات المدرسة الرشيدية في الحوالة الإسماعيلية بفاس رقم النسخة الخطية 46 ورقم ميكرو فيملها 158 ص 204 حيث ورد تاريخ تقييـد شهادة شـاهدها بأوائل شهـر ذي الحجة الحرام متم عام 1115م.

وانظر أوقافها أيضا بـالحوالة الإسماعيلية ج 2 ص 158 ـ 160 رقم النسخة الخطيـة منها 47 ورقم ميكروفيلمها 159.

وانظر أوقافها أيضا في الحوالة السليمانية رقم النسخة الخطية 50 ورقم ميكروفيلمها 162 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط 162

313) رقم الحوالة 10 ص 73.

من الحوالة المذكورة أعلاه...» ويوجد بأسفلها رسم التحبيس مع رسوم أخرى مؤرخ بمنتصف شعبان عام 1137هـ.

وهكذا نكون قد وقفنا على دور الوقف في سير بعض المدارس العلمية في هذا العهد، لننتقل بعد ذلك إلى الكلام على الوقف على القراء، ومعلمي الصبيان في المكاتب (الكتاتيب) القرآنية وهو ما سنعالجه في المبحث التالي :

المبحث الرابع

الوقف على القراء، ومعلمي الصبيان

سنعالج في هذا المبحث الكلام على الوقف على القراء أولا، وعلى الوقف على معلمي الصبيان ثانيا، ومعالجة ذلك تتطلب منا بسط الكلام عنه في فرعين :

1 - في الوقف على القراء.

2 - في الوقف على معلمي الصبيان.

الفرع الأول

الوقف على القراء

إذا ما أطلق لفظ القراء، فإنما يراد به هنا : الحزابون الذين يقرأون الحزب القرآني صباح مساء، حزبان في كل يوم حتى يختموا القرآن في شهر كامل.

وقد تكون قراءة القرآن أحيانا في ثلاثة أوقات، وهي الضحى، والظهر، والعصر.

ومن المعلوم بالتواتر في المغرب، أن الواقفين اهتموا بقراءة القرآن في كل مساجد المغرب، ووقفوا على ذلك أوقافا كثيرة ومتنوعة، حتى يبقى القرآن

محفـــوظا في الصـــدور، وهـذا مـا جعل حفـــظ القـرآن في المغـرب شيـــئا عـاديا.

وسنعطي نماذج عن بعض المساجد بفاس فيها قراء، وعليها أوقاف على سبيل المثال لا الحصر، وهي كما يلي :

النموذج الأول

جامع القرويين بفاس

بالرجوع إلى الحوالة الإسماعيلية(314) نجد فيها الإشارة إلى قراء الحزب القرآني في كل من الأسبوع الأسفل، وبباب المحراب من جامع القرويين، وقد ذكرت زماما يشتمل على أوقاف القراء الحزابين بالموقعين أعلاه، وقيد في 10 رجب الفرد الحرام عام 1115هـ.

وساقت جردا لأهم الأوقاف على ذلك، وهي :

- سدس حانوت أولى عن يمين الخارج من حمام الصفارين.

ثـلاثة أثمان وسبعـة أتساع الثمن من حـانوت ثـالثة عن يمين الـداخل للعطارين من ناحية المدرسة.

- ثلاثة أثمان حانوت سادسة عن يمين الداخل من باب فرج.
- حانوت أولى عن يمين الخارج من حمام الصفارين.
- تليها عدة حوانيت ثالثة عن يمين الخارج من جامع الجنائز.
- ثلث حانوت سابعة عن يسار الداخل للشكازين للشماعين.
- ثلث حانوت سابعة عن يسار الداخل للشكازين للشماعين.
- سبعة أثمان حانوت ثالثة عن يمين المنعطف من الشكازين للشماعين.
- ثلث حانوت ثالثة عن يمين الداخل للعطارين من ناحية المدرسة.
- ثلاثة أثمان حانوت سادسة عن يمين الداخل من باب فرج.

314) رقم ميكروفيلمها 158 ص 366.

- حانوت أولى عن يمين الخارج من حمام الصفارين.
- تليها عدة حوانيت وهي : 3 – 4 – 5 – 6 – 7 – 8 – 9 – 10 – 11 – 12– 13 – 14. (315)
- نصف حانوت ثالثة عن يمين الخارج من جامع الجنائز.
- ثلث حانوت سابعة عن يسار الداخل للشكازين للشماعين.
- سبعة أثمان حانوت ثالثة عن يمين المنعطف من الشكازين للشماعين.
- ثلث حانوت ثالثة عن يمين الداخل للفراشين من ناحية زنقة ابن ولال.
- ثلثا حانوت أولى عن يمين الخارج من حمام الجوطية.
- يليها ثلثا حانوت، ثم ثلثا حانوت، ثم ثلثا حانوت أخرى.
- نصف حانوت ثالثة عن يمين الخارج من درب الجزارين.
- حانوت تليها.
- حانوت تقابلها.
- حانوت صغرى تليها تعرف بالكهف وجلسة.

هذا وكتب في أسفله ما يلي :

الحمد لله الأماكن المذكورة أعلاه، وبمحوله في خمس تراجم، ترجمة سوق العطارين مشتملة عن أربع حوانيت مبعضة، وترجمة الصفارين على ست عشرة حانوتا، وترجمة السبطريين والشماعين والفراشين على أربع حوانيت مبعضة، وترجمة الجوطية القديمة والغزالين وباب الجزارين على سبع حوانيت منها المبعض والكامل، وترجمة الصباغين على ثلاث حوانيت هي من أوقاف الحزابين بالأسبوع الأسفل من جامع القرويين الموجودة في الحوالة القديمة مقسمة على القراء في ثلاثة أوقات : الضحى، والظهر، والعصر.

---

315) الحوالة الإسماعيلية رقم الميكروفيلم 159 ج 2 ص 367.

النموذج الثاني

جامع الأندلس بفاس

بالرجـوع إلى الحوالة الإسماعيلية،(316) نجـدها تشير إلى قـراء محراب جامع الأندلس وإلى الأوقاف المخصصة لهم، وهي كما يلي :

– فندق الفحامين وقد اشتري من وصية الشريف سيدي أحمد غانم.

– ثلاث حوانيت، الأولى بالأبارين، والثانية والثالثة بالعطارين.

النموذج الثالث

مسجد الشرفاء بفاس

فقد ثبت أن لهذا المسجد قـراء موكولا إليهم قراءة القـرآن، والحالة هذه أنهم يتمتعـون بـاستغـلال أوقـاف في هـذا السبيل، وقـد تحدثت الحوالـة الإسماعيلية عن هذه الأوقاف، فساقت جردا لها، نذكرها فيما يلي :

– نصف دار بدرب الغمام من الشناكين.

– مصرية وأروى بدرب اللبن.

– نصف دار بالأقواس.

– حانوت بالعطارين.

– أصل أرحى بسيدي الخياط.

– ثلث أرحى القبابين غير كسر.

– ثلث حانوت بباب السلسلة.

– حانوت بالصفارين مع جلستها تقابل وجه الآتي من ناحية المدرسة.

– ربع حانوت بعين علـون، وهي الأولى عن يسار المنعطف من حجامي عين الخيل.

316) الحوالة الإسماعيلية رقم الميكروفيلم 159 ج 2 ص 370.

- حانوت الجزاء المتصلة بـالدرج من الحوانيت التي تحت المكتب المقابل لدرب رحيبة القنديل.

- حانوت ثـالثة عن يسار الخارج من درب سيدي العـواد القنطرة باب السلسلة مع جلستها.

- ثلاثة أثمان أرض بالرحوان في شركة دامو.

- قطعة أرض بمحشر الربيع.(317)

تلكم كانت هي أنـواع العقار الموقوف على قراءة الحزب القـرآني بمسجد الشرفاء بفاس.

ومما تجدر ملاحظته : أنه كتب في الحوالة السابقة أعلاه ما يأتي :

الحمد لله الأماكن المذكورة في الـرسوم السبعة عشر المسطرة أعلاه، هي أوقـاف أحزاب القـرآن الكـريم ببـاب محراب مسجد الشرفـاء التي اعترف الشريفـان : سيدي إدريس بن سيـدي عبد الســلام الشفشاوني، وسيـدي محمـــد بن رحمون القيمان عليهـــا بأنها بيـــدهما يقتسمانها بينهما وبين غيرهما من جماعـة الحزابين هنالك، ولا حـق لواحـد منهما، ولا من غيرهما فيها، سوى الانتفاع بخراجها ما دام كل واحد قارئا هنالك.

النموذج الرابع

مسجد ابن عمران من المساجد الصغار بفاس

إن هـذا المسجـد هو أحـد المســاجـد الصغار بفـاس التي تقـوم بتعليم المومنيـن شـؤون دينهـم، وهـو إلى جانـب ذلـك، يتوفـر على قراء الحـزب القـرآني الكريـــم، وبالرجــوع إلى الحـوالـــة العبـــد الرحـمانيـــة(318)

---

317) ص 370 من الحوالة الإسماعيلية ج 1 رقم الميكروفيلم 158 قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة بالرباط.

318) ص 77.

نجدها تذكر جردا لأهم الأوقاف عليهم، وهي عبارة عن العقارات التالية :

- نصف دار بدرب الأمانة من حومة النجارين.

- حانوت أصلا وجلسة ثانية يمنة الداخل لدار الصابون بالحرم الإدريسي على قراء الحزب بالمسجد أعلاه.

- نصف أروى بأعلى الرميلة في شركة الفقيه سيدي محمد بن مولود من تحبيس السيد عبد النبي ابن أوحود على الحزابين، وفي شركة سيدي علال الأيوبي بالرميلة عوض الأروى المذكورة مع نصف فضائها للشركاء فيها ورثة الحاج الطاهر مكوار بريال 175 بعد إذن الوزارة في ذلك 1282هـ.

- حانوت بالسبطريين.

- دويرة محدثة التحبيس عن يسار الداخل للدرب الكبير بباب المسجد أعلاه للزنقة الصغرى يمنة الداخل للدرب المذكور على قراءة الحزب صباحا، ومساء.

- ربع جلسة بالعطارين يسرة الخارج للبرادعيين من باب الأسفل، وتقابل وجهة آلاتي من الرصيف من أحباس ابن كيران على الحزب أيضا.

- دويرة موقوفة على أربعة من الطلبة يقرأون الحزب بالمسجد المذكور، وهي بالدرب الأول المتصل بالمسجد، تجاور دار ابن إبراهيم، وايطو، ستة أثمانها للزيت، والباقي للحزابين.

- بيت أروى محمل عليها بيت من الدويرة يمنته على الوجه المذكور.

- حانوت تقابل مسجد قميمة.

- حظ من حانوت من تحبيس ابن كيران بقبيبة الصديني.

- حظ من حانوت بسوق العطارين يسرة الخارج من تربيعة ابن عيسى المتصل بالسقاية.

- حانوتان من توسعة إحداهما ثانية يمنة الخارج من درب الامانة، والأخرى يمنة الخارج من كوشة النجارين.

فقراء القرآن بهذا المسجد، يستفيدون من منافع العقارات السابقة أعلاه، وهكذا نرى أثر الدور الكبير للوقف في تشجيع الناس على الاستمرار في قراءة القرآن حتى يبقى محفوظا في الصدور.

وبهذا ننتقل من الوقف على القراء إلى الكلام على الوقف على معلمي الصبيان، وهو موضوع الفرع التالي :

الفرع الثاني

الوقف على معلمي الصبيان

كانت المؤسسات التعليمية الأولية في المغرب وحتى بداية الحماية الفرنسية تدعى «المسايد» الكتاتيب القرآنية، وقد كان يسيرها معلم يسمى آنذاك «الطالب» أو المدرر وكانت الغاية منها تعليم الصبيان الكتابة والقراءة، ثم تحفيظهم القرآن الكريم إلى جانب ما يحفظونه من متون تتعلق بالعقيدة والعبادات وقواعد اللغة العربية، غير أن الطالب الذي يتولى تسيير الكتاب يتقاضى عوضا عن ذلك، وفقا لقولهﷺ «أحق ما أخذتم عليه أجرا : كتاب الله»، وهذا العوض تارة يعطى له من قبل أولياء الصبيان أسبوعيا، أو شهريا أو يأخذه من قبل غلة وقف على كتابه، ويمكنه الجمع بين ما يأخذه من الوقف، وما يأخذه من أولياء الصبيان الذين يتعلمون.

وبالرجوع إلى الحوالات الوقفية، نجدها تذكر كثيرا من هذه الكتاتيب إلا أنها تذكر أوقاف بعضها، وتغفل أوقاف بعضها الآخر، ومن بين هذه الحوالات : الحوالة الإسماعيلية.(319)

---

319) ميكروفيلم رقم 159 ج 2 ص 186 ـ 189.

فقد أحصت هذه مائة وستة كتاتيب قـرآنية بفاس وحدها، وأشرنا فيما سبق أعلاه إلى 27 مكتبا منها، كل واحد بموقعه ومدرره المسؤول عنه، كما ذكرنا أوقاف بعضها.

وبما أن هذا الفرع يتعلق بالـوقف على معلمي الصبيان، فإنه ينبغي لنا إعادة ذكر المكاتب الموقوفة عليها، وهي خمسة مكاتب.

المكتب الأول : ويقع مقابلا باب حفاة مسجـد الأندلس بانحراف... وان مدرره هو السيد محمد الحجاري ووقفه، هو بيت أروى المحمل عليها.

المكتب الثـاني : ويقع بقـرب المكتب المذكـور... أما وقفـه فهـو : ربع الحانـوت بعطيطن من بـاب السلسلة، وهي الثـانيـة عن يمين المنعطف من البرادعيين، مـارا لقنطـرة الموازين، والوقف المذكـور على شرط قـراءة البردة بالمكتب المذكور عشية كل يوم جمعة.

المكتب الثالث : مكتب باب درب اللبـدة، ويقع مقابلا مسجـد سيبوس وأن مـدرره، هـو السيـد علال بن السيـد أحمد حجي، وأوقـافـه : أربعـة حوانيت، ثالثة برحبة التبن عن يمين الخـارج من قنطرة التبن.

المكتب الرابع : ويقع بزنقة العنوز متصلا بمسجد سيبوس، وأن مدرره هـو السيد محمـــد بن داود... ووقفـه هـو جزاء بقعـة دار الخميري في كل عـام.

المكتب الخامـس : هـو مكتب معلق بـداخل درب سيـدي العـواد، وأن مدرره، هو : السيد عبد الـرحمن... ووقفه : حانوت أولى عن يمين المنعطف

من باب السلسلة بالزنقة المقابلة لباب البرادعيين النافذة لسوق الرصيف، وحانوت أخرى بعين علون.

وبإجالة النظر في هذه الأوقاف على كل من قراء القرآن، ومن معلمي الصبيان، نجد : كم للوقف من أدوار هامة في جعل القرآن يبقى محفوظا في الصدور، وفي تشجيع الحافظين له، والمدررين المسؤولين عن الكتاتيب القرآنية.

فإذا تبينا ما للوقف من عظيم الأثر في حفظ القرآن وتعليمه، فإننا نتساءل عن وقف الكتب العلمية على الخزانات، والجواب عن ذلك، هو ما سنتعرض له في المبحث التالي :

المبحث الخامس

وقف الكتب على الخزانات العلمية بفاس ومكناس

سنتحدث في هذا المبحث على وقف الكتب على بعض الخزانات العلمية بفاس أولا، ثم على وقفها بمكناس ثانيا، حيث سنبسط الكلام عن ذلك في فرعين :

1 – في وقف الكتب على الخزانات العلمية بفاس.

2 – في وقف الكتب على الخزانات العلمية بمكناس.

الفرع الأول

في وقف الكتب على الخزانات العلمية بفاس

من المعلوم، أن الخزانات العلمية بفاس، منها ما يتمثل في خزانة جامع القرويين، وهذه هي أكبر خزانة بفاس، ومنها ما يتمثل في خزانة جامع الأندلس، ومنها ما هو خاص بخزانة جامع الشرفاء، ومنها ما هو موقوف

على خزانة بعض المساجد الصغرى بفـاس، وقد أوصلها الدكتور التازي إلى 33 خزانة عامة(320) عدا الخزانات الخاصة ببعض الشخصيات ذوي الهيئات والاعتبار.

وسنقتصر في ذلك على بعض الكتب الموقوفـة على بعض الكراسي العلمية بجـامع القرويين، غير معـرجين على بقيتهـا لكثرتها، وهي تشمل مـآت من المخطـوطات إن لم نقل آلاف منهـا، ثم نعقب على ذلك بأسماء بعض الكتب الموقوفة على جامع الأندلس.

أولا : وقف بعض الكتـب على بعض الكـراسي العلميـة بجـامع القرويين :

1 - وقف الكتب للقراءة على كرسي ظهر خصة العين :

إن الكتب الموقوفة على هذا الكرسي تتمثل فيما يلي :

- كتـاب الاكتفاء في مغـازي الـرسول والثـلاثـة الخلفاء، لأبي الـربيع سليمان الكلاعي (634هـ).
- كتاب حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني (430هـ).
- كتاب التفسير، للثعلبي (427هـ).
- كتاب ريـاض الصالحين لمحي الـدين أبي زكـريـاء يحيى بن شرف النَّوَوِي الشافعي).
- كتاب إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (505هـ).
- كتاب صحيح الإمام البخاري (256هـ).

---

320) في كتاب جامع القرويين ج 2 ص 452 ـ 453.

2 – وقف الكتب للقراءة على الكرسي المقابل للثريا الكبرى :

والكتب الموقوفة على هذا الكرسي، هي كما يلي :

– كتاب العمدة، للمقدسي (600هـ).

– كتاب نوادر الأصول.

– كتاب رسالة الإمام القشيري (465هـ).

– كتاب الترغيب والترهيب، لسيدي عبد العظيم المنذري (656هـ) في أربعة أجـزاء.

3 – وقف الكتب للقـراءة على كـرسي التفسير والسير أمـام محراب جامع القرويين، وكرسي الحلية بظهر الصومعة وهذه الكتب هي :

– كتب الشفا، للقاضي عياض (544هـ).

– كتاب الاكتفاء... للكلاعي (634هـ).

– أجزاء من حلية أبي نعيم عن 14 سفرا ما عدا : 5 – 8 – 10.

– أجزاء من تفسير الثعلبي عن 11 جزءا.

– كتاب التسهيل والتقريب، للرصاع (894هـ).(321)

– كتاب الروض الفائق، للحريفش.

– كتاب التحبير، للسمعاني (615هـ).

– كتاب شرح الكلام، لابن عباد (792هـ).

– كتاب شرح ابن أبي زيد القيرواني (390هـ).

ومن بين الكتب الموقوفة على خزانة جامع القرويين في التوقيت والحساب والطب ما يلي :

321) الحوالة الإسماعيلية رقم الميكروفيلم 158 ص 415 _ 416 _ 418.

- مجموع ابن معيوب (1022هـ) أوله : الاستبصار في التوقيت وفي الجبر والمقابلة.
- كتاب التوقيت، لأبي القاسم القرشي (687هـ).
- كتاب كليات ابن رشد في الطب.
- كتاب الترشيح الكبير، لجالينوس.
- كتاب أبي الصلت في الأدوية (529هـ).
- كتاب تحفة المتوسل، للشقوري.
- كتاب أرجوزة ابن طفيل 581هـ وهي تحتوي على سبعة آلاف بيت.
- كتاب اختصار القانون، للشريف.
- المجلد الثاني من كتاب الصناعة في الطب.
- كتاب جامع الأطباء، للمعافري.
- كتاب مناهج الدكان في الطب.
- كتاب المقالات، لأبي إسحاق ابن حنين في النفس.
- كتاب إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد.
- كتاب الحميات، للأسرائيلي.
- كتاب شرح أرجوزة في الطب، لابن سينا.
- كتاب لابن الخطيب في الطب.(322)

ثانيا : وقف بعض الكتب على الخزانة العلمية بجامع الأندلس :

وقد احتوت خزانة جامع الأندلس على كتب كثيرة، نذكر منها كما جاء في الحوالة الإسماعيلية.(323)

---

322) المصدر أعلاه ص 413 ـ 414.

323) المصدر أعلاه ص 423 ـ 424.

1 – بالنسبة لكتب الحديث :

– السفر الأول من صحيح البخاري.

– السفر الخامس من صحيح البخاري.

– السفر السابع من صحيح البخاري.

– السفر الأول أيضا من صحيح البخاري.

– السفر الرابع منه أيضا.

– السفر الخامس أيضا.

– جزء من سنن أبي داود.

– السفر الأول من شرح الكرماني على صحيح البخاري.

– كتاب ابن أبي جمرة في سفرين على صحيح البخاري.

– السفر الثاني من ابن حجر على صحيح البخاري.

– السفر الخامس من ابن بطال على صحيح البخاري.

– السفر الثاني من شرح مسلم للنووي.

– السفر الثالث من شرح مسلم للإمام المازري.

– السفر السابع والعشرين من شرح مسلم المعروف بالإكمال لعياض.

– السفر الثاني من المعلم على مسلم.

– جزء من المعلم على مسلم، للإمام المازري.

– السفر الأول من المعلم، للمازري أيضا.

– السفر الثاني من مشارق الأنوار، لعياش.

– السفر الأول من الأحكام، لعبد الحق.

– السفر الخامس من الأحكام الكبرى، لعبد الحق.

– جزء من الأحكام، لعبد الحق.

– السفر الرابع من الأحكام، لعبد الحق.

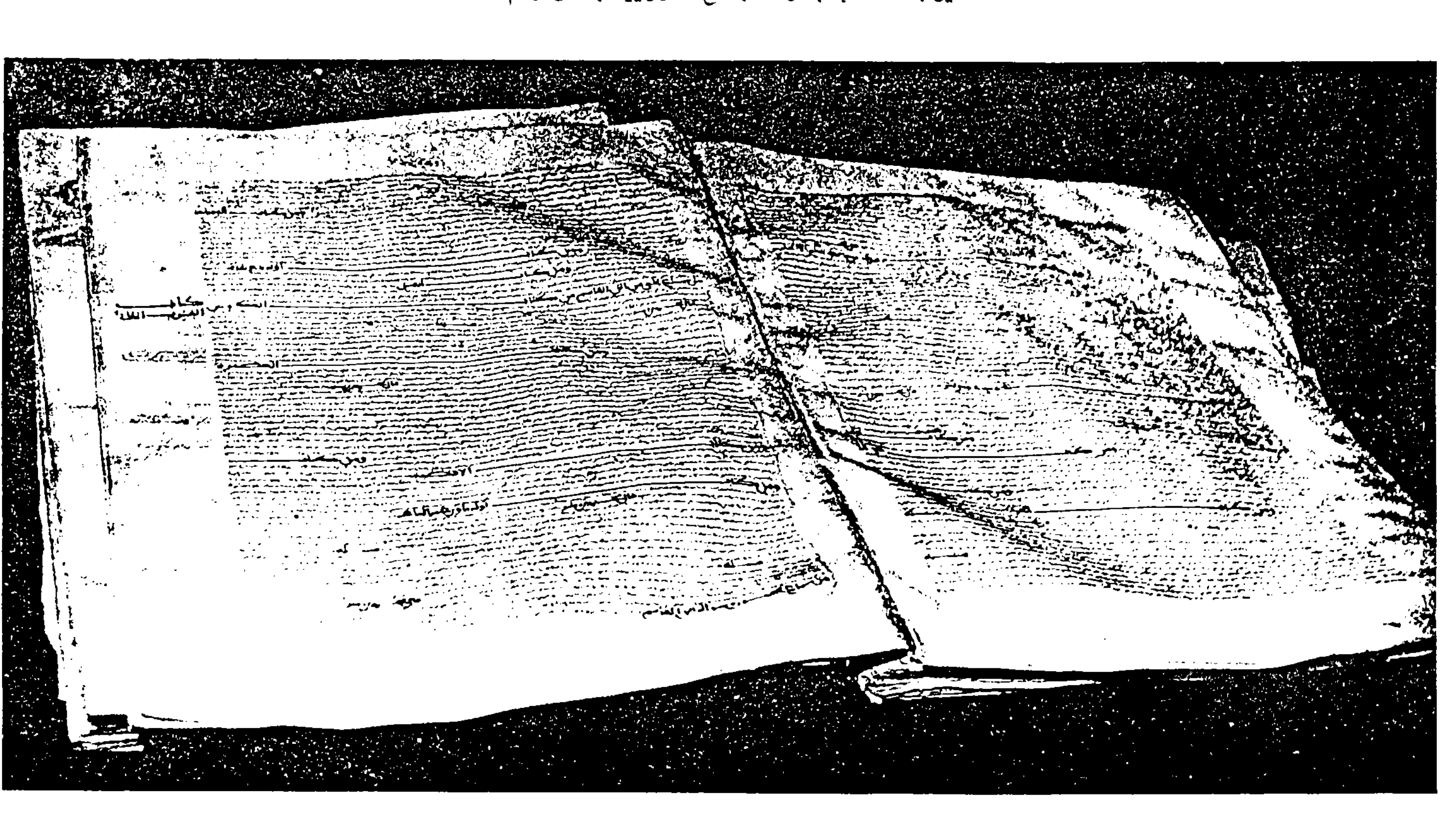
– السفر الثاني من كتب عبد الحق.

- السفر الأول من المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار.
- السفر الخامس من المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار.
- السفر الثالث من المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار.
- السفر الرابع من المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار.
- السفر الخامس من المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار.
- السفر السابع من المنتقى للباجي.
- السفر الثاني من الاستذكار.
- الجزء الأول من جامع الأصول، لابن الأثير.
- الجزء الثالث من جامع الأصول، لابن الأثير.
- الجزء السابع من جامع الأصول، لابن الأثير.
- جزء من شرح السنة، للإمام البخاري.
- تحفة الأحكام، للمقدسي.
- الجزء الأول من كتاب التمهيد الكافي، لابن عبد البر.
- الاعلام بالمحاضر والأحكام في الفقه.

2 - بالنسبة لكتب التفسير :

- الجزء الثاني من تفسير الثعلبي.
- الجزء الثامن من تفسير الثعلبي.
- الجزء الرابع من تفسير ابن عطية.
- جزء من تفسير الفخر.
- جزء من تفسير الفخر.
- جزء من تفسير الفخر أيضا.

صورة عن كتاب البيان والتحصيل لابن رشد، وقد اشتمل على 318 ورقة من رق الغزال
وقد كان يجب اصطياد سرب من الغزال لا يقل عن 160 غزال لكتابة هذا المخطوط
يوجد الكتاب بخزانة جامع القرويين بفاس رقم 322.



3 – بالنسبة لكتب الفقه :

– مختصر ابن أبي زيد القيرواني.

– الجزء الثاني من النوادر، لابن أبي زيد القيرواني.

– الجزء التاسع من النوادر، لابن أبي زيد القيرواني.

– الجزء الحادي عشر من النوادر، لابن أبي زيد القيرواني.

– الجزء الثاني من التهذيب، للبراذعي.

– الجزء الثاني من التهذيب من نسخة أخرى.

– الجزء الأول من المقدمات، لابن رشد.

– الجزء الثاني من المقدمات، لابن رشد.

– الجزء الثاني من مختصر المدونة.

– التلقين، للقاضي عبد الوهاب.

– تأليف في الفقه، للقاضي عبد الوهاب.

– تأليف في الفقه، للقاضي عبد الوهاب.

– الجزء الخامس من البيان والتحصيل.

– الجزء السادس من البيان والتحصيل.

– الجزء السابع من البيان والتحصيل.

– الجزء الحادي عشر من البيان والتحصيل.

– الجزء الأول من تبصرة اللخمي.

– الجزء الثاني من تبصرة اللخمي.

– الجزء الأول من تبصرة اللخمي مكرر.

– الجزء الثاني من تبصرة اللخمي من نسخة أخرى.

– الجزء السادس من تبصرة اللخمي من نسخة أخرى أيضا.

– الجزء الثاني من كتاب ابن يونس.

– الجزء الثالث من كتاب ابن يونس.

– الجزء الرابع من كتاب ابن يونس.

– الأجزاء الخامس والسادس والثامن والتاسع من كتاب ابن يونس.

– الأجــزاء السادس والســابع والثامن من كتــاب ابن يونس من نسخــة أخرى.

– سبعة أجزاء من أبي الحسن الصغير على المدونة.

هذه بعض الكتب الموقوفة على خزانة جامع الأندلس كما ورد في الحوالة الإسماعيلية.(324)

ولنرجع إلى خــزانة جامع القــرويين التي تعد من أهم الخزانــات بفاس، حيث نجد مختلف الاهتمامات نحوهــا من الملوك المتعاقبين على حكم المغرب عامة، والملوك العلويين خاصة.

فقد لــوحظ أن المولى «إسماعيل» اهتم بترتيبها وأهــدى إليها الكتب التي كان يجمع الخطاطين لنسخها وكان يحصل عليها بمختلف الطرق، حتى إنه كان يستغل وقــوع بعض الرهــائن الأجانب تحت يــده ليطلب من دول تلك الرهائن أن تعطيه في مقــابل «الخمسين أسيرا نصرانيا» من المائة التي كانت عنده : خمســة آلاف كتاب : مئــة كتاب عن كل نصراني، يكــون الكتاب من كتب الإسلام الصحيحــة المختارة المحجوزة في خزائنهم بإشبيليــة، وقرطبة، وغرناطة، وما والاها من المدن والقرى.(325)

كما أن المولى إسماعيل كان يتوفر على خزانة هامة تشتمل على نحو اثني عشر ألف كتاب فيها من نوادر المخطوطات ما هو جدير بكل عناية، وسنرى أن حفيده المولى محمد بن عبد الله قد وقفهــا كلها على مساجد المغرب هذا، وأن المولى إسماعيل قد وضع لها فهارس :

---

324) المصدر أعلاه ص 418.

325) انظر اتحاف أعلام الناس ج 2 ص 63 ـ 66.

منها ما كان خاصا بالمصاحف، ومنها ما يتعلق بكتب التفسير والقراءات وكتب الحديث والتصوف والفقه والتاريخ وعلم الكلام والمنطق والأصول والتوقيت والحساب والطب(326) وهنا يحسن بنا أن ننقل فقرة وردت في الحوالة الإسماعيلية(327) تعد بمثابة إجمال للرسوم التي وردت فيها الإشارة إلى بعض هذه الكتب وهي كما يلي :

الحمد لله، جملة ما ذكر وسطر من الكتب العلمية على اختلاف فنونها بهذه الورقة وبالإحدى وعشرين ورقة قبل هذه متوالية في ثمانمائة رسم وتسعة وثمانين رسما.

أولها المصحف الأكبر المشرقي المقيد في سفر واحد بربعة مرصعة، وآخرها كتب ابن الخطيب في الطب وفي ثمانية تراجم.

ترجمة المصاحف الكريمة مشتملة على خمسة عشر رسما، وترجمة كتب التفسير على مائة رسم، وثلاثة عشر رسما، وترجمة كتب الحديث على مئتي رسم، وخمسة وثلاثين رسما، وترجمة كتب التصوف على أربعة وثلاثين رسما، وترجمة كتب الفقه على مئتي رسم، واثنين وعشرين رسما، وترجمة لكتب النحو والبيان والأدب والتاريخ على مئة رسم وأربعمائة وثمانين رسما، وترجمة علم الكلام والمنطق والأصول على ثلاثة وستين رسما، وترجمة كتب التوقيت والحساب والطب على ثلاثة وعشرين رسما، هي الكتب المعروفة والمنسوبة والمحوزة لجانب الخزانة العلمية المباركة الأحمدية الشريفة بقبلي جامع القرويين – زادها الله شرفا – الموقوفة هنالك للانتفاع بها بالمطالعة والمراجعة وردها لمحلها بعد آنقضاء الغرض منها على حسب ما ألفي من ذلك بعد الاستقصاء والاستقراء ومراجعة الزمامات وتتبعها واستحصال ما بها.

---

326) نفس المصدر أعلاه ص 375 ـ 381 ـ 391 ـ 393 ـ 403 ـ 410 ـ 411 ـ 413.

327) انظر الحوالة الإسماعيلية رقم الميكروفيلم 158 ص 414.

فمن وقف بالخزانة المذكورة واطلع على ما فيها من ذلك وأحصاه، وجد جملة ما ذكر وقيده مستوعى منه. وفي أواسط الحجة الحرام من العام الخامس عشر ومائة وألف.

تلكم كانت إشارة مقتضبة على بعض الكتب الموقوفة على خزانات فاس، وهي إن دلت على شيء، فإنما تدل على الأهمية الكبرى التي كان يقفها المحسنون من أجل بذل الثقافة ونشرها وإشاعتها بين الناس، ومن هنا نتبين مدى أثر الوقف في الميدان الثقافي، وإذا علمنا هذا عن وقف بعض الكتب على الخزانات العلمية بفاس، فينبغي لنا أن ننتقل بعد ذلك إلى الكلام على بعض الكتب الموقوفة على بعض مساجد مكناس، وهو موضوع الفرع التالي :

الفرع الثاني : وقف الكتب على الخزانة العلمية بمكناس

لم يقتصر المولى إسماعيل في وقف الكتب على الخزانات العلمية على فاس وحدها، وإنما تجاوزها إلى مدينة مكناس باعتبارها العاصمة الإسماعيلية، وأن هذه لتتوفر على كثير من المساجد والجوامع، علما أن بعض الجوامع منها قد أنشأ فيه المولى إسماعيل خزانة للكتب – كما نصت على ذلك الأستاذة بلمقدم(328) – ألحقها بجامع الأنوار، ووقفها على عموم القراء.

«ومن محاسن هذا الجامع أن أسند إليه بالربع الشرقي خزانة كتب مشتملة على قبتين قائمة حلقتهما على أربع قوائم من الرخام وبها من الكتب العلمية ألوف... «وقد بلغ تعداد ما بها من الكتب حوالي عشرة آلاف كتاب... هذا وقد ساقت لائحة من الكتب الموقوفة على خزانة الجامع الأعظم بمكناس أوصلتها إلى 30 كتابا، نقلا عن حوالة الأحباس الكبرى بمكناس رقم 5 ص 81. وهذه الكتب هي كما يلي :

---

328) في كتابها أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل ج 1 ص 236 ـ 237.

- تفسير ابن عادل مشتمل على ثمانية أسفار.
- مسلم في أربعة أسفار.
- شرح ابن حجر على سيدي البخاري في ثمانية أسفار.
- شرح الجوهر في أربعة أسفار.
- الأجهوري على الشيخ خليل مشتمل على ستة أسفار.
- خمسة أسفار من المعيار.
- بهرام الكبير في أربعة أسفار.
- النووي شرح مشتمل على أربعة أسفار.
- سفر واحد لعياض : شرح مسلم.
- الأزهري على ابن هشام المحاذي في سفر واحد.
- شرح التحفة، لابن الناظم في سفر واحد.
- الثاني من تحقيق المباني في سفر واحد.
- الجامع الصغير في سفر واحد.
- بهرام الصغير في سفر واحد.
- حاشية الأبار على خليل في سفر.
- النصف الثاني من التتائي على شرح خليل في سفر واحد.
- الأول من التتائي الكبير.
- سفر واحد من ابن عرفة.
- سفر من الكشاف.
- سفر من الحلية، لأبي نعيم.
- شرح القواعد، لعياض في سفر واحد.
- سفر واحد من السفاقصي.
- سفر واحد من الموارد.
- أبو الحسن الصغير على رسالة ابن أبي زيد في سفر واحد.

- سيدي المكودي على الألفية.
- المغني في سفر واحد.
- سفر واحد من تفسير ابن عطية.
- الثاني من الجواهر الحسان على تفسير الثعلبي.
- الثاني من حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي.
- مجموع فيه شرح القواعد، وغيره.

هذه هي اللائحة التي أوردتها الأستاذة بلمقدم رقية، إضافة إلى ذلك هنالك كتب أخرى وقفت على بعض الكراسي العلمية الموجودة هناك، ككتاب الترغيب والترهيب، للمنذري الذي وقف على كرسي الجامع الكبير وكتاب الرصاع التونسي أبي عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري، وكذلك كتب التفسير، للثعلبي الموقوفة على كرسي الوراق بظهر العنزة، ومن بين الكتب كذلك : كتاب البخاري والشفا، ورسالة القشيري، والطبقات، للشعراني ومن بين الكتب الموقوفة أيضا على كرسي جامع الأنوار : كتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان الكلاعي (656 –634هـ) / 1169 – 1160م.(329)

ورعيا لما سبق، يتضح لنا بجلاء مدى ما أسهم به الواقفون من وقفهم كتبا علمية على مختلف الخزانات العلمية، مما سيسهل على طلبة العلم الحصول على كثير من المعارف بدون مشقة تذكر، وخاصة أولئك الذين لا مال لهم يشترون به كتب التدريس، فرحم الله الواقفين على ما وقفوا.

وإذا علمنا مدى ما وقفه المولى إسماعيل رحمه الله من كتب على بعض الخزانات العلمية، فإننا ننتقل إلى ما أسهم به أحد أبنائه، وهو المولى أبو مروان عبد الملك في الحياة الثقافية، وهو موضوع الفصل التالي :

---

329) أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل، للأستاذة رقية بلمقدم ج 1 ص 237 ـ 238.

الفصل الرابع

دور الوقف في الحياة الثقافية
في عهد أبي مروان عبد الملك بن إسماعيل
1140 – 1141 هـ / 1727 – 1728 م



الفصل الرابع

دور الوقف في الحياة الثقافية

في عهد أبي مروان عبد الملك بن إسماعيل :(330)

1140 – 1141 هـ / 1727 – 1728 م

بالرغم عن كون ولاية أبي مروان عبد الملك كانت قصيرة جدا، بحيث لا تتجاوز بضعة أشهر، فإنه استطاع أن يقف على الحياة الثقافية وغيرها... وقد كانت أيامه مشحونة بالفتن والاضطرابات من طرف جيش العبيد الذين كانوا يولون ويعزلون من شاءو من أبناء المولى إسماعيل، وظلت هذه الفتن بعد ذلك حوالي 34 سنة من سنة 1140 هـ إلى سنة 1171هـ.

وإنه برجوعنا إلى الحوالة الجزولية(331) نجد له فيها وقفا يتعلق بالثقافة، ونص هذا الوقف فيها، هو كما يلي :

الحمد لله وحده، نسخة من كتاب أمير المومنين المرحوم بكرم الله وفضله مولانا عبد الملك ابن أمير المومنين الشريف قدس الله روح الجميع في الجنة بمنه وفضله، وطابعه الذي يطبع به كتبه قيد حياته لتنفيذ أوامره، ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم، ﷺ على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما وبعد الحمد الله والصلاة، طابعه، ونصه : عبد الملك ابن أمير المومنين إسماعيل الشريف الحسني، الله وليه ومولاه، ونص الدائر عليه :

---

330) بويع أبو مروان عبد الملك بعد خلع أخيه أبي العباس الذهبي في شعبان سنة 1140هـ من طرف جيش البخاري، وهو الملك الثاني من أبناء مولاي إسماعيل بعد موته.

331) رقم الحوالة بقسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط هـ و 12 ص 63.

ومن تكن برسول الله نصرته
إن تلقه الأسد في آجامها، تجم

مكررا مرتين. وبعده ما نصه :

«حبس مولانا الإمام، كافل أمة النبي عليه السلام، فتاح الأقطار، ومدرك جلائل الأوطار، وحسنة الأيام والليالي، والعقد النفيس الذي به تحلت لبة المعالي، ظل الله في بريئته وخليقته، تاج ملوك الأرض، وناشر العدل في بسائط طولها والعرض، السلطان الأفخم، محط رجال ملوك العرب والعجم، أمير المومنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، سيدنا أبو مروان مولانا عبد الملك ابن أمير المومنين، وناصر الدين، مولانا إسماعيل نصر الله أعلامه، وحلى في أسماع الخلائق كلامه، وأدام في الخافقين بشائر سعده، ووهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده : جميع الجنان المعروف بدكالة أحد أجنة بيت المال المحوزة للجناب العالي بالله من قديم في علم شهيديه الكائن خارج باب الدبغ، أحد أبواب مراكش، حاطها الله تعالى، المجاور لجنات «تلعينت» وجنات الزيتون المعروف بجنان سيدي الرجراجي، وشهرته باسم دكالة تغني عن الأطالة في وصفه.

وتدخل العرصة المعروفة بالكبيطية، والعرصة المعروفة بآلـجوز، المستندتان على الجنان المذكور بجميع ما للجنان المعروف الموصوف من المنافع والمرافق والحرم الداخلة فيه، والخارجة عنه، وما عد منه، ونسب إليه، وما اشتمل عليه من الأشجار على اختلافها، وتباين أجناسها، وماء خطارته المعهود لسقيه، وبياضه داخل الجنان وخارجه على ضريح الشيخ الإمام علم الأعلام، محب المصطفى عليه الصلاة والسلام، وشيخ المشايخ والجيل الذي هو في العرف شامخ، عرف المريدين بلطائف المبرات، وناصح الأمة بتأليف دلائل الخيرات، سيدنا القطب الرباني، أبو عبد الله سيدي آمحمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني نفع الله سيدنا المنصور ببركاته، وجعله

حمدا في سكناته وبركاته، آمين، يا رب العالمين، ليصرف مستفاده فيما يحتاج إليه الضريح المذكور من ترميم وبناء وبسط، وزيت سرجه، **وإقامة الحزابين الذين يقرأون الحزب داخل الروضة، واتخاذ عالم يشرح للناس ألفاظ دلائل الخيرات داخل الروضة في شهر ربيع النبوي كل سنة، ودفع أجرة الطالب الذي يؤدب الصبيان في مكتب الشيخ المعلق،** وما يحتاج المكتب المذكور من بسط وزيت وترميم وعلى إطعام الطعام للصادر والوارد، والملم والقاصد، وسائر من يريد زيارة الشيخ المذكور من فقر (فقراء) وإخوان وقاص ودان، وأضياف وأعيان، وأصاغر وكبير (وأكابر) بحيث ينزل كل واحد منزلته، ويهيىء له ما يناسب نزله، ويكسى من القطع عند ضريح الشيخ المذكور لعبادة ربه، وكان من أهل العفاف وحزبه وغير ذلك من المصالح التي يتضاعف به حسنات المحبس نصره الله، وذلك كله بعد إصلاح خطارة الجنان المذكور، وفعل مالا غنى له، تحبيسا مخلدا، ووقفا مؤبدا، لا يتعقب عقده فسخ، ولا يعرض لمحكم آيه نسخ، قصد بذلك - نصره الله - وجه الله العظيم، وثوابه الجزيل، تقبل الله أعماله، وبلغه من خير الدارين آماله، فمن سعى في تبديله، أو رام تحويله عن سبيله، فيد الله فوقه، وسيجعل الانتقام طوقه، وبسط نصره الله للقيم على الضريح المذكور وهو الأنجب الأرضى، **سيدي محمد بن أحمد أكَزول،** به عرف من أقارب الشيخ المذكور عليه يد الحوز، فحازه معاينة، حوزا تاما، عرف قدره، وشهد عليه بذلك نصره الله بحال كمال الإدراك من عرفه ذاتا ومنصبا ثاني عشر رمضان عام أربعين ومائة وألف. وبعده ما نصه :

الحمد لله من منة الله على عبيده أسير ذنبه، الراجي من الرحيم لطفه وغفرانه، أفقر الورى إلى عفوه عبد الملك ابن أمير المومنين، الله وليه ومولاه : إنه حبس ما ذكر أعلاه على ضريح القطب الرباني سيدي وسندي، ومن على الله، ثم عليه اعتمادي : الجزولي نفعنا الله به، وأفاض علينا من مواهبه

الرباني (الربانية) ما تقر بـه عيوننا من أمـر ديننا ودنيانا وآخـرتنا، ابتغاء وجه الله وإحسانه، حبسا باللـه حبسا مؤبدا لا يباع ولا يشترى، ومن بدل أو غير، فالله حسيبـه، فقد رسمنا هذا بخط يدنا المذنبـة، والله المسؤول أن يجعله عملا مقبولا بمنه وكرمه وجوده. صح بتاريخه أعلاه.

وبعد ما نصه :

الحمد لله وحده، الخط عرضه يليه للشريف الإمام أمير المومنين المرحوم بكرم اللـه تعالى مولانا عبـد الملك ابن أمير المومنين المرحوم بكرم اللـه تعالى مولانا إسماعيل قدس الله روحهما، قاله عارفه، ومعرفا بخطه من غير شك يلحق في ذلك، وقيد به شهادته مسؤولة منه لسائلها، رابع عشرة ذي القعدة سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، عبيد ربه محمد بن إبراهيم الماسي لطف الله به، وعبد ربه تعالى عبد الله بن علياش لطف الله به.

وبعـده، الحمد للـه : أعلم بقبـول المعرف يمنتـه نـائب قاضي الجماعـة بمراكش سعيد بن العباس الأفراني لطفل الله به.

استدراك : وذلك بعد أداء المعـرف به وبـالإلحاق نائب قـاضي مراكش سعيد بن العباس الأفراني لطف الله به.

الحمد للـه : أعلم بأعمال الاعلام يمنته : إبـراهيم بن الصغير لطف الله به، قابلها بأصلها، فماثلته وشهد بصحـة المقابلة والمماثلة من أشهده الفقيه الأجل الأفضل قـاضي الجماعة بمـراكش ونواحيهـا مفتيها وخطيبهـا البليغ (توقيع غير مقروء) أعزه الله تعالى، وحرسه بثبوت الأصل المنتسخ منه لديه الثبوت التام بـواجبه، شهد على الشهادة – دامت كرامته عنـه بما فيه وهو يجب لـه ذلك من حيث ذكر، وهي منتصف ذي القعـدة الحرام عام ثمانيـة وثمانين ومائة وألف، آمين.

وبتأمل ما ورد في الـوثيقة الحبسية أعلاه، نجـدها تشتمل فيما تشتمل عليه توقيعات غير مقروءة وأن المولى عبد الملك وقف ما وقفه من أجل :

1 – الحزابين الذين يقرأون الحزب داخل الروضة السليمانية.

2 – اتخاذ عالم يشرح للناس ألفاظ دلائل الخيرات في شهر كل ربيع نبوي من كل عام.

3 – إعطاء قسط من مدخول الموقوف كأجرة للطالب الذي يعلم أبناء المسلمين الكتابة والقراءة والقرآن الكريم في مكتب الشيخ المعلق المسند على الروضة من ظاهرها.

4 – ما يحتاجه المكتب المذكور من بسط وزيت وترميم ...إلخ.

وهكذا يتجلى لنا دور الوقف في الثقافة والتعليم من خلال النص السابق أعلاه، كما يتجلى لنا أهمية دوره فيها بالنسبة لمن أتى بعد أبي مروان عبد الملك والذي أتى بعده، هو أخوه المولى عبد الله بن إسماعيل، وهو موضوع الفصل التالي :

الفصل الخامس

دور الوقف في الحياة الثقافية
في عهد المولى عبد الله بن إسماعيل
1141 – 1171 هـ / 1728 – 1757 م

الفصل الخامس

دور الوقف في الحياة الثقافيـة

في عهـد المولى عبد الله بن إسماعيـل :(332)

1141 - 1171 هـ / 1728 - 1757 م

سنتنـاول في هذا الفصل بـالتحليل الكـلام على دور الوقف في الكـراسي العلمية في عهـد المولى عبد الله بـن إسماعيل، وعلى تأسيسه بعض المدارس العلمية، وعلى وقفه الكتب العلمية على خزانة القرويين، حيث سنبسط الكلام عن كل ذلك في إطار ثلاثة مباحث :

1 - **في دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى عبد الله.**

2 - **في تأسيسه بعض المدارس العلمية.**

3 - **في وقفه الكتب العلمية على خزانة القرويين.**

المبحث الأول

دور الوقف في الكراسي العلميـة في عهـد المولى عبد الله

قبل التحدث عن دور الـوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى عبـد الله، نرى مـن المفيد ذكـر مجموعة مـن الشيوخ الاعلام في هـذا العهد، والـذين أسـهموا بحظ وافر في النشـاط المعرفي، ومن بين هؤلاء الشـيوخ :

---

332) بويع المولى عبـد الله بن إسماعيل بعـد موت أخيه أحمد الـذهبي سنة 1141هـ/1728م ونص البيعة من إنشـاء الفقيه العالم أبي العلاء إدريس بن المهدي بن الشاط المنافي نسبة إلى عبد مناف ابن قصي، انظر هذا مع نص بيعته في كتاب الاستقصا ج 7 ص 126 ـ 128.

1 – العلامة الشيخ عبد القادر بن محمد بن إدريس العراقي المتوفى أواسط جمادى الأولى 1142هـ.(333)

2 – العلامة الشيخ محمد الشريف العراقي المتوفى سنة 1142هـ.(334)

3 – العلامة أبو الحسن علي الحريشي المتوفى سنة 1143هـ.(335)

4 – العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن زكري المتوفى سنة 1144هـ.(336)

5 – العلامة الشيخ التهامي الغياثي بمكناس المتوفى سنة 1149هـ.(337)

6 – العلامة الشيخ أبو محمد بن عبد الملك بن يخلف الأنصاري الفاسي المتوفى سنة 1162هـ.(338)

7 – العلامة الشيخ أبو محمد بن عبد الملك بن يخلف الأنصاري الفاسي المتوفى سنة 1162هـ.(339)

8 – العلامة الشيخ محمد بن عبد السلام بن حمدون بناني المتوفى في ذي القعدة سنة 1163هـ / 17 / 10 / 1750م.(340)

9 – العلامة الشيخ أبو عبد الله المدعو : محمد الكبير بن محمد السرغيني المتوفى سنة 1164هـ.(341)

فهؤلاء الشيوخ وغيرهم، كانوا يقومون بتبليغ الرسالة العلمية فوق الكراسي العلمية التي ستذكر عقبه في عهد المولى عبد الله.

---

333) نشر المثاني تأليف محمد بن الطيب القادري ج 3 ص 329.

334) المصدر أعلاه ونفس الجزء ص 326.

335) انظر نشر المثاني ج 3 ص 361.

336) انظر جامع القرويين ج 3 ص 800.

337) إتحاف أعلام الناس ج 2 ص 81.

338) نشر المثاني ج 4 ص 22 وجامع القرويين ج 3 ص 801.

339) المصدر أعلاه ج 4 ص 67.

340) المصدر أعلاه ج 4 ص 80 ـ 81، وسلوة الأنفاس ج 1 ص 146 ـ 147.

341) سلوة الأنفاس ج 2 ص 342 ـ 380.

أما الكراسي العلمية التي كانت تقوم بهذا الدور، فمنهـا ما هو بجامع القرويين، ومنها ما هو بغيره.

أولا : بالنسبة للكراسي العلمية بجامع القرويين :

1 – كرسي المحراب :

وقد عرف هذا الكرسي نشاطا علميا هائلا في مختلف الأعصر التي مرت به، وقد درست عليه عدة مواد من طرف المتخصصين فيها، ومن المواد التي كانت تـدرس عليه في عهد المولى عبد اللـه : مادة السيرة النبويـة وغيرها، ومن العلماء الذي كـانوا يدرسون عليـه في هذا العهد : العلامـة الشيخ عبد القادر بن محمد بن إدريس العراقي، فلقد كـان يدرس به صباحا : السيرة، ومساء : المنذري بعد صلاة العصر، والحليـة قبله... توفي هذا العالم أواسط جمادى الأولى سنة 1142هـ.

2 – كرسي النحو :

وممن كان يقوم بالتدريس عليه في هذا العهد : العلامة محمد بن إدريس ابن حمدون العراقي الحسني الذي نعتته كتب التراجم بـ : «سيبويه زمانه» إلى وفاته في 20 ربيع الثاني عام 1142هـ.

3 – كرسي مستودع باب الحفاة :

ومن بين الأساتيذ الذين كانوا يـدرسـون عليه : العلامة أبو الحسن علي الحريشي المتوفى سنة 1143هـ.

4 – كرسي الركن الشمالي الشرقي :

وقد كان مـن بين الأساتيـذ الذين كانـوا يدرســون عليه في عهد المولى عبد الله : القاضي الإمام الخطيب سيدي علي البوعناني المتوفى سنة 1153هـ.

وأوقاف هـذا الكرسي - كما سبق - 3 عقارات إلى جانب 3 أرباع فندق رحبة الزرع.(342)

5 - كرسي ظهر الصومعة :

وممن تعاقبوا على التـدريس عليه في هذا العهد : العلامة أبـو محمد عبد الله بن يخلف الأنصـاري الفاسي المتـوفى سنة 1162هـ وقـد سبق القول في الكتب الموقوفة عليه مثلما سبق القول أيضا في أوقافه.

6 - كرسي الورياغلي :

وممن تعاقب على التدريس عليـه في هذا العهد : العلامة أبـو محمد عبد الله بن يخلف الأنصاري الفاسي السابق أعلاه.

7 - كرسي أسفل الأسبوع الأعلى :

إن هذا الكرسي أصبح يعرف بمصرية المفتي، ويقع يسرة الداخل من باب الجنـائز، وقـد خصص أثنـاء العصر العلـوي لـدراسـة الحديث... ومن الأسـاتيـذ الذين تعاقبوا عليـه في عهد السلطان محمـد بن إسماعيل الأعرج (1150هـ) : العلامـة محمد التاودي ابن سـودة فقد ولاه محمد الأعـرج هذا الكرسي سنة 1167هـ / 1753م، وهنا يثور التساؤل التـالي : لماذا ذكر عالم هنا : ولي التـدريس في هذا الكرسي من طرف السلطـان محمد بن إسماعيل الأعرج، والحالـة هذه لم يـول من طـرف المولى عبد اللـه، خاصـة وأن هذا الأخير خلع من طرف الجيش الذين كانت لهم السيطرة المطلقة آنذاك على كل شيء ؟ وقد يجاب عن ذلك بأن الإمام الشرعي الحقيقي، هـو المولى عبد الله، أما محمد الأعرج، فإنه يعتبر بمثابـة ثائر عليه، لأنه لم يعتمد في توليته على

342) جامع القرويين ج 2 ص 380.

أسس شرعية تستدعي تنصيبه، بدلا من المولى عبد اللـه، يؤيد هذا ما ساقه المؤرخ اكنسوس(343) حيث قال :

«والحق الذي لا شك فيه، أن كل من قام منهم، أي أبناء المولى إسماعيل، وهم أبـو الحسن الأعرج، ومحمـد بن إسماعيل ابن عريبـة، والمستضيء بن إسماعيل، وزين العابـدين بن اسماعيل... «**بعد بيعة المولى عبـد الله**، إنما هو ثائر عليه، لا إمامة له، وإنما يكـون خبره مسوقا من جملة أخبار دولة المولى عبد الله».

ولعل ما قـاله أكنسوس هـو الصحيح المعتمد عليه، لأنـه في فترة هؤلاء الثائرين قد قتل في ظرف 3 أشهر – رجب وشعبـان ورمضان – 80 ألف شخص عدا من كفنـه أهله من القتلى... وقد كـانت هذه الفوضى الضـاربة أطنـابها والتسرع في قتل الأبريـاء في عهـد كل من محمـد بن إسماعيل ابن عريبة وأخيه المستضيء وكان عـدد هؤلاء القتلى مأخوذا من إحصاء صاحب المارستان آنذاك.

ثانيا : بالنسبة لكراسي غير جامع القرويين :

1 كرسي القبة بجامع الاشراف :

ومن بين أساتيذه في العهد العبدلاوي :

أ – العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن زكري المتوفي سنة 1144هـ.

ب – العلامة أبـو عبد الله محمد الكبير بن محمـد السرغيني المتوفى يوم الجمعة 5 جمادى الآخرة سنة 1164هـ.

---

343) انظر الاستقصا ج 7 ص 145 ـ 146 ص 193 ومجلة دعوة الحق العدد 4 السنة التاسعة شوال 1385هـ فبراير 1960 ص 96.

2 – كرسي سيدي موسى :

يقع هذا الكرسي قبالة الفرن هناك، وكان من بين أساتيذه في عهد المولى عبد الله العلامة أبو عبد الله محمد بناني (1083 – 1163هـ).

3 – كرسي مسجد ابن سمعون بالعيون :

وقد كانت تدرس عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومن بين أساتيذه في هذا العهد : العلامة محمد الشريف العراقي المتوفى سنة 1142هـ.(344)

4 – كرسي ابن صكوم :

وتدرس عليه الرسالة القيروانية كذلك، وكان من بين أساتيذه في هذا العهد : العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد زكري المتوفى سنة 1144هـ.

وقبل أن ننتقل إلى كرسي المدرسة المصباحية، ينبغي أن نشير إلى ما وقفه المولى عبد الله مما اشتراه من أسهم ترجع لحمام «عَدِّ» بروض الزيتون القديم بمراكش على جامع حومة روض الزيتون القديم الذي تقام به صلاة الجمعة في الوقت على شرط أن يصرف خراجه في راتب الحزابين بباب محرابه وكونهم 11 مع الإمام، وقد وقع الاشهاد على الحبس بتاريخ 13 محرم سنة 1168هـ.(345)

5 – كرسي المدرسة المصباحية أو مدرسة الخصة :

أسسها أبو الحسن المريني سنة 745هـ ومن الأساتيذ الذين درسوا على كرسيها في هذا العهد : العلامة محمد بن عبد السلام بن حمدون بناني المتوفى في 16 ذي القعدة عام 1163هـ / 17 / 10 / 1750م وكان من بين

---

344) جامع القرويين ج 2 ص 395.

345) الحوالة العباسية ج 2 ص 79 ـ 80 ورقم الحوالة 11 بقسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

المواد التي تدرس على هذا الكرسي : مادتا الفقه والنحو، وقد وقف على هذه المدرسة عدة أوقاف تتمثل في : 19 عقارا، و14 غابة من الزيتون و39 بقعة فيها الجنات وخزائن الدبغ و50 أروى (اصبطلا) وعدد من الحوانيت.(346)

وقد نصت حوالة المدارس على أن لهذه المدرسة أوقافا خاصة بشراء الخبز لطلبتها، وعدد هذه الأوقاف 43 موقوفا ما بين حوانيت وواجبات في دور وخزائن بدار الدبغ.(347)

تلكم كانت أهم الكراسي العلمية التي كانت تنشر العلم في عهد المولى عبد الله، مدعمة بالأوقاف التي تساعدها على سيرها المعرفي، ولم تكن الكراسي العلمية وحدها هي التي تقوم بنشر المعرفة، وإنما كانت هنالك أيضا بعض المؤسسات التعليمية غير ما سبق، وهو ما سنعالجه في المبحث التالي :

---

346) انظر جنى زهرة الآس، لعلي الجزنائي ص 37 ـ 38 وجامع القرويين، للتازي ج 2 ص 362 وهامش 11.

347) انظر ميكروفيلمها رقم 158 بقسم الوثائق والمخطوطات في الخزانة العامة بالرباط ص 45 ـ 46 ورقم النسخة الخطية منها هو : 46 وانظر أيضا الحوالات الحبسية ودروها في حفظ الممتلكات في المغرب، للأستاذ عبد الحق بن المجذوب ص 203 طبع استانسيل توجد بمكتبة دار الحديث الحسنية بالرباط.

المبحث الثاني

تأسيس المولى عبد الله بعض المدارس العلمية

إن بعض المؤسسات التعليمية التي ساهمت في النشاط الثقافي في عهد المولى عبد الله هو ما أنشأه من مدرسة علمية تدعى المدرسة العبدلاوية، وقد كان إنشاؤه إياها في سنة 1145هـ وتتكون هذه المدرسة من 12 بيتا، يحاكي تصميمها مدرسة مقابلة لها، وقد وقف على بنائها بنفسه، وهذه المدرسة تقع بدار دبيبغ بفاس.

وقد كان غرضه من إنشائها : إعداد فنيين في بعض التخصصات، ولعله هو أول ملك علوي مغربي فكر في إنشاء مدرسة في هذا المجال.

ويجب لفت النظر إلى أن بعض الكتاب ذهب إلى أن هذه المدرسة، هي من تأسيس الشيخ محمد الدلائي أيام حكمه بفاس، كما ذهب بعض آخر منهم إلى أنها من تأسيس المولى عبد الله بن إسماعيل إلا أن النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان ذهب إلى أنها من تأسيس السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن(348) ومهما يكن من أمر، فإن هذه المدرسة هي مدرسة علوية، إلا أننا لم نقف على أوقافها حسب مارجعنا إليه من المظان، والذي يظهر أن لها أوقافا خاصة بها تساعدها على سيرها العلمي، ولعل البحث العلمي المستقبلي سيكشف عن هذه الأوقاف، ولم يكن الواقفون يقفون على الكراسي العلمية وحدها، ولا على بعض المؤسسات التعليمية وحدها كذلك، وإنما كانوا يتجاوزونهما إلى وقف الكتب العلمية على خزائن معينة، تسهيلا على الطلبة والباحثين في أخذ المادة المعرفية.

وأن الوقف على الخزانات العلمية في عهده، هو ما سنتناوله في المبحث التالي :

348) جامع القرويين ج 3 ص 671 هامش 97.

المبحث الثالث

وقف الكتب العلمية على خزانة القرويين من المولى عبد الله بن إسماعيل

إن المولى عبد الله بن إسماعيل كان مهتما غاية الاهتمام بوقف الكتب المتنوعة العلوم على خزانة القرويين، مثل والده المولى إسماعيل، وقد تعرضت الحوالة العبدلاوية المنشأة في 1142هـ - نسبة إليه - إلى ذكر لائحة هامة للمخطوطات التي أهداها لخزانة القرويين في ولايته الرابعة في 22 رجب عام 1156هـ كان منها المصاحف العديدة، ومنها مصحف في مجلدين برببعة، وعدد من التفاسير والحديث والسير والتصوف والوعظ والفقه والأصول واللغة والقراءات والنحو والبيان والمنطق ومهم الكلام.

وقد كان من كتب الطب بها كتاب : «عمل من طب لمن حب، لابن الخطيب، والجزء الأخير من التذكرة للأنطاكي، وتأليف في الطب، لمحمد الصنهاجي، والقانون، لابن سينا في الطب، مع تأليف في الفلاحة، وكتاب الذيل في أوصاف الدواب والخيل، إلى كتب أخرى.(349)

وسنورد نماذج من الكتب التي وقفها على خزانة القرويين فيما يلي :

1 - كتاب الصحاح في اللغة جزآن، للجوهري إسماعيل بن حماد الفارسي المتوفى سنة 339هـ.

وقد حبسه المولى عبد الله عليها سنة 1156هـ.(350)

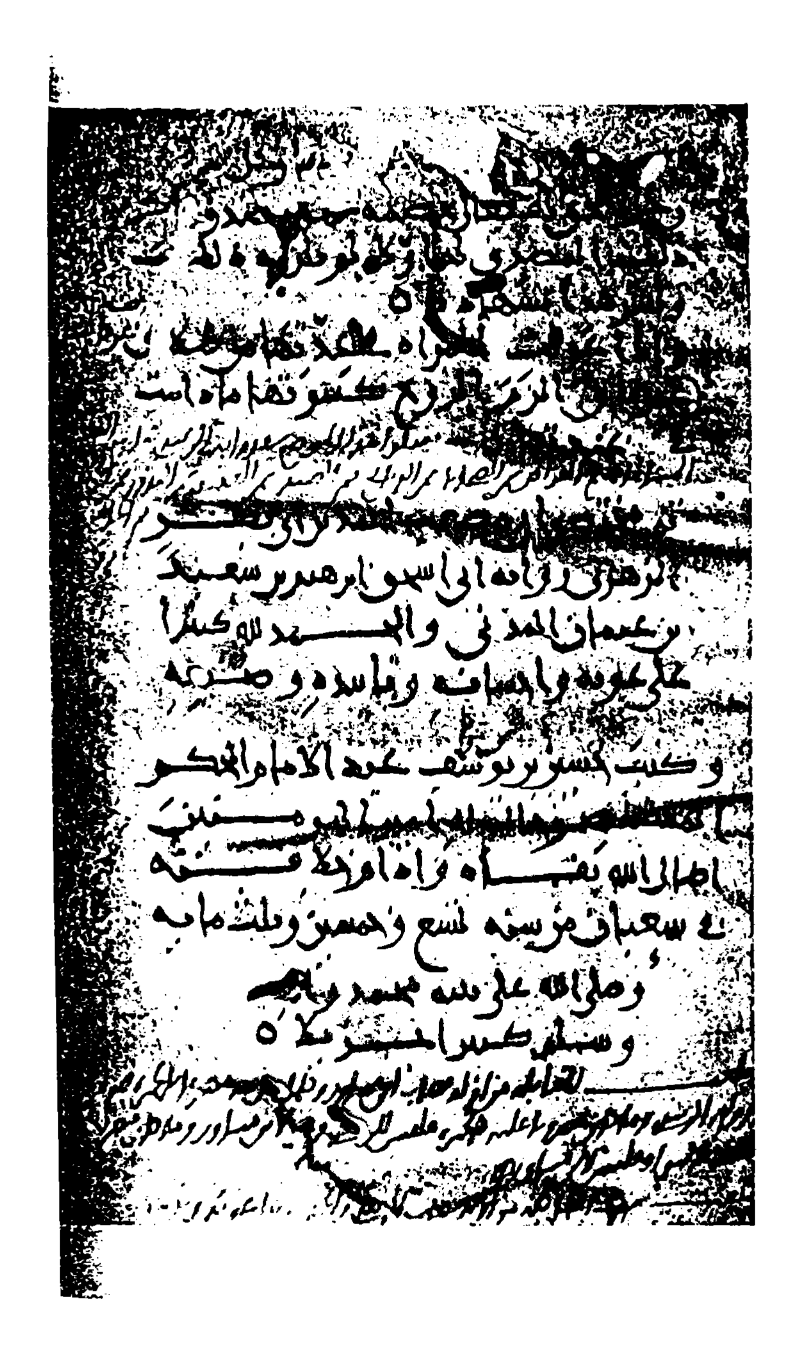
2 - كتاب الجمهرة في اللغة، لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي القحطاني الإمام اللغوي المشهور المتوفى عام 321هـ.(351)

---

349) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 707 هامش 11.

350) فهرس مخطوطات خزانة القرويين ج 2 ص 40، للمرحوم الأستاذ عابد الفاسي.

351) نفس المرجع أعلاه ج 2 ص 55 ـ 56.



آخر ورقة من مختصر أبي مصعب الزهري المخطوط سنة 359

المحبس على خزانة القرويين

من قبل الشريفة لال فاطمة بنت الحسن الأول وهو بقسم 40 من خزانة القرويين

تحت عدد : 874

3 – كتاب قلائد العقيان ومحاسن الأعيـان، لابن خاقان أبي نصر الفتح ابن محمد القيسي الإشبيلي المتوفى بمراكش سنة 535هـ.(352)

4 – كتاب أعمال الأعـلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملـوك الإسلام، لابن الخطيب المقتـول بفاس سنـة 776هـ قـد حبسه المولى عبـد الله عـام 1156هـ.(353)

5 – كتاب خـزانة الأدب وغايـة الأرب، لابن حجة الحمـوي أبي بكر بن علي بن محمـد بن حجة الحنفي ولـد سنة 777هـ وتوفي سنة 837هـ وقد حبسه عام 1169هـ.(354)

6 – الشفا بتعريف حقوق المصطفـى، لأبي الفضل القاضي عياض، وقد حبسه سنة 1156هـ.(355)

7 – كتاب البلنسي – تفسير – وقد حبسه سنة 1156هـ.(356)

8 – كتاب الفن المختصر لأهل البداية والنظر، (تفسير)، للشطيبي أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد البرجي الأندلسي دفين «تازغدرة» من قبيلة بني زروال المتوفى سنة 1163 وقد حبسه سنة 1156هـ.(357)

9 – كتاب الجامـع الصحيح المسند عن حـديث رسول اللـه ﷺ وسننه ومغازيـه وأيامه، للإمـام البخاري أبي عبد الله محمـد بن إسماعيل المتوفى سنة 256هـ وقد حبسه سنة 1156هـ.(358)

---

352) نفس المرجع أعلاه ج 2 ص 62.

353) نفس المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 73.

354) نفس المرجع أعلاه ص 121.

355) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 423 ـ 195 مكرر نفس المرجع والجزء أعلاه ص 38 ـ 39.

356) نفس المرجع أعلاه ج 3 ص 38 ـ 39.

357) نفس المرجع أعلاه، ج 3 ص 41.

358) نفس المرجع أعلاه.

10 – كتاب المسند الصحيح لحديث رسول الله ﷺ، للإمام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة 261هـ وقد حبسه في 20 رجب سنة 1156هـ.(359)

11 – كتاب القوانين الفقهية، لابن جزي أبي القاسم محمد بن أحمد الكلبي المتوفى سنة 741هـ وقد حبسه سنة 1156هـ.(360)

12 – كتاب ناظر العين، وهو عبارة عن رسالة في المنطق، للأصبهاني شمس الدين أبي الثناء محمود بن عبد الرحمن المتوفى سنة 749هـ وقد حبسه سنة 1156هـ.(361)

13 – كتاب شرح الموجز، للخونجي، وقد حبسه عام 1156هـ.(362)

14 – شرح مقصورة حازم أبي الحسن بن محمد بن حسن ابن حازم الأنصاري القرطاجني التي يمدح بها صاحب افريقية أبا عبد الله محمد المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر، لمؤلفه الغرناطي أبي القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني.(363)

15 – كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن المحاربي، يكنى أبا محمد الفقيه المفسر المحدث النحوي اللغوي الأديب الشاعر المتوفى سنة 546هـ بمدينة لورقة أثناء توجهه لمرسية يتولى قضاءها، فصد عن دخولها، وصرف منها إلى لورقة واعتدي عليه رحمه الله، وقد حبسه المولى عبد الله في 20 رجب 1156هـ.(364)

---

359) نفس المرجع أعلاه ص 91 ـ 92.

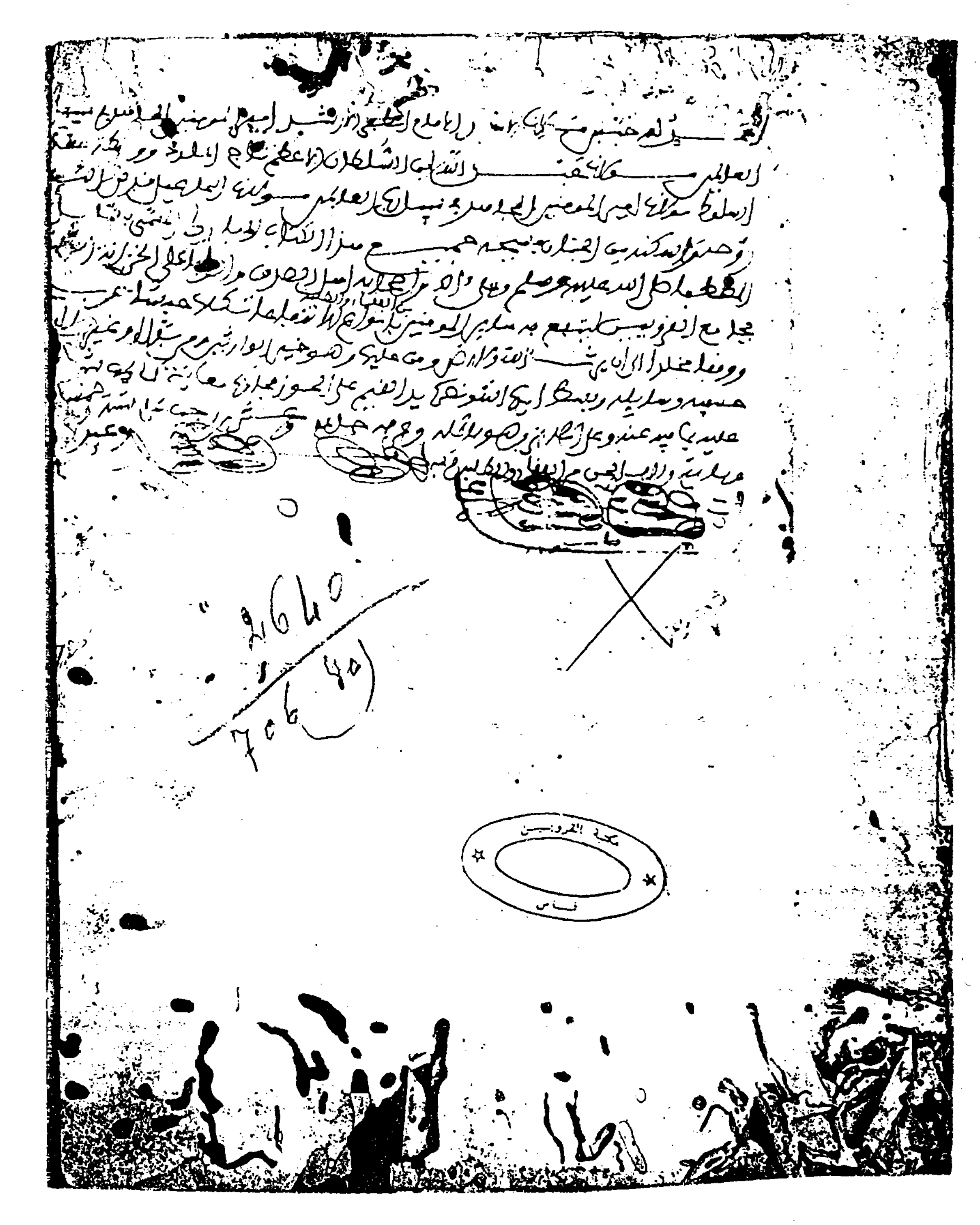
360) نفس المرجع أعلاه ص 218.

361) نفس المرجع أعلاه ص 337.

362) نفس المرجع أعلاه ص 336.

363) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 341.

364) نفس المرجع ج 1 ص 66.



وقف المولى عبد الله بن المولى إسماعيل كتاب شمائل المصطفى على خزانة القرويين
وهو من جملة الكتب التي حبسها عليها

16 – كتاب الجواهر الحسان، للثعلبي، وقد حبسه عام 1156هـ.(365)

17 – كتــاب إرشـــاد الســاري شرح صحيح البخـــاري المشتمل على 8 أسفار.(366)

18 – كتـــاب الجامع الصحيح، للبخـــاري وقـــد حبســـه في 20 رجب 1156هـ.(367)

19 – كتاب فتح الباري، وقد حبسه سنة 1156هـ.(368)

20 – كتاب بهجــة النفوس وتحليهــا بمعرفــة ما عليهــا، ولها، لابن أبي حمزة أبي محمد عبـد الله بن سعيد ابــن أبي العباس الأندلسي المتــوفى سنة 699هـ، وقد حبسه في 21 رجب 1156هـ.(369)

21 – كتاب المسند الصحيح المختصر من حـديث رسول الله ﷺ وشرف وكرم، أو صحيح مسلم، وقد حبسه في 20 رجب 1156هـ.(370)

22 – كتاب الجامع الكبير، للسيـوطي جلال الدين عبـد الرحمن بن أبي بكر المتوفى 911هـ، وقد حبسه بتاريخ 29 صفر 1156هـ.(371)

23 – كتــاب مشــارق الأنوار على صحــاح الآثــار، للقــاضي أبي الفضل عياض بن موسى المتوفى سنة 544هـ، وقد حبسه سنة 1156هـ.(372)

24 – كتــاب الإصــابــة في تمييــز الصحــابــة، لابن حجـر أحمد بن علي العسقلاني المتوفى سنة 852هـ وقد حبسه في 20 رجب 1156هـ.(373)

---

365) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 72.
366) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 113.
367) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 129.
368) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 134.
369) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 148.
370) نفس المرجع أعلاه.
371) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 198 ـ 199.
372) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 222.
373) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 254 ـ 255.

25 – كتاب جزيل الذيل في علم الخيل، للسيوطي.

26 – كتاب فلك السعادة الدائر بفضل الجهاد والشهادة، لابن طاهر العلوي أبي عبد الله بن العلامة الشهيد أبي محمد عبد الله بن علي العلامة الحجة الشريف المتوفى سنة 1156هـ.

27 – كتاب المرآة ممن هم بقيد الحياة من البيت العلوي الشريف، وقد حبسه سنة 1156هـ.(374)

28 – كتاب الاصطفا لبيان معاني الشفا، للعثماني شمس الدين أبي الفضل محمد بن محمد الدلجي الشافعي الإمام العالم العلامة العمدة المحقق الفهامة المتوفى سنة 947هـ، وقد حبسه في 29 صفر 1165هـ.(375)

29 – كتاب نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض، للخفاجي شهاب الدين أحمد بن محمد المتوفى سنة 1069هـ.(376)

30 – كتاب الاكتفا، للكلاعي أبي الربيع المتوفى سنة 634هـ وقد حبسه بتاريخ 14 ذي القعدة عام 1156هـ.(377)

31 – كتاب الخميس في أحوال أنفس نفيس في السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء والملوك، للديار بكري القاضي حسين بن محمد بن الحسن المالكي نزيل مكة المكرمة، والمتوفى بها في حدود سنة 966هـ، وقد حبسه بتاريخ أواسط جمادى الأولى عام 1155هـ.(378)

32 – كتاب فتح المتعال في مدح النعال، للمقري أبي العباس أحمد بن محمد الأديب المشهور الذي طبق علمه وأدبه مشارق الأرض ومغاربها

---

374) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 267 ـ 268.

375) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 269.

376) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 277.

377) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 279.

378) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 282.

صورة نص الوقفية من الجزء الخامس من كتاب العبر، بخط ابن خلدون

المولود بتلمسان والمتوفى بمصر سنة 1041هـ، وقد حبسه بتاريخ 19 رجب 1156هـ.(379)

33 – كتاب الجمهرة وجمهرة قريش أو كتاب نسب قريش، لابن الزير أو الزبير، المصعب بن عبد الله بن المصعب ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير العوام المتوفى سنة 236هـ كما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وغيره، وقد حبسه بتاريخ رجب 1156هـ.(380)

34 – كتاب تنبيه الأنام، أو شفاء الأسقام، لابن عظوم عبد الجليل، وقد حبسه سنة 1156هـ.(381)

35 – حدائق الأنوار، وجلاء القلوب والأبصار، في الصلاة والسلام على النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار، لابن عرضون أبي العباس أحمد بن عمر بن يحيى بن عمر الزحلي الموسوي الصالحي العلامة الشهير المتوفى سنة 992هـ وقد حبسه في 20 رجب 1156هـ.(382)

36 – كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، لابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي الأصل الحضرمي النسب، التونسي الولادة المغربي الاستيطان والوظيفة المتوفى بمصر سنة 808هـ، وقد حبسه في رجب 1156هـ.(383)

37 – شفاء العليل في شرح مختصر خليل، للبسطامي محمد بن أحمد بن عثمان بن سعيد المالكي المتوفى سنة 423هـ وقد حبسه عام 1156هـ.(384)

---

379) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 286.

380) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 290.

381) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 301.

382) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 304 ـ 305.

383) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 252 ـ 253.

384) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 405.

38 – كتاب جواهر الدرر في شرح المختصر، الشرح الصغير، للتتائي أبي عبد اللـه محمد إبـراهيم بن خليل شمس الدين المصري قـاضي القضاة بها المتوفى سنة 942هـ، وقد حبسه سنة 1156هـ.(385)

39 – كتاب حاشية على شرح المختصر، للزرقاني ابن مجلة شهاب الدين : أحمد بن محمد بن ناصر الـدين إمام مدرسة قايتبـاي الأول، وقد حبسه بتاريخ 21 رجب عام 1156هـ.(386)

40 – كتاب التقـاط الدرر مما كتب على المختصر، لمؤلفه ميـارة أبي عبد الله محمد بن أحمد الإمام الشهير أحد علماء فاس المتوفى سنة 1072هـ وقد حبسه المولى عبد الله في 21 رجب 1156هـ.(387)

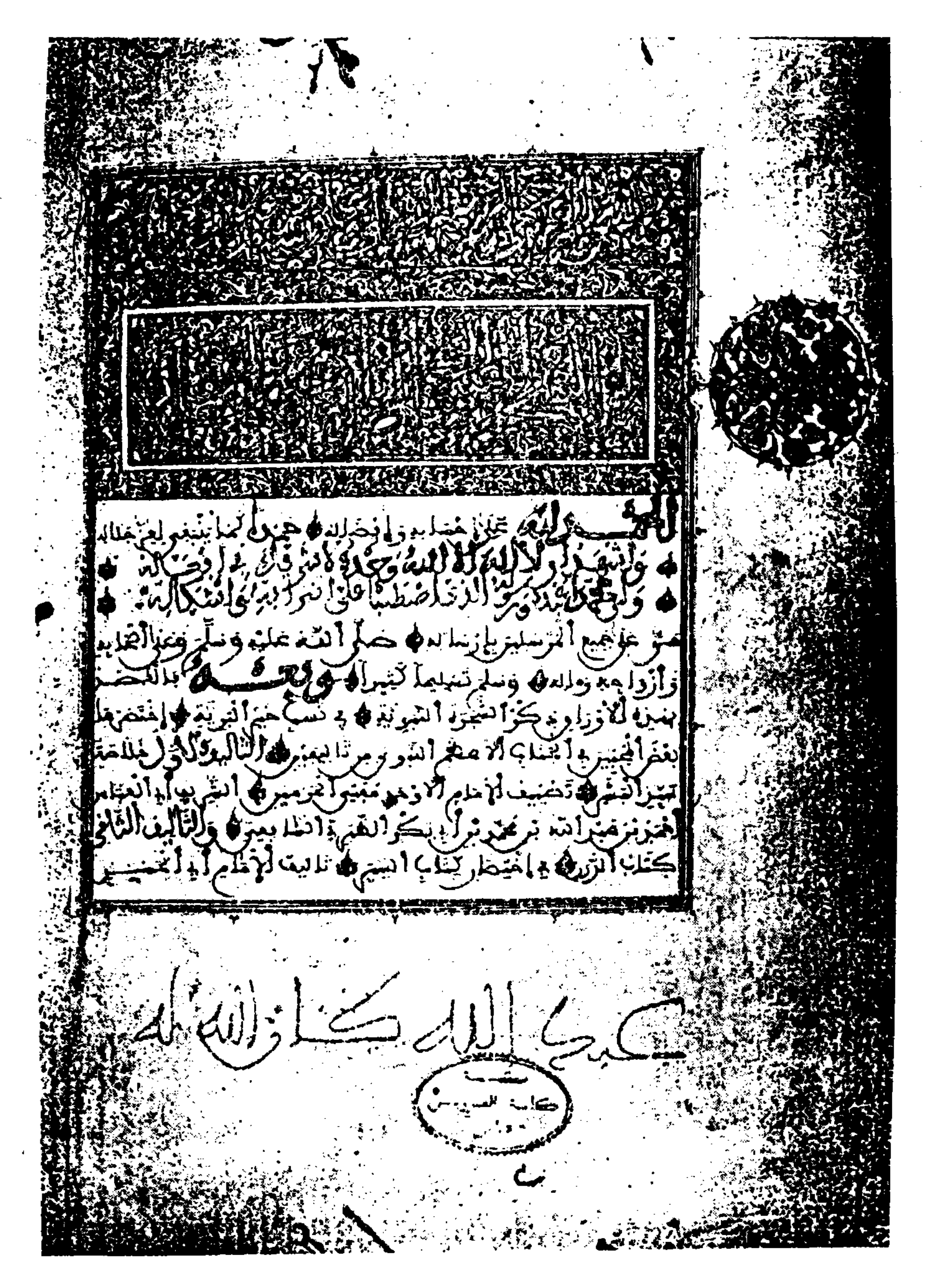
41 – كتـاب فتح الجليل في أدوية العليل، شرح منظـومـة أبي زيد عبـد الرحمن بن علي السنوسي الرفيعـي كان حيا سنة 853هـ وهو تاريخ الفراغ من النظم، وقد حبسه عام 1156هـ.(388)

42 – كتـاب شرح قصيدة في الـذكاة، للشيخ سيـدي محمد العـربي بن يوسف الفاسي المتوفى سنة 1052هـ، وقد وقفه المولى عبد الله في 2 رجب عام 1156هـ.(389)

43 – كتاب شرح المرشد المعين، وقد وقفه سنة 1156هـ.(390)

ومما تجدر الإشارة إليه أن المولى عبد اللـه وقف هذه الكتب وغيرها مما لم نذكره على طلبة العلـم، تيسيرا لهم في الحصول عليه، وتشجيعا لهم على اغتراف المعرفة من منـاهلها العذبة الفياضـة... وهكـذا نرى أن للوقف دورا

385) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 414.
386) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 422.
387) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 428.
388) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 448 ـ 449.
389) نفس المرجع أعلاه.
390) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 460.



خط السلطان المولى عبد الله

كتبه بأسفل الوجه الأول من كتاب «الشجرة الشماء التي أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء، والمحبس على خزانة جامع القرويين (رقم ح ل 1,40) وهو مختصر في الأنساب النبوية اختصره مؤلفه من كتاب في ذلك لأحمد بن عبد الله الطبري ومن اختصار السير لأبي الحسن أحمد بن فارس ابن زكرياء النحوي اللغوي المتوفى سنة 153.

هاما في الحياة الثقافية وفي تنميتها في عهد هذا الملك، وإنه استطاع أن يبعث الثقافة من مرقدها بوسائل متعددة رغم الفتن والاضطرابات التي كانت تحيط به من طرف جيش العبيد الذي كان سببا في خلعه 6 مرات... كل ذلك لم يهن عزمه، ولم يحل فيما بينه وبين نشر الثقافة في المغرب.

ولعل هذا من بين الأسباب التي شحذت ذهن ولده المولى محمد، ليكون له خلفا صالحا عالما، ورائدا حكيما في عهد هذه الدولة العظيمة التي أعلت رأس المغرب إلى قمة العلياء، وهكذا نسدل الستار على دور الوقف في الحياة الثقافية في العصر العلوي الأول، لننتقل بعد ذلك إلى دوره فيها في العصر العلوي الثاني، وهو ما سنعالجه في الباب التالي :

الباب الثاني

دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب
في العصر العلوي الثاني :
1171 – 1290 هـ / 1757 – 1873 م



الباب الثاني

دور الوقف في الحياة الثقافية في العصر العلوي الثاني

1171 – 1290 هـ / 1751 – 1873م

سنتناول بالتحليل في هذا الباب الكلام على دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد كل من المولى محمد بن عبد الله، والمولى هشام بن محمد، والمولى سليمان بن محمد، والمولى عبد الرحمن بن هشام، والمولى محمد بن عبد الرحمن، حيث سنعالج ذلك في إطار خمسة فصول :

1 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى محمد بن عبد الله.

2 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى هشام بن محمد.

3 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى سليمان ابن محمد.

4 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام.

5 – في دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن.



الفصل الأول

دور الوقف في الحياة الثقافية
في عهد المولى محمد بن عبد الله :
1171 – 1204 هـ / 1757 – 1789 م

الفصل الأول

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى محمد بن عبد الله(391)

1171 – 1204 هـ / 1757 – 1789 م

سندرس في هذا الفصل دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى محمد بن عبد الله، والوقف على الطلبة والفقهاء، ووقف الكتب العلمية، والوقف على بيوت الله المقدسة، وغيرها.

ودراسة ذلك تتطلب منا معالجته في أربعة مباحث :

1 – في دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى محمد بن عبد الله.

2 – في وقفه على الطلبة، والفقهاء.

3 – في وقفه الكتب العلمية على مختلف خزانات المساجد بالمغرب.

4 – في وقفه على بيوت الله المقدسة، وعلى غيرها.

المبحث الأول

دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى محمد بن عبد الله

ينبغي لنا قبل الكلام على دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى محمد، أن نورد لائحة لبعض العلماء الذين كانوا منشطين الحركة العلمية، في وقته، سواء منهم ممن حضر بيعته أيام المولى عبد الله، أو ممن كانوا من أهل مجلسه الخاصين به، أو ممن كانوا من غيرهم.

---

391) ولد بمكناس سنة 1134/1721 وبويع بفاس في 25 صفر 1171/8/11/1757 وتوفي بين وادي يكم ووادي الشراط ليلة 26 رجب 1204هـ/11/4/1790. الدرر ص : 55.

أما العلماء الذين حضروا بيعته في عهد والده، فهم :

1 – قاضي الجماعة بمكناس : الشيخ أبو القاسم العميري.(392)

2 – قاضي الجماعة بفاس : الشيخ عبد القادر بوخريص.(393)

3 – شيخ الجماعة بفاس الشيخ محمد بن قاسم جسوس.(394)

4 – الإمام المحقق حامل لواء المعقول والمنقول الشيخ أبو حفص الفاسي.(395)

5 – ابن عمه الشيخ أبو مدين الفاسي، وهو الذي تولى كتابة البيعة بيده لمحمد بن عبد الله.(396)

6 – إمام جامع الشرفاء بفاس الأستاذ المولى عبد الرحمن المنجرة 1179هـ.

7 – الشيخ التاودي ابن محمد الطالب ابن سودة المري الفاسي 1209هـ.

8 – إمام المسجد الكبير بفاس الجديد الفقيه عبد الله السوسي.(397)

---

392) كان أبو القاسم العميري من جملة الأشخاص الذين امتحنهم المولى عبد الله بن إسماعيل عند مجيئه إلى مكناسة بعد خلعه من طرف جيش العبيد، وكان ذلك في 15 رجب سنة 1153هـ.
وأما الأشخاص الآخرون، فهم أبو العباس أحمد الشدادي، والفاسي بن رحال، والفقيه المليتي، حيث أزال عمائمهم وفضحهم، وقال لهم: «كيف تزوجون حرمى من أخى وأنا حي» ونكل بهم النكال الشديد ثم أمر بسحبهم إلى السجن.. الاستقصا ج 7 ص 152.

393) هو أبو محمد عبد القادر بن العربي بن قاسم بن عبد العزيز بن عبد القادر بوخريص الكاملي الجعفري الفلالي، ثم الفاسي. بقي متوليا خطة القضاء بالحضرتين الإدريسية والمرينية نحو 34 سنة وعزله في آخر عمره، لكبره: أمير المومنين السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إسماعيل، وبقي معزولا نحو عشرة أشهر، وتوفي سنة 1188هـ رحمه الله بمنه.. السلوة ج 2 ص 12 ـ 13.

394) انظر ما قاله عنه محمد بن الطيب القادري في كتابه نشر المثاني ج 4 ص 80.

395) انظر الاستقصا ج 8 ص 57.

396) أبو مدين الفاسي، ولد بفاس سنة 1112هـ، اشتغل بالعلم وتدريسه بالقرويين سنين طويلة.. له مؤلفات، منها شرح النصيحة الكافية، وشرح توحيد الرسالة، والحكم في الأمثال، وتحفة الأريب، وشرح سيرة ابن فارس وغير ذلك، وقد جمعت خطبه في مجلد رحيب لا زال أعقابه الشفوف بها على غيرهم من كل خطيب.. توفي حسب ما ذكره سليمان الحوات في شعبان سنة 1181 ودفن بزاوية جده سيدي عبد القادر عند رأسه بانحراف يسير هـ السلوة ج 1 ص 322 ـ 323.

397) انظر ترجمته في نشر المثاني ج 4 ص 155.

9 – الإمام الحافظ أبو العلاء إدريس العراقي (1183) وغيرهم ممن لا يحصون كثرة.

وأما العلماء الخاصون بمجلسه العلمي، والذين يكونون معه في أكثر الأوقات، فهم :

1 – العلامة المشارك أبو عبد الله محمد بن الإمام بن الإمام سيدي عبد الله الغربي (1177هـ).(398)

2 – الفقيه العلامة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد المير السلاوي.(399)

3 – الفقيه الدراكة أبو عبد الله محمد الكامل الرشيدي.(400)

4 – الفقيه العلامة السيد أبو زيد عبد الرحمن المدعو «بوخريص».(401)

وهؤلاء الأخيرون كانوا يسردون له كتب الحديث، ويخوضون في معانيها، ويؤلفون له ما يستخرجه منها على مقتضى إشارته.(402)

وأما غير هؤلاء، فمنهم :

1 – الشيخ أبو مالك عبد الواحد بن محمد بن أحمد الفاسي (1172 – 1213هـ).(403)

2 – الشيخ امحمد بن محمد الخياط بن أبي الفضل قاسم بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي عمران

---

398) مات سنة 1177 هـ انظر جامع القرويين للتازي ج 3 ص 803.

399) انظر الاستقصا ج 8 ص 54.

400) انظر المرجع والجزء والصحيفة أعلاه.

401) انظر المرجع والجزء والصحيفة أعلاه أيضا.

402) المرجع والجزء والصحيفة أعلاه كذلك.

403) انظر ترجمته في سلوة الأنفاس ج 1 ص 325 ـ 326.

موسى الدكالي المشنزائي(404) من أولاد ابن إبراهيم الـدكاليين المتـوفى سنة 1184هـ.(405)

3 – العلامة الشيخ محمد بن عبد السلام بناني (1194هـ).(406)

4 – العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الورزازي (1179هـ) وقيل 1199هـ.(407)

5 – العلامة الشيخ الفقيه الصالح سيدي امحمد غيلان (1188هـ).(408)

6 – العلامة الشيخ الفقيه البركة سيدي علي شطير (1191هـ).(409)

7 – العلامـة الشيخ الفقيه القاضي عبد الكـريم بن قريش (1197هـ) أحد أفراد البعثة التي أرسلها المولى محمد بن عبد الله إلى جزيرة مالطة ونابولي، لعقد الصلح، وفداء من كانوا هناك من أسارى المسلمين.(410)

8 – الشيخ الفقيه محمد التلمساني (1192هـ).(411)

9 – الشيخ أحمد الرشاي 24 رجب 1210هـ.(412)

---

404) المشنزائي، نسبـة إلى مشنزاءة، وهي قبيلـة من قبائل عرب دكـالة كـان لهم الصيت العالي بين القبائل انظر السلوة ج 2 ص 78 ـ 79.

405) انظر ترجمته في المرجع ونفس الجزء والصحيفة أعلاه.

406) ذكر ولد المترجـم الفقيه السيد عبد الكريم ابـن الشيخ محمد بن عبد السلام بنـاني في كتابه : «تحفة الفضلاء الأعلام» أن والده المذكور، قد انتقل بأولاده من فاس إلى تطوان عام 1150هـ وأكب فيها على التدريس، وختم التفسير فيهـا في: الجامع الكبير، وختم صحيح البخاري مرتين، كما ختم موطأ الإمـام مالك ومختصر الشيخ خليل أربع مرات، ونحن نعـرف أن الشيخ المذكور لم يقم بتطـوان إلا نحـو سبع سنين هـ ـ تـاريخ تطـوان ج 3 ص 164 للمرحـوم محمد داود، مطبوعـات معهد مولاي الحسن بتطوان، المطبعـة المهدية شارع محمـد الطريس رقم 19 تطوان المغرب، وانظر السلوة ج 1 ص 146 ـ 147.

407) انظر تاريخ تطوان ج 3 ص 85 ـ 88.

408) انظر تاريخ تطوان ج 3 ص 93.

409) انظر تاريخ تطوان ج 3 ص 95.

410) انظر ترجمته كاملة في تاريخ تطوان ج 3 ص 96.

411) ذكره الأستاذ محمد داود في تاريخ تطوان في عداد العلماء الـذين كانوا يقومون بأداء رسالتهم العلمية في هذا العصر، في ج 3 ص 164 ـ 168 ـ 169.

412) انظر ترجمته في تاريخ تطوان ج 6 ص 187.

خط السلطان سيدي محمد بن عبد الله

مؤرخ بـ 5 رمضان عام 1203

كتبه بأعلى الاشهاد الواقع عليه بإهدائه خمسة آلاف سبيكة ذهبية كل سبيكة وزنها مائة دينار من دنانير سكته لأهل الحرمين الشريفين على أن يعطى لهم منها خمسون قنطارا في كل سنة مدة من عشرة أعوام وتفرق على قسم فصلها وحرم الرافضة منها ووجه الواجب مع سفيره السيد محمد بن عبد الله الرحامني، وذلك مما كان رتبه على (نصارى دينمارك ونصارى بلنسيان وهو خمسون قنطارا عن كل سنة)، وتاريخ الإشهاد 29 من شعبان 1203 وشهد عليه بذلك جماعة من أعيان علماء وقته ووضعوا خطوطهم منهم علي بن العباس الشرادي وأحمد بن عبد العزيز السجستاني وعبد القادر بن المعطي الشرقي والعربي بن المعطي بن صالح

10 – العلامة محمد بن الصادق.

11 – العلامة الشيخ محمد بن محمد الحسن الجنوي (1214هـ).(413)

12 – العلامة القاضي عبد السلام بن قريش (1132 – 1207).(414)

فهؤلاء العلماء التسعة الاخيرون وغيرهم ممن لم نذكر، كانوا أعمدة الثقافة في هذا العهد بتطوان، إلا أن بعض العلماء المذكورين في اللائحة كلها كان له كرسي خاص به يدرس عليه قواعد علمية محضا، أو يدرس كتبا معينة موقوفة، وهذا ما يجعلنا نتعرض لذكر بعض الكراسي العلمية، وكذا لبعض المجالس العلمية في هذا العهد، حيث سنتناول الكلام عنها في إطار فرعين :

1 – في الكراسي العلمية في عهد المولى محمد بن عبد الله.

2 – في المجالس العلمية بتطوان في عهده.

الفرع الأول

الكراسي العلمية في عهد المولى محمد بن عبد الله

توجد عدة كراسي علمية في عهده إلا أننا نقتصر منها على أربعة كراسي، ثلاثة منها بفاس، ورابع بمراكش وهذه الكراسي، هي :

---

413) ذهب صاحب تاريخ تطوان إلى أنه ابن الفقيه العلامة الشيخ محمد بن الحسن الجنوي دفين مراكش وقد ترجم له معاصره الشيخ ابن عجيبة في أزهار البستان بقوله :
«ومنهم الفقيه المحصل الدراكة الفهامة العالم العلامة سيدي محمد ابن شيخنا الفقيه سيدي محمد الجنوي ممن حاز رياسة الفقه في زمانه، ودارت الفتوى عليه بمدينة تطوان، له معرفة تامة بالنوازل، تولى مرتبة أبيه بعده، وهو يدرس ويخطب في جامع الولي الشهير سيدي علي الجعيدي، وهو في قيد الحياة، توفي عام 1214هـ/ 1809م تاريخ تطوان ج 6 ص 195.

414) ذكر عنه سكيرج أنه كان كثير الإمداد، عظيم الإحسان للعباد، وأنه كان من قضاة العدل، وأهل البشاشة والفضل، وأنه كان من أحباء السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الله ولد سنة 1132هـ وتوفي سنة 1207هـ تاريخ تطوان ج 6 ص 170.

1 – كرسي القبة بالضريح الإدريسي.

2 – كرسي النحو بجامع القرويين.

3 – كرسي الشيخ بناني بنفس الجامع.

4 – كرسي جامع القصابين بجامع الفنا بمراكش.

أما الكرسي الأول : وهو كرسي القبة بـالضريح الإدريسي، فقد كان من بين أساتيذه في هذه العهد :

أ – الشيخ أبو زيـد عبد الرحمن بن إدريس بن محمـد المنجرة الحسني الإدريسي المتوفى سنة 1179هـ.(415)

ب – الشيخ امحمد بن محمد الخياط بن أبي الفضل قاسم بن محمد بن عبد الـوهاب بن محمد بن محمـد بن محمد بن إبراهيم ابن عمـران موسى الدكالي المشنزائي(416) ومن أولاد ابن إبـراهيم الـدكـاليين المتـوفى سنـة 1184هـ.(417)

ج – الشيخ أبو عبـد الله محمـد بن الحسن بن مسعود البنـاني الفاسي المتوفى سنة 1194هـ.

د – الشيخ محمد التاودي بن محمد الطـالب بن محمد ابن سودة المري الفاسي المتوفى سنة 1209هـ.

وأما الكرسي الثاني : وهو كرسي النحو بجـامع القرويين، فقد كان من بين أساتيذه الذين درسوا عليه في هذا العهد أيضا :

---

415) انظر جامع القرويين للدكتور التازي ج 3 ص 803.

416) انظر سلوة الأنفاس ج 2 ص 78 ـ 79.

417) انظر ما قاله عنه صاحب نشر المثاني ج 4 ص 196 والسلوة ج 2 ص 78.

الشيخ أبو الحسن علي بن زين العابدين المدعو زيان بن هشام بن عبد الرحمن الحسيني العراقي الفاسي المتوفى يوم السبت 29 جمادى الأولى عام 1194هـ / 1780م.(418)

وأما الكرسي الثالث : وهو كرسي الشيخ بناني، فقد كان من بين من درس عليه في هذا العهد : أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود البناني الفاسي.(419)

وأما الكرسي الرابع : وهو كرسي علم بجامع القصابين من جامع الفنا بمراكش، فقد وقف عليه الشريف مولاي علي بن مولاي الطيب العلوي الإسماعيلي : **جميع المصرية ذات السرجمين (النافذتين) المطلين معا على جهة الملعب بالجامع المذكور**، وهي ذات الباب الذي عن يسار المار بجهة سوق الورقة (العملة الورقية) وعند باب الدكانة، **وقفها من أجل التوارق والوعظ عند العصر، ولقراءة العلم الشريف.** وفيما يلي نص وثيقة التحبيس :

«الحمد لله، وبعد، فقد أشهد الشريف مولاي علي بن مولاي الطيب العلوي الإسماعيلي الساكن وقته بدرب ابن الخطاب من حومة المواسين أنه حبس على الكرسي المعد للتوارق والوعظ عند العصر ولقراءة العلم الشريف بالليل يسمعه العوام من القارىء : جميع المصرية ذات السرجمين المطلين معا على جهة الملعب بالجامع المذكور، وهي ذات الباب الذي على يسار المار بجهة سوق الورقة، (العملة الورقية) وعند الدكانة، حبسا مؤبدا، ووقفا مخلدا، لا يبدل عن حاله، ولا يغير عن سبيله، قصد بذلك وجه الله العظيم،

---

418) السلوة ج 3 ص 114 ـ 115.

419) السلوة ج 1 ص 161.

وثـوابه الجسيم، واللــه لا يضيع أجـر من أحسن عملا، ومن بـدل أو غير، فاللــه حسيبه وســائله «وسيعلم الـذين ظلموا أي منقلب ينقلبـون» إشـهادا تاما، عـرف قدره، شـهد به عليه بأتمه، وعرفـه وهو بمجلس من يجب أعزه اللــه في ثـالث رمضــان المعظم عام أربعـة وتسعين ومـائة وألف» إمضــاء العدلين، غير مقروء.(420)

الفرع الثاني

المجالس العلمية بتطوان في عهد المولى محمد بن عبد الله

ليس من شك في أن المجـالس العلمية التــي كانت تنشر الثقـافة في هــذا العهد لم تكن مقصــورة على فاس وحــدها، وإنما كـانت تشاركهـا في هذا : مجالس علمية أخرى بمراكش ومكناس وسوس، وخاصة مدينة تارودانت، وطنجة وتطوان وغيرها من البلدان المتحضرة بالمغرب.

وسنقتصر هنا في هذا الشق على مدينة تطوان لإعطاء نماذج عن علمائها، وعن مجالسها العلمية ونشاطها المعرفي في هذا المجال، ولكن الذي نلاحظه : أن مختلف المراجع التي وقفنا عليها لم تشر إلى دعم هذه المجالس عن طريق قنوات الوقف، كما تقدم بمجالس فــاس، إلا أن الذي يظهر أن هذه المجالس كانت تشجع عن طريق الوقف كمثيلاتها بفاس ومكناس وغيرهما، ومن بين هذه المجالس :

1 – مجلــس الشيـخ العلامة أحمد الورزازي (1179 هــ أو 1199هـ) :

فقد كـان هذا المجلس غـالبا مـا يغص برواد الثقــافة من طلبــة وعوام، وكانوا كلهم يستفيدون من العلوم التي يتلقونها عن هذا الشيخ الجليل، وقد

420) حوالـة أحباس كبرى مـراكش رقم 10 ص 152 قسم الوثـائق والمخطوطات بالخزانـة العامة بالرباط.

كان الشيخ الورزازي يعطي دروسه غالبا **بجامع لوش المعروف بزنقة المقدم، والغرسة الكبيرة.**

ومن بين المواد التي كان يدرسها : علم القراءات وعلم الحديث والسيرة والشمائل المحمدية، للترمذي والشفا، للقاضي عياض، وسيرة الكلاعي، وألفية العراقي، ومختصر خليل، وتحفة ابن عاصم، وجمع الجوامع في الأصول، وكتاب التسهيل في النحو، وتلخيص المفتاح، للقزويني في البلاغة، ومختصر السنوسي في المنطق(421) وقد وصف هذا العالم الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه : «فهرس الفهارس(422) حيث قال عنه :

«بأنه حبر تطوان، وفخرها العلامة المحدث الأثْرَى، الصاعقة أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الورزازي الدرعي التطواني».

كما قال عنه الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة في كتابه «أزهار البستان» :

«ومنهم العالم العلامة، البحر الفهامة، شيخ مشايخنا سيدي أحمد الورزازي منسوبا إلى ورزازة بلد بسوس الأقصى، كان رحمه الله فقيها، نحريرا عالما كبيرا، يحقق المسائل ويدققها، ولا يرضى بالتقليد في حلها، كان يميل إلى تحكيم العقل في الأمور النقلية، حتى اتهم بالاعتزال، وامتحن عليه بالسجن، ثم خلي سبيله، فالله أعلم، وعند الله تجتمع الخصوم».(423)

2 – مجلس الشيخ سيدي أحمد غيلان (1188هـ) :

فقد كان الناس يقبلون على مجلسه للاغتراف من مناهل علمه ومعرفته، خاصة وأنه كان موسوما بالولاية والصلاح، وكان مجلسه في مسجده

---

421) راجع تاريخ تطوان ج 3 ص 85 ـ 88.

422) ج 2 ص 430.

423) تاريخ تطوان ج 3 ص 85 ـ 88.

بالمطمار من مدينة تطوان المسمى : **مسجد غيلان**، ثم صار يدعى **جامع غريسة**، وأصل هذا العالم من غرناطة، قدم جده في فتنة الأندلس، فاستوطن تطوان، وكانت له أخت لال غيلانة (1193هـ) وهي عالمة تدرس العلم لنساء البلد وتفتيهن.(424)

3 – مجلس العلامة القاضي عبد الكريم بن قريش (1197هـ) :

فقد كان مجلسه هذا من بين المجالس الهامة بتطوان حيث يقصده كثير من رواد المعرفة ومن غيرهم من العوام، وقد قال عنه الشيخ ابن عجيبة في أزهار البستان ما يلي :

«ومنهم شيخنا الإمام العالم الفقيه المدرس الخطيب سيدي عبد الكريم ابن قريش رحمه الله كان مشاركا في كثير من الفنون، عالما بمسائل التوثيق، يستحضر مختصر خليل حفظا، سمعت منه البخاري مرارا، ومسلما، وتفسير الجلالين، ومختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد، وألفية ابن مالك، ولاميته، وتوضيح ابن هشام، وجزءا من المغني، ومسلم، ومختصر الشيخ السنوسي في المنطق، وعقيدته الصغرى والكبرى، وتلخيص المفتاح في البيان، والشفا، والهمزية، ولامية كعب بن زهير، ونعود، فنذكر بأنه كان أحد أفراد البعثة التي أرسلها سيدي محمد بن عبد الله إلى جزيرة مالطا ونابولي لعقد الصلح، وفداء من كان هناك من أسارى المسلمين.(425)

4 – مجلس العلامة سيدي علي شطير (1191هـ) :

فقد كان لهذا العالم أيضا مجلس علم حافل بالعطاء العلمي، وقد ترجم له تلميذه أبو العباس ابن عجيبة في أزهار البستان بقوله :

---

424) انظر تاريخ تطوان ج 3 ص 93.

425) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 96.

«ومنهم شيخنا الفقيه الإمام المحدث النحرير أبو الحسن سيدي علي بن طاهر بن أحمد بن محمد شطير السماتي الحسني، كان رحمه الله فقيها نحويا محدثا ذا ورع تام، سمعت منه جزءا من ألفية ابن مالك، وكان يدرس **البخاري في مسجد الرابطة بتطوان، ومختصر خليل**.(426)

5 – مجلس الفقيه القاضي عبد السلام بن قريش (1132 – 1207هـ) :

فقد ذكر عنه أبو محمد السكيرج أنه قرأ عليه مختصر خليل مرارا، والأربعين النووية، وشمائل الترمذي، والتفسير، وصحيح البخاري مرارا، ولامية الزقاق، وتحفة ابن عاصم، كما ذكر أنه قرأ عليه صحيح البخاري في جامع الباشا بحضرة السلطان مولاي اليزيد بن محمد بن عبد الله لما قدم تطوان عام 1204هـ وقد بقي في القضاء أكثر من 30 سنة من 1171 – 1206هـ.(427)

6 – مجلس الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الجنوي (1214 هـ) :

فقد كان مجلسه – رحمه الله – حافلا بالعطاء المعرفي، وكان من بين المواد التي كان يدرسها : الشفا للقاضي عياض، ومصطلح الحديث، ومختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وجمع الجوامع، وورقات إمام الحرمين، وألفية ابن مالك والأجرومية، وتلخيص المفتاح، للقزويني، والنصيحة الزروقية، والحكم العطائية(428) ومجلسه هذا كان **بجامع العيون أو الجعيدي بتطوان**.

---

426) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 95.

427) نفس المرجع أعلاه ج 6 ص 170.

428) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 195 وانظر ترجمة أبيه الشيخ محمد بن الحسن الجنوي في كتاب الإتحاف ج 4 ص 135 ـ 140.

وإن المجالس العلمية في تطوان في عهد المولى محمد بن عبد الله لم تكن مقصورة على هذه المجالس فحسب، وإنما كانت هنالك مجالس أخرى، كمجلس الفقيه محمد التلمساني (1192هـ)، ومجلس الفقيه أحمد الرشاي (1210هـ) بجامع الرابطة، ومجلس الفقيه طاهر الطنجي (1195هـ) إلى غيرها من المجالس العلمية الأخرى، مما يدل دلالة واضحة على أن النهضة الثقافية والفكرية في تطوان كانت في هذا العصر مزدهرة إلى أبعد حدود الازدهار.(429)

وإنه بتأمل ما يدرس من مواد في هذه المجالس العلمية، نجدها هي نفس المواد التي كانت تدرس بفاس، سواء على الكراسي، أو في المجالس العلمية الأرضية بها.

وتبعا لذلك، يمكن القول : أن هذه المجالس كانت تغذى عن طريق قنوات الوقف، شأن مثيلاتها بفاس، رغم أننا لم نقف على من أشار إلى هذا في المظان التي وقفنا عليها.

وهكذا نخلص إلى القول : أن الوقف كان من وراء النهضة الثقافية والفكرية لا في تطوان ولا في فاس فحسب، وإنما كان وراء هذه النهضة العلمية في مختلف البلدان المغربية المتحضرة، كما كان أداة فعالة في شحذ همم الطلبة، وتفتيق قرائح الفقهاء، وعزائم العلماء... والوقف على الطلبة والفقهاء في هذا العهد، هو ما سنعالجه بالتحليل في المبحث التالي :

المبحث الثاني

الوقف على الطلبة والفقهاء في عهد المولى محمد بن عبد الله

سندرس في هذا المبحث الوقف على الطلبة أولا، ثم الوقف على الفقهاء ثانيا : وهو ما يتطلب منا معالجته في فرعين :

429) راجع تاريخ تطوان ج 6.

1 – في الوقف على طلبة ضريحي أبي العباس السبتي، وابن سليمان الجزولي، وعلى غيرهم.

2 – في الوقف على الفقهاء.

الفرع الأول

الوقف على طلبة ضريحي أبي العباس السبتي، وابن سليمان الجزولي، وعلى غيرهم

ليس من شك في أن المولى محمد بن عبد الله كان له اهتمام وعناية بالطلبة مطلقا، سواء كانوا طلبة **خاصين بحفظ القرآن الكريم**، والدءوبين على قراءته ليلا ونهارا، أو كانوا طلبة رتبهم **لقراءة دلائل الخيرات** في ضريحي **أبي العباس السبتي، وسيدي امحمد بن سليمان الجزولي، أو كانوا طلبة مكفوفين أو زَمْنَى عاجزين عن التكسب**، أو كانوا خاصين برحاب ضريح أبي العباس السبتي، **أو كانوا طلبة علم في المدارس، أو طلبة يعلمون أبناء المسلمين في الكتاتيب القرآنية : الكتابة والقراءة والقرآن العظيم بمدينة مراكش**، وسواء كانوا من سكان المدينة المذكورة، أو كانوا آفاقيين يقصدونها من أجل التعلم.

وإذا كان له اهتمام بطلبة مراكش، فقد كان له اهتمام أيضا وعناية بطلبة غير مراكش، ولا سيما منهم طلبة مكناس وفاس، لذلك وقف عليهم أوقافا كثيرة تساعدهم على حفظ القرآن، وتلقي المعارف.

وهكذا سنرى ما وقفه على طلبة مراكش، ثم ما وقفه على طلبة مكناس، ثم ما وقفه على طلبة فاس.

أولا : بالنسبة لما وقفه على طلبة مراكش :

إن المولى محمد بن عبد الله كما هو معلوم، وقف أوقافا كثيرة منها ما يتعلق بالشؤون الدينية، ومنها ما يتعلق بالشؤون المجتمعية، ومنها ما

يتعلق بالشـؤون الثقافية، وهـذه الأخيرة، هي التي تهم بحثنا هـذا، ونورد نماذج من هذه الأوقاف بمراكش فيما يلي :

1 – فقد وقف جميع جنـانيه الكـائنين قرب القصبة بمـراكش، أحدهما يسمى «جنـان العافيـة» سقيه مـن عين «جراوة» و«تسلطـانت» و«ساقيـة الباشا».

وثـانيهما يسمى «جنـان السمارة» سقيـه من «تسلطـانت» و«سـاقيـة الباشا» أيضا، ومن «عين الشريفيـة» وشهرتهما بإسميهما المذكورين مغنية وكافية عن تحديدهما، ومزيدا لوصف فيهما... بحيث تباع غلتهما جميعهما وتقسم أثمانهما على مائتي طـالب... وأن المائتي طالب المذكـورين الموقوف عليهم، منهم من يوجد في أماكن مفترقة، وهـم المائة الأولى، ومنهم من يوجد في مكان واحد... وهـم المائة الثانية.

فالمائة المفترقة الأماكن موزعة على الشكل التالي :

20 منهم بجامع النجـارين من المنصور بقصبة مـراكش المنشـأة في هذه الحضرة المراكشية، وفيها مقر الملك.

و20 منهم بجامع النجارين كذلك.

و20 منهم على الطلبـة معلمي الصبيان في الكتـاتيب القرآنيـة «المسايـد» «الكتابة والقراءة» والقرآن الكريم.

و20 منهم بمدرسـة الفقيـه بن عبد الرحمن من حومة بـريمة قرب قصر البديع.

و20 بمدرسـة أخرى من حومة بريمة أيضـا.

والمائة الثانية من طلبـة العرب بحومة بـريمة كلها (ولعله يقصد بطلبة العرب : **الطلبة الآفاقيين الذين يقبلـون على مراكش لتلقي أنواع العلوم بها)**. إن المولى محمد بن عبـد الله وقف جميع جنانيه المذكـورين أعلاه على

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

حبس مولانا الإمام المؤيد الهمام السلطان ...

ملك العرب والعجم. أمير المؤمنين. وناصر الدين المجاهد في سبيل رب

العالمين الحليم مولانا أبو عبد الله. سيدي محمد بن أمير المؤمنين مولانا

عبد الله الشريف الحسني أدام الله نصره وخلد في الصالحات ذكره

جميع الجنان الشهير بجنان اليوسي الكائن خارج باب

الدبغ أحد أبواب الحضرة المراكشية أمنها الله بجميع ما له من البياض والسواد

والأشجار على اختلافها وتباين أجناسها مع عينه الجارية لسقيه وحقه في

الموصلة إليه وكل ما هو منه وينسب إليه على جوامع القصبة السعيدة

التي بداخل الحضرة المذكورة ومدارسها الخمس بحيث يصرف (مستفاد) الجنان المذكور

كل عام في أمور الجوامع والمدارس المذكورات من الوظائف والحصر والزيت

وغيرها الأمر وربات الجانب المذكور بعد إخراج ما يصرف في خدمة الجنان

وقف جنان اليوسي خارج باب الدبغ أحد أبواب مراكش على جامع القصبة ومدارسها الست،
من قبل سيدي محمد بن عبد الله الملك العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

حبس مولانا ذو المناقب المؤيد الهمام السلطان الأعظم
ملاذ العرب والعجم أمير المومنين وناصر الدين المجاهد في سبيل
رب العالمين الحليم الأواه أبو عبد الله سيدي محمد بن أمير المومنين
مولانا عبد الله الشريف الحسني أدام الله نصره وخلد على الكافة
ذكره جميع جنان الترجمان المعروف بجانبه ذا اسمه على قراءة كتاب
دلائل الخيرات وقصيدتي البردة والهمزية في مدح خير البرية صلى الله
عليه وسلم عند ضريح القطب المنيف مولاي علي الشريف وعند ضريح الغوث
سيدي أبي العباس السبتي وضريح القطب والمعالي سيدي محمد الجزولي وضريح
البحر المغلق سيدي عبد العزيز التباع نفع الله سيدنا بهم امين بحيث يعود
على المواضع المذكورة عشر راس كل شهر ومستفاد الجنان المذكور اثنا
عشر مثقالا على نسبة ثلاثة مثاقيل لأهل كل موضع منها يجمعهم في كل

نص وقف جنان الترجمان على قراءة دلائل الخيرات وقصيدتي البردة والهمزية
عند أضرحة أبي العباس السبتي والجزولي والتباع
من قبل سيدي محمد بن عبد الله الملك العلوي في 25 رجب عام 1200هـ

مائة مثقال واربعة واربعون مثقالا دراهم وذلك بعد اخراج ما ينفق
في ضروريات الفندق المذكور مما يستدام به نفعه وما فضل عن
ذلك كله يصرف في احباس القصبة المحروسة بالله وان لم يقع
ملستعاد الفندق المذكور بغير ما ذكر فيبقى على حاله من اهل المواضع
المذكورة اربعا حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا لا يخرج عن حاله ولا يبدل
عن سبيله حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ومن سعى في
تبديله او تغييره فالله حسيبه وسائله وسيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون فقصد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم
والله لا يضيع اجر المحسنين ولا يخيب لقاصده أملا تقبل
الله من سيدنا عمله وبلغه امله بجاه جده النبي المصطفى
عليه افضل الصلاة وازكى التسليم وشهد عليه بذلك اكرمه الله
في خامس وعشرين من رجب الفرد عام الف ومائتين

من ذكر من المائتي طـــالب على أســاس غلتهما، وقسم أثمانهما عليهم على نسبة أن لمائة من طلبه العرب من الأثمان قسمة ونصفـا، وللمائة الأخرى المفترقة الأماكن قسمة واحدة على السواء بينهم.

ومن الملاحظ في وثيقـة التحبيس لهذين الجنـانين أنه نص فيهـا على أن المتزوج من طلبة العرب يعطى لـه قسمة ونصفا، بينما الاعزب منهم يعطى قسمة واحدة لا غير.

كل هذا بعد إخراج الثلاثين مثقالا مرتب الفقيهين، وهما :

1 – سيدي علي بن العباس.

2 – ولده بلعباس.

وذلك كل شهر مناصفةِ بينهما، ويـؤخذ من الباقي بعد ذلك 15 مثقالا، تعطى للفقهاء الخمسة، وهم :

1 – سيدي أبو بكر بن عمر.

2 – سيدي محمد بن الطاهر السجلماسي.

3 – السيد محمد بن أحمد العيادي.

4 – السيد إبراهيم بن أحمد الزداغي.

5 – السيد أحمد أزناگـ.

ثـلاثة مثـاقيل لكل واحد منهم كل شهـر لتعيينه – أيـده الله – إيـاهم لقسمة ذلك على الطلبة المذكورين.

ويـؤخذ بعـد ذلك 12 مثقـالا تعطى للطـالب السيـد محمـد بن عمـرو الورديغي، والباقي بعد ذلك هـو الذي يقسم على المائتي طالب المذكورين إلا أن الواقـف استـثنى من الوقف ما يبـاع بأربعة دراهم شرعية من الغلة من كل واحـــد من الجنانـــين الـــمذكورين كل يـــوم من ابتـــداء الغلـــة إلى انتهائها.

أربعة دراهـم من غلة جنـان العافيـة تعطى للفقيه السيـد عبد الـوهاب أجـانـا، وأربعة دراهـم من غلة جنـان السمارة تشترى خبـزا وتفـرق على المقعدين العاجزين الكائنين بسقيف سيدي أبي العباس السبتي...

وكانت وثيقـة هذا الوقف مؤرخـة في أوائل جمادى الأخيرة عام 1195هـ وبعد التاريخ خط المولى محمد بن عبد الله وتوقيعه...».

وبعده إشهاد على إشهاد المولى محمد بن عبد الله.

يليه خديمه : المأمون بن محمد الحبشي، وعبد ربه محمد بن أحمد.

وبعد الحمد لله وحده أديا، فثبت وأعلم به عبيد ربه سبحانه عبد العزيز بن حمزة، وفقه الله قابلها بأصلها فما ثلتـه وشهد بصحة المقابلة والمماثلة من أشهده الفقيه النـزيه الأكمل العلامة الأحفل قـاضي الجماعة بمراكش في 28 رمضان عام 1198هـ.

2 – **وقف جميع أعشـار غلل أجنته الثـلاثة :** جنان العافية، وجنان السمارة، وجنان غـرسية على 67 طالبـا، سبعة منهم بضريـح أبي العباس السبتي، و60 بضريح سيدي امحمد بن سليمان الجزولي، وهؤلاء الطلبة كان رتبهم لقراءة دلائل الخيرات في الضريحين المذكورين.

ومما تجدر ملاحظته : أن وقف أعشار غلل هـذه الأجنة كان سابقا على الوقف الأول المتعلق بجنان العـافية والسمارة بـ : 7 أعوام و6 أشـهر و12 يوما.

فالنموذج الأول : كان مـؤرخا في أوائل جمادى الآخـرة عام 1195هـ، والثاني أرخ في 19 جمادى الآخرة عام 1187هـ من جهة، ومن جهة أخرى، فالنمـوذج الأول كان وقـف وقفا نهائيا، بينما النمـوذج الثاني كـان يتعلق بأعشار الغلل لا غير.

وبالرجوع إلى الحوالة العباسية، نجد فيها نص وثيقة الحبس بالنسبة للنموذج الثاني، وهذا نصها : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

«حبس مولانا الإمام السلطان المؤيد الهمام المخصوص من مولاي الكريم بنصر الألوية والأعلام، وقهر الجبابرة الظالمين العظام، أبو عبد الله سيدي محمد ابن السلطان الجليل مولانا عبد الله ابن الإمام الأكبر مولانا إسماعيل الشريف العلوي، أبقى الله للمسلمين أيامه، وأدام نصره وكبت أعداءه، بجاه جده سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ جميع أعشار غلل أجنته الثلاثة الكائنة قرب قصبته السعيدة التي أنشأتها يد مجادته بحضرته المراكشية كلأها الله، وأدام عمارتها وعمارة مساجدها وجوامعها وأضرحة أوليائها بجوده، آمين.

وهي المسمى أولها بجنان العافية، وثانيها بالسمارة، وثالثها بجنان غرسية، بحيث تخرج أعشار تلك الغلل على اختلافها وتباين أجناسها حيثما وجبت الأجنة المذكورة، ويجمع ما حصل فيها، ثم يوضع بيد أمين إلى رأس كل محرم من كل عام يأتي، فيدفع للطلبة الذين رتبهم – أيده الله – لقراءة دلائل الخيرات من غير احتياج إلى مشورته – أدامه الله – في ذلك الدفع، وهم 67 طالبا.

منهم سبعة بضريح الولي الصالح، القطب الناصح، والكوكب النير اللائح، غوث الإسلام، وملجأ الأرامل والأيتام، ومهرب كل مظلوم مضام، أبو العباس سيدي أحمد بن جعفر الأنصاري الخزرجي نفع الله سيدنا ببركاته، وجعله دائما قائدا راياته.

والستون الباقون بضريح الولي الأكبر، والسيد الكامل الأشهر، المعروف بشدة المحبة للنبي محمد سيد جميع البشر ﷺ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته عدد كل أبيض وأحمر، وسلم تسليما، أبو عبد الله سيدي امحمد بن

سليمان الجزولي الشريف الحسني نفع الله سيدنا ببركاته، وأفاض عليه من فيض نفحاته على حسب عادتهم التي كان سيدنا – أيده الله – يدفع لهم ما رتبه لهم على عملهم المذكور، وستة وثلاثون مثقالا عن كل عام للسبعة المذكورين، وستون وثلاثمائة مثقال للستين الآخرين، تعطى لهم مشاهرة تسبيقا، كل شهر يعطى لهم واجبه قبل تمامه، فإن وفت الأعشار المذكورة بعدد المرتب المذكور فذاك، وإن نقصت عنه بشيء، كمل لهم من تلك الغلل الحلال، وأن فضل من تلك الأعشار على عدة المرتب المذكور شيء، يأخذه خديمه وأمينه السيد الحاج عبد الله ابن الحاج امحمد الكنسوسي، فيتحرى بتفرقته أهل الديانة والدين، وذوي الحاجة الفقراء من الطلبة وغيرهم من ضعاف المسلمين، فيفرق ذلك الفاضل عليهم وأجزل الله لسيدنا ثوابه، وقف – أيده الله – ذلك على أولئك الطلبة المذكورين كما ذكر، وقفا مخلدا، وحبسه عليهم حبسا دائما مخلدا، لا يبدل عن حاله، ولا يغير عن سبيله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين قصد بذلك – نصره الله – وجه الله العظيم، وثواب الدار الآخرة، تقبل الله عمله، وخلد ملكه وبلغ أمله، آمين.

شهد بذلك عليه أدامه الله على لسان كاتبه الفقيه النزيه السيد محمد بن الضاوي الشرعي، وهو بحال كماله في تاسع عشر جمادى الأخيرة عام 1187هـ.(430)

3 – ووقف أيضا جنان بن الحداد الكائن خارج باب الخميس بمراكش بياضه وسواده ومائه المعد لسقيه وكافة حقوقه الداخلة والخارجة عنه، وبما عد منه ونسب إليه على 102 من الطلبة البصري (المكفوفين) والزمنى والعاجزين عن التكسب الملازمين لضريح سيدي أبي العباس الخزرجي،

430) انظر الحوالة العباسية رقم 11 ج 2 بقسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط ص 110 ـ 115 ـ 116 ـ 117.

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ذكر ما حبسه سيدنا ايده الله واعلا كعبه
منشعرفة بمصابيح ظاهرة لا يغفى

حبسان المعارنى على مساكين الجارة خارج باب دكالة احد ابواب مراكش
وعبيد المنازور على جامع ثغر الصويرة خارج الباب المذكور
وحبسان الحعبان على السيد الحعبا وحبسان حسينة
على العقبة البركة سيد العربي بن المعطي وحبسان التي جعلها
على قراءة دلائل الخيرات والحزب القرءانية يوم الجمعة
بضريح سيدنا مولاي على الشريف وسيدي ابي العباس السبتي ومولاي
محمد بن سليمان الجزولي افاض الله على سيدنا من مجرى كرامتهم
ونفعنا بهم وتالبه حبس مع فابر الواد على رباط سيدي شاكر
وعلى جامع سيدي ابي العباس الشرادي والعرصتان المعروفتين
للزمرانيين على جامع سيدي عبد العزيز بن النباع نفع الله به دائما
ونوبة من عبيد الشاطبي بالوبيران قرب عين نفيلح على قراءة
الحزب بجامع سيدي عبد الله بن ساسي تقبل الله من سيدنا عمله
ونفعه الدارين امله بجاه جده الامين عليه افضل الصلاة وازكى التسليم

وذكر أسماءهم وأولهم الفقيه محمد بن عبد الملك الدرعي، وآخرهم السيدة رقية.

بحيث يأخذ النفر المذكور غلل الجنان المذكور، ومستفاده كل عام، للمتزوج : سهمان، وللعزب (الأعزب) سهم واحد.

ومن مات من المحبس عليهم المذكورين، وترك أولادا صغارا عاجزين عن التكسب، فإنهم يأخذون نصيب والدهم المذكور إلى أن يقدروا، فيمنعوا من أخذه، ولو كانوا حاملين لكتاب الله إلا إن كانوا أو أحدهم متصفين بأحد الأوصاف المذكورة، فيأخذونه مستمرا إلى زوال العذر المذكور، ومن دام متصفا بأحد الأوصاف. فيأخذ ذلك إلى زواله أو موته، بعد إخراجه ما يستقام به الحبس المذكور، ويستدام نفعه من خدمة عين مائه، أو بناء حائطه وإصلاح ما لابد لإصلاحه منه.

تاريخ الاشهاد أواسط جمادى الأولى عام 1198هـ.

1 – عبد العزيز بن حمزة.

2 – محمد بن أحمد بن عبد اللطيف.

3 – إبراهيم بن أحمد الزداغي.

تلقيناها مشافهة من سيدنا نصره الله.

4 – **ووقف أيضا العرصة الكائنة بالسهب داخل مراكش،** كلها على ضريح أبي العباس السبتي ليصرف من مستفادها 30 أوقية عن كل شهر مع مستفاد 5 نخلات بوفكَوسات ونخلتين بوسكريتين يعطى ذلك للفقيه مولاي محمد بن أحمد الشريف السجلماسي لأجل قراءته بالضريح المذكور.(431)

---

431) المصدر والجزء السابق أعلاه ص 109.

5 – يضاف إلى ذلك مـا وقفه من جميع النصف من عيني «**امرشيش**» الكبيرة والصغيرة وجميع خمـس نوب من ثماني نـوب المنقسم إليها مـاء عين : «**بوامسمارن**» وجميع نوبـة واحدة غير ربع من ثمان نـوب من عين «**حم علي**» وجميع ما للجانب المذكور ما في «**تظهروين**» خارج باب دكالة من مراكش وجميع الربع من عين «**حم علي**» وجميع ما للجانب المذكور ما في «**العمريين**» بالدبرة من الحماضية «**والشليحات**» و«**الجديدة**» بما علم لذلك كلـه من البياض والسواد، والأشجـار على اختلافها، وتباين أجنـاسها على المائة من الطلبة الملازمين لضريح الـولي الأشهر، الغـوث الأكبر، سيدي أبي العباس السبتي نفع الله به سيدنا ببركته آمين : البصرى – المكفوفين – وغيرهم المعينين الآن بـالضريح المذكور، حسـب ما هـو مـرسوم بيـد قيم الروضة المذكـورة، بحيث يأخذون كل عام مستفاد الأملاك المذكـورة بعدما يصرف في خدمة عيونها، وما يحتاج إليه مما يستدام به نفعها، ويقسم ذلك على السـوية بينهم، ومن مـات منهم وتـرك ذرية ضعـافا يقـومون مقـام والدهم، ويأخذون ما كان يأخذه إلى أن يقدروا على التكسب، وتزول فاقتهم، ومن مات ولم يترك ذريـة كذلك، يكون في موضعـه غيره من طلبة الحضرة المذكورة ممن هـو ضعيف الحال، عاجز عـن التكسب حبسا مؤبـدا، ووقفا مخلدا لا يبدل عن حاله، ولا يغير عـن سبيله، إلى أن يرث الله الأرض، وهو خير الوارثين تقبل الله منه ذلك، آمين.

6 – كما وقف على الطلبـة المذكـورين جميع العـرصتين قـرب بـاب الصالحة في **تخزريت** وثلاث حوانيت في سوق السبطريين.(432)

---

432) انظر كتاب أحباس سيدي محمد بن عبد اللـه، جمع ناظر أحباس مراكش آنذاك : الحاج محمد بن يعكَوب الشركَي مديريـة الوثائق الملكية بالرباط مصورا عن نسخـة خطية بالمكتبة الحسنية بالرباط ص 6 تاريخ وثيقة التحبيس هو 10 شوال عام 1196هـ والكتاب المذكور يشتمل على 89 صحيفة.

ثانيا : بالنسبة لما وقفه على طلبة مكناس :

فقد أنشأ مرتبا لطلبة المدارس بمكناس، كما يتجلى ذلك في الظهير الشريف الذي أصدره لناظر هذه العاصمة في حينه، ونص الظهير كما يلي :

«نأمر ناظر أحباس مكناس الحاج الطيب المسطاسي أن يجعل طلبة باب المراح في المراتب مثل المدارس الست، وهي : مدرسة الدار البيضاء، ومدرسة باب المراح، ومدرسة قصبة هدراس، ومدرسة الصبير، ومدرسة جامع الشاوية، ومدرسة سيدنا ومولانا إسماعيل رحمه الله بحسب سبع أواقي لكل واحد من الطلبة المذكورين في الشهر، ومثقال للمؤذن، وخمس عشرة أوقية للإمام، وخبزة لكل واحد في اليوم عند الزيايتية كما تقدم لك أمرنا بذلك، **ورواتبهم من الأحباس كما هو مرسوم عندك، ولا فرق بين الطلبة المذكورين، فكلهم في ذلك سواء»**.

وأما مدرسة الأوداية، فلا يقبضون إلا الرواتب فقط، كما أمرناك قبل، وأما الخبز، فلا تعطهم شيئا، لأنهم في ديارهم ومع أهليهم، والسلام في 12 شوال من سنة 1193هـ ومن تمامه : أن الخبز المذكور أربعة في الرطل، وكل ما يدفع الزيايتية من الخبز، فأعطهم خط يدك، والسلام».(433)

ثالثا : بالنسبة لما وقفه على طلبة فاس :

وأما بالنسبة لطلبة فاس، فقد وقف عليهم جميع الجنان الكائن بساحة داره السعيدة المعروفة بدار دبيبغ خارج فاس العليا، وإنه وقف على جميع الطلبة المواظبين على القراءة والامامة والأذان بالمسجد الكائن بالدار المذكورة... ويستفاد هذا وغيره من خلال وثيقة الوقف(434) التي تلي عقبه، ونصها :

433) إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 3 ص 247 ـ 248.

434) انظر الحوالة العباسية رقم 11 ص 102.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصبحه وسلم الحمد لله : حبس مولانا الإمام، المظفر الهمام، حامي بيضة الإسلام، وناصر ملة جده عليه أفضل الصلاة، وأزكى السلام : أمير المومنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله العلوي الهاشمي الحسني أحسن الله إليه، وأدام ستره الجميل عليه، وأبقى جوده، وأفاض كرمه وجوده : جميع الجنان الكائن بساحة داره السعيدة المعروفة بدار دبيبغ، خارج فاس العليا الذي غرسه والده المذكور، المشتمل على أشجار التين ودوالي العنب والزيتون، وغير ذلك... المعروف لسيدنا والده هنالك، وشهرته تغني عن حدوده على **جميع الطلبة المواظبين على القراءة والامامة والأذان بالمسجد الكائن بباب الدار المذكورة**، يقسم مستفاده عليهم على السواء، زيادة على المرتب الذي تفضل به سيدنا عليهم.

ومن ذهب منهم كان واجبه للذي يخلفه، تحبيسا مؤبدا، ووقفا مخلدا إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها، ومن بدل أو غير، فالله حسيبه، وسائله، ومتولي الانتقام منه «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

قصد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، والدار الآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا يخيب لراجيه وقاصده أملا، مشهدا أنه جعل ثواب الحبس المذكور لسيدنا ومولانا عبد الله برد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، تقبل الله من مولانا عمله، وبلغه من خير الدارين أمله، وجعله من السعي المشكور، والتجارة التي لا تبور، وجعل - أيد الله أمره - النظر في الحبس المذكور من تعيين عامل يعمل فيه عمل المساقاة بجزء من غلته، عينه مولانا وقدره : الثلث الواحد، ومن القيام بإصلاحه وقبض مستفاده وتفرقته على الوجه المذكور لخديمه الناظر الأجل السيد محمد النقيب الشامي، وبسط مولانا المنصور بالله تعالى يد

الناظر المذكور على حوز الحبس المذكور، فحازه حوزا تاما معاينة فارغا من شواغل المحبس، وأمتعته كما يجب.

شهد على مولانا أيد الله نصره، وهو بأكمل الأحوال، وأعظمها، عارفا قدره، ولا تخفى معرفة مولانا أعز الله أمره، وعلى الناظر المذكور بما فيه عنه، وهو بأكمله وعرفه وانتسابه.

وفي تاسع عشر رجب الفرد الحرام عام سبعة بموحدة وتسعين بمثناة أولا، ومائة وألف.

محمد عبد الله.

وعبد الله. إمضاءان غير مقروءين.

وأنه بتأمل هذه الأوقاف السابقة على الطلبة، نجدكم كان للوقف من دور فاعل في تشجيعهم، وحثهم على المزيد من ألوان الثقافة، وأنواع المعارف.

ولذلك كان المولى محمد بن عبد الله يهتم بالطلبة، ويشجعهم بين الفينة والأخرى، سعيا في نشر العلم وتنميته، وبما أنه كان يقف على الطلبة، فإنه كان يقف أيضا على الفقهاء....

ووقفه على الفقهاء، هو ما سنذكره عقبه في الفرع التالي :

الفرع الثاني

الوقف على الفقهاء

لا يخامرنا أي شك في أن الفقهاء والعلماء كانوا يأخذون من أموال الأوقاف ما يكفل لهم عيشا كريما، وحياة مطمئنة مستقرة، حتى يستطيعوا القيام بواجبهم العلمي، وقد تقدم لنا هذا في العلماء أصحاب الكراسي العلمية، فهم يأخذون ما وقف عليهم، قصد تنشيط الحركة العلمية والثقافية، «ولم يكن العطاء الذي يعطونه خاصا بعلماء الشريعة الإسلامية فحسب، ولكن العطاء كان يتجاوزهم إلى علماء الفلك والرياضيات، ولذلك

كان التنصيص على إعطائهم من قبل المولى محمد بن عبد الله في المنشور الذي أصدره من أجل نظام العدلية وإصلاح الدروس في جامع القرويين، وذلك في معرض الكلام على المدرسين حيث قال في آخر المنشور :

«وكذلك الفقهاء الذين يقرأون الاسطرلاب وعلم الحساب، فيأخذون حظهم من الأحباس، لما في ذلك من المنفعة العظيمة والفائدة الكبيرة لأوقات الصلاة، والميراث، وعلى هذا يكون العمل إن شاء الله، ونأمر الفقيه السيد التاودي أن يكون عمله على ما في هذا الكناش».(435)

وهكذا نستشف ما كان المولى محمد بن عبد الله يقدمه من مكافآت وتشجيعات لرجال العلم، سواء من أمواله الخاصة، أو مما يأمر به من أموال الأوقاف، حتى يتنسى لهم القيام برسالتهم العلمية، خير قيام.

ولم تكن عنايته مقصورة على تشجيعهم فقط، بل كانت عنايته أيضا تشمل الكتب العلمية ونسخها ووقفها حتى يكون العلم ميسرا لكل واحد، ونسخ الكتب ووقفها في عهده هو ما سنعالجه في المبحث التالي :

المبحث الثالث

اهتمام المولى محمد بنسخ الكتب العلمية ووقفها مع وقفه خزانة جده المولى إسماعيل

إن شخصية المولى محمد بن عبد الله كانت لها اليد الطولى في العلوم، كانت هذه الشخصية خلاقة مبدعة في المعارف رغم انشغاله بأحداث وقته، وانشغاله بسياسة بلده التي أخذت منه قسطا كبيرا من الوقت في سبيل تذليلها، وقطعه الطريق على أولئك المشاغبين الذين كانوا يتطاولون على مقاليد الأمور. وبالرغم من ذلك، فقد أعطى عنايته الكاملة، حيث أمر بنسخ

435) الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 62.

الكتب العلمية ووقفها، وهكذا سنـدرس في هذا المبحث اهتمامه بنسخ الكتب ووقفها أولا، ثم وقفه خزانة جده المولى إسماعيل ثانيا، وهو ما سنعالجه في فرعين :

1 – في اهتمام المولى محمد بن عبد الله بنسخ الكتب ووقفها.
2 – في وقفه خزانة جده المولى إسماعيل.

الفرع الأول
اهتمام المولى محمد بن عبد الله بنسخ الكتب ووقفها

إن المولى محمد بن عبد اللـه كان له اهتمام بالغ بـانتقاء الكتب وجمعها ونسخ ما ليس موجودا منها وخاصـة إذا كانت من نوادرها، وإذا ما تم له ذلك، فإنـه يحبسهـا على المكتبـات العلميـة، سـواء كـانت داخل المغـرب أو خارجـه، وقد كان يتخـذ له مهرة مـن الناسخين، مهمتهم الأولى، هي نسخ الكتب التي لها أهمية بالغة.

فقد ذكر الزياني في الترجمانـة الكبرى : أنه لما بلغه أن ولده مولاي علي خليفتـه على فاس اعتنى بسرد كتب التـاريخ والأدب، أمره أن يبعث لـه بما عنده منها بفـاس، فوجهها له، وجمع ما عنـده منها بمراكش إلى أن اجتمع عنده عـدة نسخ من ابن خلدون، وابن خلكـان، وقلائد العقيـان، والأغاني، ونفح الطيب، وتآليف ابن الخطيب وملأ منهـا صناديق ووجهها مع الكاتب الصنهاجي يوقف بعضـها بمصر، وبعضـها بالاسكندرية.(436)

وفي نفس الـوقت كان يجلب مـن بلاد المشرق نـوادر الكتب التي ليست بالمغرب، وهذا ما أشـار إليـه صـاحب الاستقصا بقوله(437) وجلب من بلاد

436) إتحاف أعلام الناس... ج 3 ص 250 ـ 251.
437) الاستقصا ج 8 ص 66.

المشرق كتبا نفيسة من كتب الحديث لم تكن بالمغرب مثل مسند الإمام أحمد، ومسند أبي حنيفة، وغيرهما».

ومن الكتب التي وقفها على خزانة القرويين :

1 - كتاب شرح الخلاصة لابن مالك في النحو، للشاطبي إبراهيم بن موسى أبي إسحاق العلامة المشارك صاحب التآليف الشهيرة، والأبحاث الدقيقة المتوفى يوم الثلاثاء من شعبان سنة 790هـ.(438)

2 - كتاب حاشية على عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، لليوسي الشيخ الحسن بن مسعود بن علي الإمام المحقق المتوفى سنة 1102هـ.(439)

3 - كتاب الحواشي المفهمة لشرح المقدمة، لابن الجزري أبي بكر أحمد بن مجمد بن محمد بن محمد وقد حبسه بتاريخ 1175هـ.(440)

4 - كتاب الجمهرة في اللغة، لابن دريد محمد بن الحسن أبي بكر المتوفى سنة 321هـ وقد حبسه سنة 1175هـ.(441)

5 - كتاب ديوان الأدب على نمط كتب الأفعال المؤلفة في الموضوع، وقد حبسه عام 1175هـ.(442)

6 - كتاب المصابيح اللوامع على شرح جمع الجوامع... وقد حبسه بتاريخ 1175هـ.(443)

7 - كتاب حاشية على تفسير الكشاف لعمر بن عبد الرحمن البهباتي الكناني القزويني الفارسي سراج الدين المتوفى سنة 745هـ، وقد حبسه عام 1175هـ.(444)

---

438) انظر فهرس مخطوطات خزانة القرويين ج 2 ص 27.
439) انظر نفس المرجع والجزء أعلاه ص 360.
440) انظر نفس المرجع والجزء أعلاه ص 172.
441) انظر نفس المرجع أعلاه ج 3 ص 305 ـ 306.
442) انظر نفس المرجع أعلاه ج 3 ص 308.
443) انظر نفس المرجع أعلاه.
444) انظر نفس المرجع أعلاه ج 1 ص 90.

3

ولوائح الكلام وسماحة شريعته ووضوح أصول المتقنين المكثرين بتفضيل
أمته زادها الله شرفا على الأمم السابقين وبكون أصحابه رضي الله عنهم خير
القرون الكائنين وبتركهم كلهم من غير تنقيص بعدالتهم رضي الله عنهم أجمعين وبجعل علماء
المسلمين ركنا لإجماع أمته حجة مقطوعا بها كالكتاب والسنة وأفعال
أصحابه للشريعة من تحريف الجاهلين عند الخطاء المختلفين
... زاده الله شرفا على حفظ شريعته وتدوينها ولطائف
المستنبطين ولنفي عن الخلاف المتقنين والاجتهاد وتبيين
والتعبد ... احتسابا بالرضا رب العالمين وللمبالغة في البحث عن
تواضع الأدلة ... والمستمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر
النبيين وآل كل وصحابتهم والتابعين وسائر عباد الله الصالحين
... في أقواله وأعماله وسائر أحواله مخلصين ...
... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا بوحدانيته
... وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى
... صلوات الله وسلامه عليه
وعلى آله وأصحابه وعترته ... أما بعد فإن الاشتغال بالعلم من أفضل القرب
... أنواع الخير وآكد العبادات وأولاها ...
الأوقات ... والتكريم ... وما ...
به ... الخيرات وسائر ... التجارة ... ظاهر علمها
... الكرامات والأحاديث الصحيحة ...
رضي الله عنهم ... الخيرات ...

هذا جزء من شرح النووي على مسلم وهو من تحبيس سيدي محمد بن عبد الله الملك العلوي
على خزانة الجامع الأعظم من مكناسة في جمادى الثانية عام 1195هـ

8 – كتاب عارضة الأحوذي على كتاب الترمذي، لمؤلفه المعافري أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المتوفى سنة 543هـ وقد حبسه عام 1175هـ.(445)

9 – كتاب أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، لابن حجر شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي المكي الهيثمي السعدي الأنصاري المتوفى سنة 974هـ، وقد حبسه على مدرسة فاس العليا بتاريخ فاتح سنة 1167هـ.(446)

10 – كتاب تنبيه الأنام في بيان علوم مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، أو شفاء الأسقام ومحو الذنوب والآثام في الصلاة على خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، لابن عظوم عبد الجليل بن محمد المرادي، وقد حبسه عام 1180هـ.(447)

11 – كتاب التقييد على تهذيب البراذعي، للزرويلي أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحق المعروف بالصغير المتوفى سنة 719هـ، وقد حبسه عام 1175هـ.(448)

12 – كتاب النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات، لابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة 386هـ، وقد حبسه عام 1175هـ.(449)

13 – كتاب تحرير المقالة في شرح الرسالة، للقلشاني أحمد بن محمد بن عبد الله التونسي المتوفى سنة 863هـ.(450)

14 – كتاب تحقيق المباني، وتحرير المعاني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأبي الحسن علي بن محمد الشاذلي المتوفى سنة 939هـ وقد حبسه سنة 1175هـ.(450)

---

445) انظر نفس المرجع والجزء أعلاه ص 198.

446) انظر نفس المرجع والجزء أعلاه ص 273.

447) انظر نفس المرجع والجزء أعلاه ص 299.

448) انظر نفس المرجع والجزء أعلاه ص 315.

449) انظر نفس المرجع والجزء أعلاه ص 330.

450) انظر نفس المرجع والجزء أعلاه ص 381.

تلكم كانت نماذج من الكتب التي وقفها المولى محمد بن عبد الله، هذا إضافة إلى ما وقفه من كتب جده المولى إسماعيل، وهو ما سنعالجه في الفرع التالي :

الفرع الثاني

وقف المولى محمد بن عبد الله خزانة جده المولى إسماعيل

نظرا لما للمولى محمد بن عبد الله من حب للمعرفة، وحرص على نشرها وتيسيرها للخاص والعام، فقد ارتأى رحمه الله أن يقف خزانة جده المولى إسماعيل، هذه الخزانة التي كانت بدويرة الكتب من مكناس، وقد أمر بذلك سنة 1175هـ، وكانت تزيد على الاثني عشر ألف مجلد، فرقها على جميع مساجد المغرب، ولا تزال بقاياها موجودة إلى الآن.(451) ومن المعلوم، أن هذه الخزانة قد اشتملت على نوادر المخطوطات التي قل نظيرها.

ولعل مما اشتملت عليه هذه الخزانة من الكتب ما كان ربما قد تسلمه في مقابل فك أسارى النصارى من الاسبان وغيرهم.

ومن المفيد، أن نشير إلى ظهير المولى إسماعيل الذي وجهه إلى ملك الاسبان في افتكاك بعض الأسارى، وانتقاء بعض الكتب، ومن بين ما ورد في الظهير المذكور ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم من عبد الله إسماعيل المتوكل على الله المفوض أموره إلى الله أمير المومنين المجاهد في

451) انظر الإتحاف ج 3 ص 250.

سبيل رب العالمين... إلى عظيم الروم وملك أقاليم إسبانيا وبلاد الهند، والمتولي أمورها، والمتصرف في أقطارها (درنكرلوس) السلام على من ابتع الهدى.

أما بعد، فقد بلغنا كتابكم صحبة خديمكم (دون منويل بيردلون) وخديمكم (دون أفيل مسيح) وهو الكتاب الذي وجهتم لنا جوابا عن كتابنا الذي أصدرناه إليكم ووصلكم صحبة الفرايلي قبل هذا إلى أن قال : بعد كلام طويل : وذلك أن تعطونا في الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة آلاف كتاب، مائة كتاب عن كل نصراني من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائنهم بإشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، وما والاهم - وما والاها - من المدن والقرى، حسبما يختارها خديمنا المذكور من المصاحف وغيرها، وتعطونا خمسمائة أسير من المسلمين في الخمسين الأخرى : عشر أسارى لكل نصراني، وان لم توجد الكتب التي هي مرادنا فاجعلوا عوضها من أسارى المسلمين، وأعطوهم لنا من الأسارى الذين في الأغرية وغيرهم...(452)

ولا شك، أن وقف هذه الخزانة على مساجد المغرب كان له أثر وأي أثر في نشر الثقافة وجعلها متيسرة أمام طلاب المعرفة، وأمام العلماء الرواد في جميع أنحاء المغرب، لأنها وقفت - كما سبق القول - على جميع مساجد المغرب.

والمساجد، هي منتديات الفكر الإسلامي، ومراكز الإشعاع العلمي، والمعرفي.

وهكذا نتبين مدى أهمية وقف الكتب العلمية في سبيل الحصول على المعرفة، والتمكن من الأخذ بنواصيها.

---

452) المرجع أعلاه ج 2 ص 63 ـ 66.

وإذا كان المولى محمد بن عبد الله قد وقف الكتب العلمية لتنوير العقول والأذهان، فإنه لم ينس أن يقف على بيوت الله المقدسة وعلى غيرها، ووقفه على هذه البيوت، هو ما سنتعرض له في المبحث التالي :

المبحث الرابع

وقف المولى محمد على الحرمين الشريفين، وعلى غيرهما

إن المولى محمد بن عبد الله لم يكن يقتصر في وقفه على المغرب فحسب، وإنما كان يقف أيضا على بيوت الله المقدسة في المشرق.(453)

وإذا كانت إرادته قد تعلقت بالوقف على بيوت الله المقدسة من الحرمين الشريفين وغيرهما، فإن هذا التعلق ربما حصل له عندما ذهب إلى الحج سنة 1143هـ مع جدته لأبيه العالمة لالة خناثة بنت بكار وهو ما يزال طفلا صغيرا، لذلك وقف عليها وهو كبير، ومن الممكن أن يكون قد تأثر بجدته هاته التي وقفت عدة أوقاف على مكة لما دخلت إليها في موسم الحج للسنة المشار إليها أعلاه.

لذلك سنتعرض لوقفه على كل من مكة والمدينة أولا، ثم على وقفه على بعض مساجد مكناس ثانيا : وهو ما سنعالجه في إطار الفرعين التاليين :

1 – في وقفه على الحرمين الشريفين.

2 – في وقفه على بعض مساجد مكناس.

الفرع الأول

وقف المولى محمد بن عبد الله على الحرمين الشريفين

بالرجوع إلى الحوالة العباسية، نجد فيها وثيقتي وقفيتين تتعلقان بوقف المولى محمد بن عبد الله على أهل الحرمين الشريفين :

---

453) انظر الإتحاف ج 3 ص 248 و 250.

الوثيقة الأولى : تنص على وقفه مبلغ 2000 دينار ذهبا، و6000 ريال فضة، كما تنص على أنه يعطى مبلغ : 6000 ريال لأهل الحرمين من مستفاد الثغور الأربعة : الصويرة، الرباط، العرائش، وطنجة، كما يعطى لهم مبلغ 2000 دينار من مستفاد مرسى تطوان، وتشير إلى إعطاء كل من أهل المدينة ومكة 2000 دينار ذهبا، ألف لكل واحدة منهما، حيث أوضحت أن المبلغ المذكور، يصرف على كل من له وظيفة بالمسجد النبوي، أو بيت الله الحرام من أعوان، وأئمة، ومدرسين، ومؤذنين، وفراشين، ووقادين، وغيرهم من ذوي الوظائف، كل على قدر مرتبته، وأول من يعطى له : الطلبة الذين يقرأون المصحف.

كما بينت أنه يعطى لأهل المدينة ومكة مبلغ : 6000 ريال فضة، حيث توزع عليهم كما يلي :

1 – بالنسبة للمدينة المنورة :

تنص الوثيقة المذكورة على صرف مبلغ 1800 ريال لأهل البقيع، حيث تدفع للشيخ السمان أو من يقوم مقامه من بعده، فيعين هذا 25 طالبا، 20 منهم يقرأون سورة الإخلاص 100 مرة في اليوم لكل واحد، كما يقرأون الصلوات 100 مرة في اليوم في ناحية من نواحي البقيع الأربع، و5 منهم يقرأون دلائل الخيرات فيه أيضا، فيعطى كل وحد من 25 طالبا 5 ريال يوميا، حيث يهدون ثواب ذلك لأهل البقيع.

كما نصت على أن يدفع للشيخ السمان، أو لمن يقوم مقامه من بعده : 500 ريال تودع عنده إلى موسم الرجابية لضريح سيدنا حمزة، حيث يدفع منها للذين يقرأون المصاحف ودلائل الخيرات لسيدنا حمزة : 200 ريال و300 ريال الباقية عنده أمانة يصنع بها طعاما يأكله كل من حضر موسم الرجابية، وعند الختم يصرفون ثواب ذلك لسيدنا حمزة وكافة شهداء أحد.

كما أوضحت أنه يدفع لقاضي المدينة وأمنائها : 500 ريال... إلى ليلة المولد النبوي للقارىء في مدح الرسول ﷺ في الروضة الشريفة من بردة وغيرها : 200 ريال، وما بقي يشترى به حلوى وغيرها من المطاعم الشهية، ويطعم ذلك للعلماء وغيرهم من أهل باب السلام وغيرهم، وكل من حضر الموسم.

كما يدفع كذلك لأضرحة أزواج النبي ﷺ 100 ريال يعطى منها الحظ الأوفر للقيمين على الأضرحة المذكورة : الحظ الأوفر من 100 ريال، والباقي يفرق بها في سيدنا عثمان.

ولضريح مولاتنا عائشة : 100 ريال تدفع لوكيل البكريين بضريحها.

ولذوي المسجد النبوي : 400 ريال يقسمونها بينهم على السواء، زيادة على حظهم في ألف دينار.

ويدفع للشيخ محمد السمان : 200 ريال، إعانة له على ما كلفه به سيدنا المنصور بالله من القيام بذلك الوظيف، وتستمر له ولعقبه من بعده فيه إذا اتبعوا منهجه، وأن لا تدفع لرواق سيدنا عثمان (ض).

ولبيت الأنصار بالمدينة 50 ريالا، فإن انقرضوا، ترجع لرواق سيدنا عثمان، ولرباط مولانا عبد القادر الجيلالي رضي الله عنهما.

– ويفرق شيخ الركب والأمناء : 1000 ريال على الفقراء والمساكين برواق سيدنا عثمان ورباط مولاي عبد القادر الجيلالي بحيث يستوعبون به فقراء المدينة الذين هناك، وتكون تفرقة آلالاف المذكورة بالليل والنهار متى أمكنهم.

ولمسجد قباء ومدرسته : 100 ريال، هذا بالنسبة إلى المدينة المنورة.

2 – **أما بالنسبة لمكة المكرمة،** فقد نصت الوثيقة المذكورة على إعطاء **أهل مكة 1000 دينار من مرسى تطوان،** ومن الريال 100 ريال من مستفاد **الصويرة من سكة سيدنا.**

ومصرف الذهب المذكور يدفعه شيخ الركب النبوي لشيخ بني شيبة وشيوخ المذاهب الأربعة، ثم يأخذ منهم شيخ الركب 100 مطبوع بمحضرهم فيدفعها لشريف مكة، و900 دينار الباقية يصرفونها على الوظائف بالبيت الشريف من أئمة، ومدرسين، ومؤذنين، وفراشين، ووقادين، وغيرهم من كل من له وظيفة، على قدر مرتبته.

وان بقيت بقية - ان ظهر لهم - يفرقونها على الفقراء والمساكين الملازمين للبيت الحرام.

ومصرف 100 ريال لضريح مولاتنا خديجة (ض) يعطى منها القيم على ضريحها الحظ الأوفر، والباقي يصرف على النساء الفقيرات بمكة المشرفة.

ولشرفاء الينبوع 500 ريال.

وللبكريين والعمريين والوفائيين 100 ريال للفريق، بحيث يجب لهم جميعا 300 ريال.

ولأبي العباس السبتي، وأحمد زروق، وأحمد البدوي : 150 ريال، لكل واحد منهم.

ولضريح الشافعي 100 ريال...

تاريخ الاشهاد على المولى محمد بن عبد الله في ذلك هو 26 صفر عام : 1190هـ، والشاهدان هما :

1 - العلامة العباس المازوني.
2 - العلامة الحاج علي اطويراط.

تلكم كانت أهم مشمولات وثيقة الوقف الأولى الواردة في الحوالة العباسية.

والوثيقة الثانية : تنص على وقف المولى محمد بن عبد الله ثلاثة فنادق على المدينة المنورة، وهي :

1 – **فندق الصاغة بفاس**، وقد وقفه على مقعدي المدينة المنورة يقسم مستفادها عليهم كل عام بالسوية.

2 – **فنـدق أعشيش من فـاس**، وقد وقفـه على العمي بالمدينـة المنورة أيضا، يقسم مستفاده عليهم بالسوية.

3 – **فنـدق النجارين بفـاس**، وقـد وقفـه على المجـاورين بها من سجلماسة، وأهل العلم والطلبة الشناكَـطة والاماء الثلاث إلى آخر ما ورد في هـذه الـوثيقة من تفصيل للمستفيـدين من وقف هـذا الفنـدق، فلتراجع في الوثيقة الوقفية المذكورة والموجودة بالحوالة العباسية ج 2 رقم 11 ص 102. فهي هامة، تاريخ الوثيقة 10 جمادى الثانية عام 1189م.

وبإمعـان النظـر في الـوثيقتين المذكـورتين، نـلاحظ فيما اشتملت عليـه الوثيقة الوقفية الأولى : الوقف على **المدرسين، والطلبة، زيادة على الموقوف** عليهم من الوجهة المجتمعية أو الإنسانية.

كما نلاحظ فيما اشتملت عليه الوثيقة الوقفية الثانية أن المولى محمد بن عبـد الله وقف على المجـاورين في المدينة المنـورة من أهل **سجلماسة وأهل العلم والطلبة الشناكَـطة**، مثلما وقف فيها على ثـلاث إماء وعلى غيرهن، مما يدل دلالة واضحة على أن المولى محمـد بن عبد الله كان يهدف في غالب أوقافه إلى مساندة **أهل العلم وطلبته والنهوض بهم نحو مستقبل ثقافي، ونحو توجههم المعرفي بشكل واسع النطاق.**

ولم يكن المولى محمـد بن عبــد اللــه قـد اقتصر في وقفـه على الحرمين الشريفين على هاذين الـوقفين وإنما وقف عليهما أيضا نصف زيتون غـابة حمريـة بمكنـاس، حيث جعل ثلثيـه للمدينـة المنـورة، والثلث البـاقي لمكـة المشرفة.(454)

---

454) انظر الحوالة العباسية رقم 11 ج 2 ص 102.

وإذا كانت لـه هذه الالتفـاتة الكـريمة نحـو الحرمين الشريفين، فإن له نفس الالتفاتة إلى بيوت الله في المغرب، ومن ذلك : وقفه على المسجد الأعظم بمكناس بـاعتباره مركزا علميـا من جهة، ومن جهة أخرى بـاعتباره مصلى المسلمين، وهذا ما سنوجزه في الفرع التالي :

الفرع الثاني

وقف المولى محمد بن عبد الله على المسجد الأعظم بمكناس

لقد سبق القول بأن المسجد الأعظم بمكنـاس وغيره من مساجدها، كان موئلا لطلبـة العلم، وكانت تدرس فيـه مختلف المواد العلمية، وكـان الوقف يقوم فيه بدور فاعل في تنشيط الثقافة والسير بها نحو توسع أفضل، لذلك، فـلا عجب أن نرى المولى محمـد بن عبـد اللـه يقف عليه أوقـافـا من أجل استمراريته في العطاء المعرفي للقاصي والداني من رواد العلم، ومن بين أوقافه على هذا المسجد : وقفه نصف زيتون غابة حمرية عليه، يخرج منه كل سنة ثلاثـة عشر مائة مثقال وستـون مثقالا(455) كما وقف جنـان ابن حليمـة وعرصة الشطـرنجية والعرصة الجديدة حـذوها، المعروفة بـالبحراوية على المسجد الأعظم، ونص وثيقة هذا الوقـف هو كما أشار إليه صاحب إتحاف أعلام الناس بقوله :

«الحمد للـه حبس مولانـا الإمام، السلطـان المؤيد الهمام، نـاصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، صدر الأفاضل المقدام، علم الاعلام، وابن سيد الأنام، العلامة الشهير، الدراكة النحرير، صاحب الفتوحات الإلاهية والمواهب الربانيـة الذي أشرق الوجود بكريم محيـاه، أمير المومنين سيدي محمد ابن أمير المومنين مولانـا عبد اللـه ابن السلطان الجليـل، الماجد الأثيل، مـولانا إسماعيل، أدام الله عزه ونصره وخلد في الصـالحات ذكره : جميع جنان ابن

455) انظر الإتحاف ج 3 ص 248.

حليمة وجميع عرصة الشطرنجية وجميع العرصة المجاورة لها والجميع داخل القصبة السعيدة على المسجد الأعظم من مكناس، تحبيسا مؤبدا، ووقفا مخلدا إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها، وهو خير الوارثين، ومن بدل، أو غير، فالله حسيبه، وولي الانتقام منه، تقبل الله من مولانا عمله، وبلغه سؤله وأمله، وبسط للناظر الأحظى السيد الحاج الطيب ابن السيد أبي القاسم المسطاسي، يد الحوز على ذلك، يتصرف فيه للحبس المذكور من بيع غلته وعلاجه مهل رمضان عام ثلاثة ومائتين وألف».(456)

وهكذا نخلص إلى القول : أن المولى محمد بن عبد الله كان قمة فيما تركه من أوقاف لا على الناحية الثقافية فحسب، وإنما كانت له أوقاف تستهدف النواحي الدينية والمجتمعية معا، كوقفه فندق السلطان بمكناس بتاريخ 24 ربيع الأول عام 1189هـ بإشهاد محمد التاودي ابن الطالب ابن سودة، ويوسف بن محمد البوعناني وخطاب القاضي محمد العربي بن علي القسمطيني الحسني... وكوقفه جنان باب القزدير بتاريخ 5 ذي القعدة عام 1190 حسب ما بظهير أصدره للقاضي أبي حامد العربي القسمطيني، وناظر الأحباس الحاج الطيب القسمطيني، طبقا لما بصحيفة 17 من الجزء الأول من حوالة كبرى مكناس.

وبهذه النظرة الوجيزة في أوقاف المولى محمد بن عبد الله، نترك الكلام عنها، لننتقل إلى الكلام على دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد ولده المولى هشام، وهو موضوع الفصل التالي :

---

456) الإتحاف ج 3 ص 241.

الفصل الثاني

دور الوقف في الحياة الثقافية في
عهد المولى هشام بن محمد بن عبد الله :
1206 – 1211 هـ / 1792 – 1796 م



الفصل الثاني

دور الوقف في الحياة الثقافية

في عهد المولى هشام بن محمد بن عبد الله

1206 - 1211 هـ / 1792 - 1796 م

لا شك أن الحياة الثقافية في عهد المولى هشام بقيت مستمرة العطاء المعرفي، يدعمها في هذا الاستمرار : الوقف الذي أضحى دعامة قوية لمساندتها كما أن الكراسي العلمية والمجالس العلمية كذلك بقيت منتعشة، وآخذة في مسارها المرسوم لها.

لذلك سنسوق نموذجا عن كرسي من هذه الكراسي، ونعقبه بما يوقف عليه من أوقاف، ثم سنتعرض لوقف المولى هشام على ضريحي أبي العباس السبتي، وسيدي امحمد بن سليمان الجزولي، وسنعالج الكلام عما ذكر في إطار مبحثين :

1 - في دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى هشام بن محمد ابن عبد الله.

2 - في الوقف على ضريحي أبي العباس السبتي، وسيدي امحمد ابن سليمان الجزولي.

المبحث الأول

دور الوقف في الكراسي العلمية

في عهد المولى هشام بن محمد بن عبد الله

إن الوقف ظل يمد الحياة الثقافية بما فيها الكراسي العلمية بألوان من العطاء في عهد المولى هشام.

ومن النماذج في الكراسي العلمية التي استمرت في العطاء المعرفي في هذا العهد : كرسي ظهر الصومعة بجامع القرويين، وهذا الكرسي هو الذي قال

عنه فضلية الأستاذ محمد المنوني : إنه كرسي التفسير، وممن كان يدرس عليه أيام هشام بن محمد بن عبد الله : أبو عبد الله محمد التاودي بن محمد الطالب ابن سودة المتوفى عصر يوم الخميس 29 حجة عام 1209م / 1793م وكان يقرىء بين العشائين في أشهر الشتاء خاصة، وربما زاد عليها على حد تعبير «الروضة المقصودة».(457)

وقد تحدث عنه الدكتور التازي بقوله :

«... والواقع أن هذا الكرسي كان محل تعاقب من السادة العلماء على ما يظهر، لأنه كان كرسيا للتفسير أحيانا، وللفقه أحيانا، وللتاريخ والسيرة تارة، وللوعظ تارة أخرى.

وقد خصصت له أوقاف ليدرس عليه صحيح الإمام البخاري، ورسالة ابن أبي زيد، وتفسير القرآن، للثعلبي (427هـ) وحلية الأولياء، لأبي نعيم (430هـ) والشفا، لعياض (544هـ) والتحبير، للسمعاني (615هـ) والاكتفاء، للكلاعي (634هـ) والحكم العطائية (709هـ) والروض الفائق، للحريفش (801هـ) والتسهيل والتقريب، للرصاع (894هـ) «وسائر الكتب الأخرى التي كانت موقوفة على كرسي المحراب، بحيث كان هذا هنا يوازي ذاك هناك».(458)

ومن أوقاف هذا الكرسي : ما ورد في الحوالة الجديدة لأحباس فاس(459) حيث نصت على ما يلي :

- حانوت برأس علون، وهي الثانية عن يسار الخارج من الزنقة التي تقابل الحجام.

- حانوت بالبرادعيين من الصاغة.

- ربع أصل رحى بالمخفية، وهي الأولى عن يسار الداخل للحومة المذكورة.

457) مجلة دعوة الحق العدد 5 السنة التاسعة ذو القعدة 1385هـ / مارس 1966 ص 93.

458) جامع القرويين ج 2 ص 376 ـ 377.

459) رقمها 12 ص 16 توجد بقسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

- حانوت برحبة التبن كانت للغسال في القديم.
- ربع رحى بجنان الحارة.
- حظ من حانوت ثانية عن يمين الخارج من باب الحزامين مارا لناحية مدرسة العطارين.
- دار بدرب سيدي العواد.
- قصريتان بدار الدبغ من جرنيز سيد ابن منصور.
- حانوت بحارة قيس أولى عن يمين الخارج من زنقة العكريين، طالعا لناحية الشهود.
- حانوت أولى عن يمين الخارج من زنقة فطيمة، مارا للملاحين.
- نصف خزانة بدار الدبغ من جرنيز سيد القباب.

نصف العريصة بالمرج خارج باب المسامريين بزنقة حجامة تجاور جنان الطاهرين في شركة أربعة من الطلبة الذين يقرأون سورة الكهف بعد صلاة الجمعة بعنزة القرويين بما فيها حظ قدره : 3/10 و3/8 العشر و3/8 و1/2 ثلث ثلث العشر من جلسة الحانوت الثالثة، يسرة المنعطف من البراطليين للفراشين من تحبيس الحاج علي بن الحاج محمد القطان على توريق الحلية بعد أذان العصر بكرسيها أعلاه حسب ما برسم تحبيسها بالحوالة الإسماعيلية.

ومن خلال جرد هذه الأوقاف، نتبين كم كان الوقف ينعش الثقافة ويساعدها على التنمية باستمرار.

وإذا علمنا هذا عن دعم الوقف الكراسي العلمية، فماذا عنه في دعم ضريحي أبي العباس السبتي، وسيدي ابن سليمان الجزولي ؟ والجواب عن هذا التساؤل، هو موضوع المبحث التالي :

المبحث الثاني

الوقف على ضريحي أبي العباس السبتي، وسيدي امحمد ابن سليمان الجزولي بمراكش

قديما قيل : «إن الولد سر أبيه» :

وطبقا لهذه القولة، نجد المولى هشام يسير مسار أبيه في الاهتمام بهذين الضريحين، نظرا لجلالة ساكنيهما، وهما الشيخان العارفان بالله أبو العباس السبتي، وسيدي امحمد بن سليمان الجزولي.

وبالرجوع إلى الحوالة الجزولية(460) نجدها تحتفظ لنا بوثيقة وقفية تكشف لنا عن هذا الوقف، فقد ورد فيها ما نصه : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

من عبد الله هشام كان الله له.

ليعلم الواقف على كتابنا هذا أعزه الله من خدامنا وولاة أمرنا.

حبسنا الجنان المنسوب لبيت مال المسلمين عمره الله المعروف بـ : «أكيوض» المجاور لجبل جليز خارج باب دكالة أحد أبواب مراكش، عمرها الله على ضريحي القطبين الوليين سيدي ومولاي امحمد بن سليمان وسيدي أبي العباس السبتي – نفعنا الله بهما – أنصافا بينما تصرف غلته في مصالحهما بجميع ما له من البياض والسواد وما عد منه، ونسب إليه، تحبيسا تاما، وأذنا للواقف – لعله : لناظري الوقف – بحوزه، وحازاه.

تقبل الله منا ذلك، ومن بدل، أو غير، فالله حسيبه، والسلام.

صدر الأمر الشريف منا في السابع والعشرين من شعبان سنة 1211هـ.

وإذا قارنا بين المولى هشام، وأبيه المولى محمد بن عبد الله، نجد بينهما بونا شاسعا، أو غيضا من فيض، كما يقول المثل العربي.

وهكذا نكتفي بهذا عن المولى هشام، لننتقل، بعده إلى دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد أخيه المولى سليمان، وهو موضوع الفصل التالي :

---

460) الحوالة السالفة أعلاه رقم 12 ص 16 توجد بقسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

الفصل الثالث

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى سليمان :

17 رجب 1206 – 14 ربيع الأول 1238 هـ

فبراير 1792 / 29 نونبر 1822 م



الفصل الثالث

دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد المولى سليمان :(461)

17 رجب 1206 – 14 ربيع الأول 1238 هـ / فبراير 1792 / 29 نونبر 1822 م

سنتعرض في هذا الفصل إلى مدى اهتمام المولى سليمان بالأوقاف وعنايته بها، مع إيراد لائحة تضم مجموعة من العلماء المعاصرين له في المغرب ضمن نظرة عامة، كما سنتعرض إلى دور الوقف في الكراسي العلمية في عهده، ووقفه على سير مسجد الرصيف بفاس، ووقفه كتبا أيضا على بعض الخزانات العلمية، حيث سنعالج كل ذلك في ثلاثة مباحث :

1 – في دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى سليمان.
2 – في وقفه على سير مسجد الرصيف بفاس.
3 – في وقفه كتبا على خزانة مسجد الرصيف، وعلى غيره.

نظرة عامة :

حول اهتمام المولى سليمان بالأوقاف مع إيراد لائحة لعلماء عاصروه بالمغرب :

إنه من الثابت تاريخيا : أن ظهور الدولة العلوية كان عاملا قويا على الالتفات إلى جهاز الأوقاف، هذا الجهاز الذي تعتمد عليه لتكوين أطرها السياسية والقضائية والتوجيهية، وغيرها.(462)

---

461) ولد عام 1180هـ / 1766 ـ 1767م وبويع له بفاس بالضريح الإدريسي يوم السبت 17 رجب عام 1206هـ / 11 فبراير 1792م وتوفي في 14 ربيع الأول عام 1238هـ / 29 نونبر 1822م وكان الذي تولى كتب البيعة له العلامة التاودي ابن سودة المري هـ الدرر الفاخرة ص 67 ـ 68.

462) جامع القرويين ج 3 ص 704.

وإنه ما إن بويع المولى سليمان، حتى أخذ في الاعتناء به، اعتناء فائقا، حتى لتخال أن جهوده كلها صرفت في ذلك، شأنه في ذلك، شأن من سبقه من الملوك العلويين الذين تركوا بصماتهم في هذا المجال... فأمر بجمع حوالة تضم مختلف الأوقاف السائدة في ذلك العهد، وذلك سنة 1219هـ فإذا بها تبدو من أجمل الحوالات الوقفية القروية وأدقها، إن لم تفقها، وأصبحت تدعى الحوالة السليمانية، وكان الناظر في عهده الحاج عبد النبي بنيس.

ومن الملاحظ في هذه الحوالة أنها تنص على كونها تعتمد على حوالة قديمة من عام 994هـ، وقد اهتمت بالتمييز بين ما خصص للقرويين، وما خصص للمارستان.(463)

وقد كان من بين ما تناولته هذه الحوالة : الكلام على الكراسي العلمية، وكل ما يتعلق بدور الوقف في الحياة الثقافية والمجتمعية، كما ورد فيها ذكر لأسماء بعض العلماء الذين أسهموا بحظ وافر في النشاط الثقافي وتنميته، سواء كان ذلك في جامع القرويين بفاس، أو في غيره من الجوامع الأخرى، مما يدعونا إلى إيراد لائحة لعلماء معاصرين للمولى سليمان، ومن بين هؤلاء العلماء :

1 - العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد التاودي بن الطيب ابن سودة المتوفى سنة 1209هـ.

2 - العلامة الشيخ أبو الحسن علي ابن أويس الحصيني الفاسي المتوفى سنة 1213هـ / 1729م.(464)

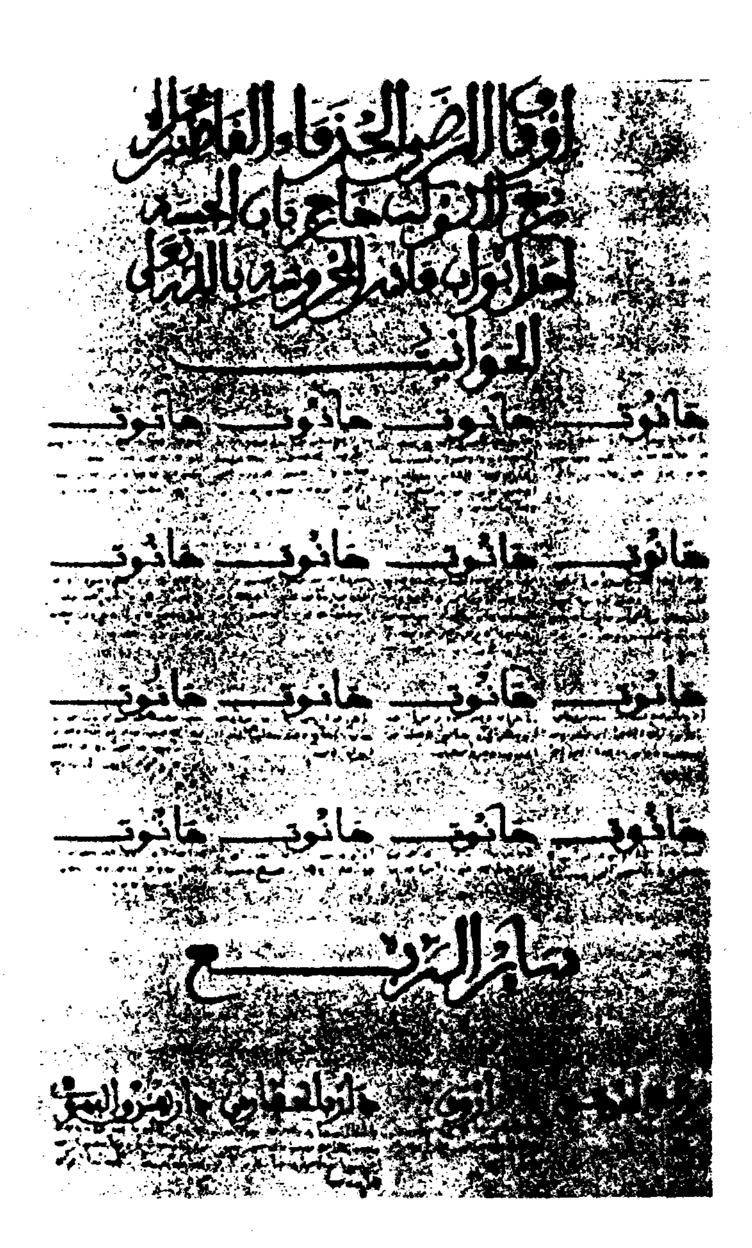
3 - العلامة السفير محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي المتوفى سنة 1213هـ.(465)

---

463) نفس المرجع والجزء الأول ص 707.

464) تاريخ الضعيف، لمحمد الضعيف الرباطي ص 244 نشر دار المأثورات الطبعة الأولى 1406/1986.

465) جامع القرويين ج 3 ص 805.



الحوانيت

حانوت حانوت حانوت حانوت

حانوت حانوت حانوت حانوت

حانوت حانوت حانوت حانوت

حانوت حانوت حانوت حانوت

الحوالة السليمانية لعام 1219هـ
من أجمل الحوالات التي اكتسبتها القرويين عبر تاريخها

4 – العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بنيس الحيسوبي الماهر في علم الفرائض المتوفى سنة 1214هـ.

5 – العلامة الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي المتوفى سنة 1214هـ.(466)

6 – العلامة الفقيه أبو عبد اله محمد بن علي بن زاكور المتوفى سنة 1214هـ.(467)

7 – العلامة القاضي الصيدلي عبد القادر بن شقرون المتوفى سنة 1219هـ.

8 – العلامة القاضي أبو عبد الله محمد بن الطاهر الهواري المتوفى سنة 1220هـ وهو من أساتيذ المولى سليمان.

9 – العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن العربي الزعري المتوفى سنة 1224هـ.

10 – العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن عجيبة المتوفى سنة 1224هـ.

11 – العلامة الشيخ المفتي محمد بن محمد بن الحسن الجنوي المتوفى سنة 1224هـ.

12 – العلامة الفقيه أبو المواهب الشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران المتوفى سنة 1227هـ وهو من أساتيذ المولى سليمان.(468)

13 – الفقيه القاضي عبد الرحمن بن سعيد بن طريفة المتوفى سنة 1227هـ.

14 – العلامة الشيخ إدريس زيان العراقي المتوفى سنة 1228هـ.

---

466) الإتحاف ج 4 ص 159 ـ 168 توفى في مراكش الحمراء بالوباء العام بحواضر المغرب..

467) جامع القرويين ج 3 ص 806.

468) جامع القرويين ج 3 ص 807.

15 – الفقيه المؤرخ أبو زكرياء يحيى بن المهدي الشفشاوني المتوفى سنة 1228هـ.(469)

16 – الفقيـه المؤرخ أبو محمـد عبـد السـلام بن عبد اللـه بن الخيـاط القادري المتوفى سنة 228هـ.(470)

17 – الفقيه العلامة الصالح علي بن ريسون المتوفى سنة 1229هـ.

18 – العـلامـة الفقيـه العـربي بن أحمد ابن سـودة المتـوفى سنـة 1229هـ.(471)

19 – العلامة الفقيـه أبو عبد الله محمد بن عمرو الـزروالي المتوفى سنة 1230هـ وهو من أساتيذ المولى سليمان.(472)

20 – العلامـة الفقيه أبـو عبد الله محمـد بن هنو اليـازغي الفاسي دارا ومنشأ المتوفى سنة 1231هـ.(473)

21 – العلامـة الفقيه أبو عبد اللـه محمد بن أحمد بن يوسف الـرهوني المتوفى سن (1230هـ.

22 – العـلامـة الفقيـه أبـو الـربيـع سليمان الحوات المتـوفى سنـة 1231هـ.(474)

23 – العـلامـة الشيخ أبـو الفيـض حمدون بن عبـد الـرحمن السلمى المرداسي الشهير بابن الحاج المتوفى سنة 1232هـ.(475)

24 – العلامة الفقيه أبو عبد الله محمد الفاسي المتوفى سنة 1232هـ.

---

469) جامع القرويين ج 3 ص 807 والسلوة ج 1 ص 94 والدرر الفاهرة ص 48 ـ 72.

470) انظر كتاب مؤرخـو الشرفاء لمؤلفه ليـفَـي بروفَـنصال، تعـريب عبد القادر الخلادي ص 195 مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط، 1397هـ / 1977م.

471) السلوة ج 1 ص 23.

472) المرجع أعلاه ج 3 ص 5 ـ 6.

473) جامع القرويين ج 3 ص 807، والسلوة ج 1 ص 358 وج 2 ص 15 وج 3 ص 126.

474) انظر ترجمته في سلوة الأنفاس ج 3 ص 116 ـ 119.

475) المرجع أعلاه ج 3 ص 4.

25 – العلامــة الفقيه القاضي أبــو العباس أحمد بن التــاودي ابن سودة المتوفى سنة 1235هـ.

26 – الفقيه ابن ريسون العلمي المتوفى سنة 1236هـ.

27 – العــلامــة الشيخ أحمد بن الشيــخ محمــد التــاودي المتـوفى سنــة 1235هـ.(476)

28 – الفقيه عبـد الرحمن بن محمـد الحائك الموسيقي المعـروف المتوفى سنة 1237.

29 – العلامة الشيخ أحمد بن محمد (ضما) بن أحمد أزنيط المتوفى سنة 1237هـ.

30 – الفقــيه محمـــد بن عــبد الســلام بن ناصر المتــوفى سنة 1239 / 1824م.

31 – الأستاذ المؤرخ محمــد بن عبد الســلام الضعيف الربــاطي المتوفى سنة 1240هـ.

32 – الشيخ الفقيه محمد بن المكي الدلائي المتوفى سنة 1241هـ.

33 – العلامــة الفقيه مولاي علي بن زيـدان المتوفى في ربيع النبــوي عام 1260هـ وهــو من أساتيـذ المولى سليمان وقد أدرك المولى عبـد الرحمن بن هشام.(477)

فهؤلاء العلماء من الشخصيات العلميــة البارزة التي أسهمت بحظ وافر في تنشيط الثقافــة في عهد المولى سليمان، وقد كان للوقـف دور هام في هذا التنشيط... ومن هؤلاء العلماء من كان له كرسي خاص بتنفيذه له من طرف المولى سليمان كما سنرى ذلك فيما بعد.

بعد هذه النظـرة العامة المتعلقة بـالإهتمام بالأوقاف من المولى سليمان، وبذكـر فئة من العلماء المعـاصرين له، ننتقل إلى الكـلام على دور الوقف في الكراسي العلمية في عهده، وهو موضوع المبحث التالي :

---

476) انظر ترجمته في كتاب الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 322 ـ 328.

477) الإتحاف ج 5 ص 478.

المبحث الأول

دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى سليمان

سنتعرض في هذا المبحث لذكر دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى سليمان، سواء كانت هذه الكراسي بجامع القرويين بفاس، أو بغيره من بقية الجوامع الأخرى.

أولا : بالنسبة لدور الوقف في الكراسي العلمية بجامع القرويين :

بالرجوع إلى المظان المتعلقة بهذا الموضوع نجدها تنص على الكراسي التالية :

1 – كرسي الحديث.
2 – كرسي ظهر خصة العين.
3 – كرسي ظهر الصومعة.
4 – كرسي الورياغلي.

أما الكرسي الأول، وهو كرسي الحديث، فقد تحدث عنه العلامة محمد المنوني بقوله أنشيء أول هذه الفترة – فترة العلويين – عند الموضع المعروف بظهر خصة العين شرقي هذا الجامع، وساق مختلف الشخصيات العلمية التي تعاقبت عليه إلى عصر محمد الطالب ابن حمدون ابن الحاج، وكانت بعض هذه الشخصيات ترجع إلى ما قبل عهد المولى سليمان، وهم :

أبو الفضل أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي المرداسي، الفاسي المتوفى ضحوة الأربعاء فاتح ربيع الأول عام 1109هـ / 1697م كما سبق أعلاه.

2 – ولده أبو عبد الله امحمد (فتحا) المتوفى ليلة الأربعاء 16 حجة عام 1128هـ / 1717م.

3 – حفيده وسميه أبو العباس أحمد المدعو الحفيد، والمتوفى صبيحة السبت 18 ربيع الثاني 1133 هـ / 1729م.

4 – امحمد (فتحا) بن محمد بن الخياط ابن أبي القاسم الدكالي المشنزائي المعروف قبيله بابن إبراهيم الفاسي المتوفى في جمادى الأولى عام 1184هـ / 1770م.

5 – أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي، ثم الفاسي المتوفى عشية الإثنين 7 ربيع الثاني عام 1232هـ / 1817م.

وأن هذا الأخير (أبا الفيض) هو الذي كان في عهد المولى سليمان، وكانت لديه حظوة كبيرة واحترام كثير، حتى إن المولى سليمان أسند إليه تدريس علم الحديث في جامع القرويين، وولاه هذا الكرسي، حيث درس به الصحيحين وغيرهما من الكتب الستة، مثلما درس به التفسير.

وهنا يحسن بنا أن ننقل وصف بعض دروس هذا العالم الجليل، حسب ما أشار إليه العلامة محمد المنوني، نقلا عما ورد في كتاب رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد «لصاحبه محمد الطالب ابن حمدون ابن الحاج الذي توخى فيه التعريف بوالده أبي الفيض حمدون، كما توخى فيه ذكر أفراد عائلته.(478)

وأن هذا الوصف هو ما يعبر عنه بلغة العصر بمنهجية التدريس عند أبي الفيض... قال :

«إن محمد الطالب ذكر في تأليفه هذا أن والده ثابر على تدريس صحيح البخاري أكثر من غيره، لا سيما في شهر رمضان – وكان في إقرائه هذا الكتاب – يأتي من التحقيق بما يشفي الغليل، فيهتم بالكشف عن المفردات معنى واشتقاقا وتصريحا، والاعراب في المركبات في تخصيص العموم،

---

478) مجلة دعوة الحق العدد 5 السنة 9 ذو القعدة 1385هـ / مارس 1966م ص 96.

وتقييد المطلق، وتفصيل الإجمال، وبيان محل الخلاف والاتفاق، واعتبار مقتضيات الأحوال، والاقتدار على الاقيسة، يضرب بسهام صائبة في رد شبهات أهل الأهواء والبدع لحسم مادة اعتقادهم، ويرد الفرد إلى أصله، ويبرهن على المطالب باعتبار كل المذاهب، ثم يبين ما به الفتوى من مذهب مالك، ويبالغ في البحث مع ابن حجر، والعيني، والقسطلاني، ومن فوقهم بالقبول والرد، هذا بعد القيام بالتعريف بالرجال، وتمييز اللقب الواقع في الحديث مثل الوقف والإرسال، وكثيرا ما كان ينتزع مضمن أحاديثه من الآيات القرآنية، ويبين في كل ترجمة أصلها من الكتاب.

وبعد هذا، نذكر أن عادته في إقراء التفسير : التحري من نقص عما يحتاج إليه إيضاح المعنى، أو زيادة لا تليق بالغرض، وكان يراعي المعنى الحقيقي والمجازي والتأليف والغرض الذي سيق الكلام له، ويواخي بين المفردات، فيبتدىء بتحقيق الألفاظ، ويتكلم عليها من جهة اللغة، ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبتدىء بالإعراب، ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم أسباب النزول، ثم علم الحديث والأثر، ثم علم المناسبة، ثم الاستنباط، ثم الإشارات ثم لا يبقي ولا يدع من الاستدلال ضد أهل الأهواء والبدع.(479)

وبإمعان النظر في هذه المنهجية، نتبين كم كان العلماء الأقدمون يسبرون أغوار الأشياء بحثا عن حقائقها، فيشرحونها شرحا مستفيضا من حيث جميع فنون اللغة العربية، حتى يتركوها بادية للعيان في أجلى مظاهرها، وأحسن صورها، ولا سيما من حيث علوم البلاغة من معان، وبيان، وبديع، وبذلك يكشفون عن جمال اللغة العربية وحسن رونقها، وكمال رصفها وتنسيقها، ولا شيء في اللغة العربية، ولا أجمل ولا أحسن تنسيقا من القرآن الكريم، ويليه في الرونق والجمال والبهاء : حديث رسول الله ﷺ، زيادة على

479) المرجع أعلاه ونفس الصحيفة.

ما يرميان إليه من أغراض ومقاصد سامية في نطاق التشريع، ومكارم الأخلاق.

وأما الكرسي الثاني، وهو كرسي ظهر خصة العين، فقد سبق القول في موقعه وأساتيذه وكتبه الموقوفة عليه، ولم يبق لنا الآن إلا أن نذكر بعض الشيوخ الذين كانوا يقومون بالتدريس عليه في عهد المولى سليمان :

وبالرجوع إلى ما ذكره الدكتور عبد الهادي التازي،(480) نجده ينص على أن المولى سليمان أحيى هذا الكرسي بتنفيذه للعلامة سيدي حمدون بن الحاج المتوفى سنة 1231هـ، راجع مختلف الأوقاف المحبسة على هذا الكرسي فيما سبق أن أشير إليه أعلاه.

وأما الكرسي الثالث، وهو كرسي ظهر الصومعة، فقد سبق القول كذلك في موقعه وأساتيذه وموقوفاته، إلا أن الأستاذ الذي كان يدرس عليه في العهد السليماني، هو العلامة أبو عبد الله محمد التاودي بن محمد الطالب بن محمد ابن سودة المري الفاسي، المتوفى سنة 1209هـ.(481)

وأما الكرسي الرابع، وهو كرسي الورياغلي، فيقع عن يسار الداخل لجامع القرويين من باب الرواح الأعلى المجاور لباب الخلفاء، وعن يمين الداخل من باب الصفر الأعلى، أو من باب السبطريين في الركن الجنوبي الغربي في قاعة الصلاة.

وأما العلماء الذين تعاقبوا على التدريس عليه، وعلى أوقافه، فقد سبق القول فيه، إلا أن الذي يهمنا هنا هو العالم الذي كان يدرس عليه في عهد المولى سليمان.

---

480) المرجع أعلاه ونفس الصحفية.

481) جامع القرويين ج 2 ص 374.

وبالـرجوع إلى كتـاب الروضـة المقصودة في بـاب العلوم التـي درسـها الشيخ التاودي ابن سودة(482) نجده – بعدما تحدث كثيرا عن هذا الكرسي – أنـه عاد إلى الحديث عنـه في باب تـلاميـذ الشيخ التاودي ابن سـودة في ترجمة والده القـاضي أبي العباس أحمد (1235هـ / 1819 – 1820م فقال... «مع مـا ورثه عن أبيـه من المناصب الـدينية والتـدريس بالكـرسي المجاور للأسبوع الأعلى من جامع القـرويين، وهو كرسي مبارك جليل يعلم ذلك كل النـاس، جيـلا بعد جيـل، فقد جلس عليـه من العلماء العـاملين، والأوليـاء الصالحين، مـا يكل الناس عـن حصرهم، وتعجز القريحة عـن عد مآثـرهم وفخرهم...».(483)

وهكذا نجد هـذه الكراسي السابقة كانت زاخرة بـالعطاء العلمي من لدن علماء فحول مغاربة بلغوا الذروة العليـا في العلوم، وقد كانوا يستفيدون من مـردود الأوقاف التي كـانت رصدت لتلكم الكـراسي المذكورة أعـلاه، والتي توجد بجامع القرويين بفاس.

ثـانيا : بـالنسبـة لدور الـوقف في الكـراسي العلمية في غير جـامع القرويين :

إنه بالـرجوع إلى الحوالة السليمانية، نجـدها تذكر عـدة مساجد، تضم كراسي علميـة تقوم بالتربيـة والتوجيه العلمـي، وهي بالضرورة تشجع من قبل الأوقاف من الناحية المادية، ومن بين هذه الكراسي :

1 – كرسي التوريق بمسجد زنقة النخل من جزاء ابن برقوقة.

2 – كرسي التوريق بمسجد العقبة الزرقاء.

3 – كرسي التوريق بمسجد الأبارين.

---

482) المرجع أعلاه ج 2 ص 376 ص 373.

483) انظر أعلاه ونفس الجزء ص 373.

أما الكرسي الأول، وهو كـرسي التوريق بمسجد زنقة الخل من جزاء ابن برقوقـة، فقد ذكرت الحوالة السليمانية مـن أوقافه : – حانوتـا برحبة الزرع من رحبة التبن، ولم تشر إلى من يورق عليه.(484)

وأما الكرسي الثـاني، وهو كرسي التوريق بمسجد العقبـة الزرقاء، فهو كما ذكرت الحوالـة السليمانية أيضا في وقفه : – دويـرة بالدور الجدد من القلقليين.

– ربع غير مكسر من تربيعة عميرة المقابلة لميضأة السمارين، ولكنها لم تذكر من يورق عليه، مثل سابقه.(485)

وأمـا الكرسي الثـالث، وهو كـرسي التـوريق بمسجد الأبـارين، فقد ذكرت له الحوالة السليمانية من أوقافه ما يلي :

– نصف غابة زيتون خارج باب الحديد.
– ثلث أصل حوانيت.
– تربيعة جوطية كَـراوة.
– ثلاثة أثمان رحى.
– نصف عريصة خارج باب الحديد.
– كهفان خارج باب الجيسة قرب النخلة.(486)

وأما الحوالة الجديدة لأحباس فاس، فقد ذكرت من أوقافه ما يلي :(487)

– حـانوتـان متصلتان جـديـدتان أسفل عقبـة حفـاة مسجد الأنـدلس مجاورتان للخربة قبله.

---

484) المرجع أعـلاه ونفس الجزء ص 374 ومجلة دعوة الحق العدد 5 السنة 9، 1385هـ / مارس 1966م والسلوة ج 1 ص 115 ـ 166، والحوالة السليمانية ص 144.

485) الحوالة السليمانية ص 144.

486) نفس المصدر والصحيفة أعلاه.

487) انظر الحوالة الجديدة لأحباس فاس ص 433.

- ربع طراز حجامة على البخاري مع نصف العرصة الآتي ذكرها.
- ثلاثة أثمان رحى البريد 2 يمنة المار لرحبة وادي الزحول.
- نصف عرصة خارج باب الحديد يمنة المنحدر لجنان ابن جلون.
- الثلث الواحد من أصل 22 حانوتا بتربيعة جوطية كَراوة عند الحانوتين الأوليين المتقابلتين وفي شركة المساكين بالثلثين، وهي المقابلة لباب الحرم الإدريسي : المارقطال القديم بانحراف.
- ثلث حانوت يسرة الداخل للعطارين من عين علون على قرآن تبارك الملك كل يوم، ودلائل الخيرات كل جمعة.
- ثلث حانوت ثالثة يسرة الداخل من جوطية البالي من بابه الأعلى على الرصيف قبله.
- نصف خمسة أسداس من الزيتون الكائن ببوخروف من لمطة.
- نصف أعواد من الزيتون مجاورة للزيتون قبله.

فهذه الأوقاف وغيرها جعلت من كرسي مسجد الأبارين : حركة علمية نشيطة أكثر من غيره من بقية المساجد الصغرى الأخرى.

ويجدر التنبيه إلى أنه سبق لنا أن ذكرنا سبب هذه الحركة العلمية النشيطة في أنها ترجع :

1 - إما لكون هذا المسجد على مقربة من جامع القرويين، ومدرسة العطارين.

2 - وإما لكونه أيضا مأوى عدد من الطلاب للسكنى في شقلبياته، والشقلبية أشبه ما تكون ببيت محمول على غيره.(488)

وبما ذكر أعلاه، نكون قد أعطينا نظرة مكثفة عن دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى سليمان.

وهكذا ننتقل من دور الوقف في الكراسي العلمية، إلى وقف المولى سليمان على سير مسجد الرصيف، وهو ما سنذكره في المبحث التالي :

---

488) انظر هامش 99 من جامع القرويين ج 2 ص 409.

المبحث الثاني

وقف المولى سليمان على سير مسجد الرصيف بفاس

إن مما هو ثابت تاريخيا أن الذي حفر أساس مسجد الرصيف بفاس، هو المولى اليزيد، وأنه شغل عن بنائه بسبب فتن كانت قائمة في عهده أدت إلى قتله في المواجهة التي كانت بينه وبين أخيه المولى هشام الذي كان في مراكش، وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة 1206هـ، وما إن قتل المولى اليزيد، حتى ظهرت الفتنة في المغرب من جديد، فافترقت الكلمة في المغرب بين ثلاث طوائف :

– طائفة تدعو إلى المولى هشام، وتتجسم في أهل الحوز وأهل مراكش.

– وطائفة تدعو إلى المولى مسلمة بن محمد بن عبد الله شقيق المولى اليزيد، وكان خليفة عنه ببلاد الهبط والجبل.

– وطائفة تشايع المولى سليمان، حيث بايعته آنذاك، وتتمثل في أهل فاس، ومن والاهم في ذلك.

ولكن، شاءت الإرادة الإلهية أن تكتب الاستمرارية في الحكم للمولى سليمان، وناهيك به من رجل شهم عالم، استطاع أن يسير بالمغرب سيرة حسنة، ويقود سفينته إلى شاطىء السلام، رغم ما اعترضه من ثورات داخلية.

فكان من آثاره الباقية، وبناءاته العادية بفاس : المسجد الأعظم بالرصيف الذي لا نظير له وقتذاك – كما قال صاحب الاستقصا – كان حفر أساسه أخوه المولى اليزيد، واشتغل عنه وتركه، فافتتح هو عمله ببنائه وتشييده، وأبقاه دينا على الملوك... وأنشىء به كرسي علمي، حيث وقف عليه فندق النجارين، وبعض أجزاء من جنان...(489)

489) انظر ج 8 من الاستقصا ص 170.

وتجدر الملاحظة إلى أن الحوالة العبد الرحمانية(490) نصت على أن الأوقاف على هذا المسجد تعد كثيرة جدا، منها :

- حوانيت وحظوظ منها... ومنها ما هو خاص بالمؤذنين... على قيام الليل.

- حظوظ من حوانيت في شكل جلسات ودور وأروية وحظوظ في ديار، وفنادق، وحمامات، وأطرزة، وأعراص، وأجنة وأشجار الزيتون، وأراض خارج باب الفتح، وباب الجيسة.

وقد ذكر الدكتور التازي(491) أن مما صحب المسجد منذ تأسيسه كرسيا في الفقه درس عليه في جملة ما درس : رسالة الشيخ القيرواني، بالإضافة إلى الاكتفاء، للكلاعي (ت 634هـ) لكن الحال لم يلبث أن تطور في هذا الجامع وغدت له كراسي أخرى ومجالس، فيها ما كان خاصا بالنحو، ومن أبرز أساتيذه : الأستاذ سيدي محمد التازي.(492)

وهكذا نلاحظ : أن أوقافا كثيرة عملت على سير هذا المسجد، سيرا حسنا، سواء في الحقل الديني أو في الحقل الثقافي، كما نلاحظ أن المولى سليمان، قد وقف أوقافا على الطلبة الذين يقرأون الحزب بمسجد الأنوار بفاس، وأوقافا أخرى على الذين يقرأون الحزب بالصيغة السجلماسية تحت الثريا بجامع القرويين.

وبذلك نشاهد ما كان للوقف من أثر فعال في الثقافة ونشرها، والعمل على تنفيذها في هذا الأوان.

---

490) انظر ص 69 ـ 70 من الحوالة العبد الرحمانية رقم ميكروفيلمها 163 بالخزانة العامة بالرباط قسم الوثائق والمخطوطات، ورقم النسخة الخطية 51 توجد بنظارة الأوقاف بفاس.

491) انظر ج 2 من جامع القرويين ص 394.

492) ذكره الدكتور التازي في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 394 وانظر ص 812 من ج 3 منه، والتازي هذا كان يلقب بمسواك وقد كان له كرسي بالقرويين، وهو أول من عرف مدرسا بجامع الرصيف ـ السلوة جـ 1 ص 262.

هـذا ولم يكن عمل المولى سليمان مقصـورا على بناء مسجـد الـرصيف بفاس، والوقف عليه، ولا على بنـاء غيره أو تجديده فحسب، وإنما كانت له – زيـادة على ذلك : رغبـة أكيـدة في جلب الكتب إلى المغـرب إذا لم تكن موجودة فيه.

ووقفه كتبا علمية على مسجد الـرصيف، جعله يتسم بمزيد من الحركة العلمية النشيطة التي لم نكن نعهدها في المساجد الصغار، ووقف هذه الكتب العلمية، هو ما سنعرض له في المبحث التالي :

المبحث الثالث

وقف المولى سليمان كتبا علمية على مسجد الرصيف بفاس

إنه بالرجوع إلى بعض المراجع الخاصة بهذا الموضوع، نجدها تزخر بما وقفه عليه من كتب علمية متنوعة، ومن بين هذه الكتب :

1 – كتـاب المصنف من الكلام على مغنـي ابن هشام لأبي العبـاس بن تقي الدين أبي عبـد الله محمد بـن جمال الدين بن أحمد بن حسين بن علي التميمي الدارمـي رحمه الله (حنفي) وقـد وقفه المولى سليمان على خـزانـة جامع الرصيف عام 1214هـ.(493)

2 – كتـاب فتح الباقي في شرح لاميـة العراقـي، لزكـرياء بن محمـد بن أحمد بن زكريـاء بن يحيى بن يحيى الشافعي المتوفى بالقـاهرة في رابع ذي الحجة عام 925هـ، ووقفه على خزانة هذا الجامع كان بتاريخ 1214هـ.(494)

3 – كتـاب الجامع، للترمذي أبي عيسى محمـد بن عيسى المتوفى سنـة 279هـ، ووقفـه على خزانـة الجامع المذكـور، كـان بتـاريخ 8 صفر عـام 1217هـ.(495)

---

493) انظر فهرس مخطوطات خزانة القرويين ج 2 ص 24.

494) انظر المرجع أعلاه ج 3 ص 156 ـ 157.

495) انظر المرجع أعلاه ج 1 ص 197.

4 – كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض... وقد كان وقفه بتاريخ 1217هـ.(496)

5 – كتاب الشفا أيضا، وقد وقفه المولى سليمان بواسطة صهره الشريف مولاي الحبيب على خزانة الجامع المذكور أعلاه، وحازه ناظراه الفقيهان محمد بن عبد الرحمن الدلائي، والطيب الخياط برادة بتاريخ صفر 1227هـ.(497)

6 – كتاب تحفة المخلصين، للفاسي أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن علي ابن الشيخ أبي المحاسن المتوفى سنة 1116هـ، وقد وقفه على خزانة مسجده الأعظم بالرصيف بتاريخ 8 صفر عام 1217هـ.(498)

7 – كتاب التاج والاكليل على مختصر خليل، للمواق أبي عبد الله محمد بن يوسف العبدري المتوفى سنة 897هـ وقد وقفه المولى سليمان بواسطة ابن عمه المولى عبد الواحد، ووقع الإشهاد على ناظر المسجد في حينه الطالب الحاج عبد النبي ابن الحاج عبد الواحد في 21 رمضان عام 1214.(499)

8 – كتاب مواهب الجليل على مختصر خليل، وقفه بواسطة صهره العلامة الشريف الحبيب بن عبد الهادي، وحازه ناظرا المسجد الفقيهان : محمد بن عبد الرحمن الدلائي، والطيب بن الخياط برادة في تاريخ 8 صفر عام 1217هـ.(500)

9 – كتاب تكملة شرح الشامل، للتسولي أبي الحسن علي بن عبد السلام المتوفى سنة 1258هـ.(501)

---

496) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 262 ـ 263.
497) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 265.
498) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 270.
499) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 408.
500) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 416.
501) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 435.

10 – كتاب الميزان، للشعراني أبي النضر عبد الوهاب المتوفى سنة 1273هـ.(502)

11 – كتاب كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للشاذلي أبي الحسن علي بن محمد بن محمد المصري المتوفى سنة 1217هـ.(503)

12 – كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة، لابن مرزوق العجيسي التلمساني عرف بالحفيد أبي عبد الله محمد بن أحمد بن امحمد بن أحمد بن محمد بن امحمد بن أبي بكر المولود بسنة 766هـ والمتوفى سنة 842هـ، وقد كان وقفه بتاريخ 1224هـ(504)

13 – كتاب المنح المكية في شرح الهمزية، لابن حجر الهيثمي أحمد بن محمد بن علي من الهياثم (قرية بمصر) ويذكر أنها محلة ابن الهيثم، بالمثلثة الفقيه المحدث الصوفي الشافعي المولود سنة 899هـ والمتوفى سنة 974هـ ضحى الإثنين 13 رجب، والهيثمي هذا مشهور بنتاجه العلمي، ورده على الطوائف المبتدعة، وأشهر كتبه القيمة : فتاواه الحديثية، وكتابه : الصواعق....

وقد وقف المولى سليمان كتاب المنح... على خزانة مسجده بالرصيف سنة 1217هـ.

تلكم كانت مجموعة من الكتب التي وقفها المولى سليمان على خزانة مسجده بالرصيف، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على اهتمامه بالثقافة، وهو لم يقصر وقفه هذه الكتب على المسجد المذكور، وإنما وقف كتبا أخرى عديدة على مساجد أخرى في المغرب، نذكر من بينها : مسجد آسفي الذي وقف عليه 20 كتابا، يدل على ذلك ما أشار إليه الدكتور محمد الأخضر في

502) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 457.

503) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 386.

504) نفس المرجع والجزء أعلاه ص 295.

كتابه : «الحياة الأدبية بالمغرب في عهد العلويين، حيث قال : «وقد أوقف هذا الملك العلوي عددا من المخطوطات المهمة، وخص مكتبة مسجد آسفي بعشرين كتابا، وهو وإن لم يشيد مدارس مثلما فعل أسلافه، فإنه جدد عددا منها كالبوعنانية بفاس».

وهو لم يكتف بوقف الكتب فحسب، وإنما نراه يهتم بأمر خزانة القرويين وتوسعتها عندما تكاثر عدد الكتب الموقوفة عليها، فقرر إضافة الخربة التي كانت بجوارها المنسوبة إلى أولاد الغرديس لها، ولكن مصيره عاجله.(505)

وبتأمل ما سبق، نتبين كم كان للوقف من أدوار هامة في الحياة الثقافية، وتنميتها في عهد المولى سليمان رحمه الله.

وإذا كان هذا العاهل المغربي قد اهتم بالثقافة والوقف، فإن خلفه المولى عبد الرحمن بن هشام لم يكن بأقل منه شأنا في هذا المضمار، بل سنلاحظ شدة اهتمامه بكل ما يرجع إلى الثقافة، وإلى الوقف وإلى ترسيته كل معالم الحياة الدينية، وهذا هو ما سنقف عليه بحول الله في الفصل التالي :

505) انظر الجزء الثالث من جامع القرويين للتازي ص 669.



الفصل الرابـع

دور الوقف في الحياة الثقافيـة
في عهـد المـولى عبد الرحمـن بن هشـام :
1238 – 1276 هـ / 1823 – 1859 م

الفصل الرابع

دور الوقف في الحياة الثقافية

في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام:(506)

1238 – 1276هـ / 1823 – 1859م

سنحاول في بداية هذا الفصل أن نعطي نظرة عامة عن اهتمام المولى عبد الرحمن بن هشام بالأوقاف وعنايته بها، ثم نتبعها بأسماء طائفة من العلماء المغاربة الأعلام الذين عاصروه، وتعاملوا معه عن قرب أو عن بعد، ثم سنعالج الكلام عن دور الوقف في الكراسي العلمية في عهده، ثم دوره في المجالس العلمية، وأن هذه المعالجة تقتضي منا بسط الكلام على ذلك في مبحثين :

1 – في دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى عبد الرحمن ابن هشام.

2 – في دوره في المجالس العلمية في عهده كذلك.

نظرة عامة :

حول اهتمام المولى عبد الرحمن بن هشام بالأوقاف وعنايته بها مع ذكر صفوة من العلماء المعاصرين له بالمغرب :

لا يخفى على كثير من الباحثين أن المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي، اهتم – أسوة بما فعله أجداده – بالأوقاف اهتماما بالغا، وأولاها عناية خاصة تليق بها.

---

506) بويع المولى عبد الرحمن بن هشام عندما وصل خبر موت المولى سليمان في 26 ربيع الأول 1238هـ وكان هذا الأخير عهد إليه بالخلافة، وتوفي في شهر محرم عام 1276هـ فكانت مدة ولايته 36 سنة و 3 أشهر و 25 يوما، انظر أخباره ومآثره وسيرته في ج 8 من الاستقصا من ص 86 إلى ص 174.

وإنه ما إن تحمل مسؤولية هذا البلد حتى أمر قاضيه مولاي عبد الهادي الحسني العلوي بجمعها في سجل جامع مانع، حفظا لها من الضياع والاندثار، وصونا لها عن الذوبان في الأملاك الخاصة.

وقد اعتمد في جمعها على الحوالة الإسماعيلية الأولى(507) وعلى الحوالة الإسماعيلية الثانية(508) وعلى الحوالة السليمانية(509) ورمز لما زيد على ما بهذه الحوالات بحاء مهملة بلون أحمر، علامة على أنه حديث الدخول في سجله الذي أضحى يعبر عنه بالحوالة العبد الرحمانية.

وانه لما جمعت هذه الحوالة في عهد القاضي السابق الذكر بمعية ناظر الأوقاف في عهده السيد علال الشامي، ضمت في ديوان مع مزيد بيان وإتقان، وفق ما جاء في خطبة الحوالة.(510)

ورتبت فيها المساجد – باعتبارها مراكز دينية وثقافية – ترتيبا حسنا مناسبا، ونبه على ما فيها من كتب وكراسي علمية، وأوقاف رصدت لسيرها، كما نبه فيها على مختلف العقارات الصالحة الموقوفة من أجل سير الحياة الدينية والمجتمعية بصفة عامة، والحياة الثقافية بصفة خاصة، كما نبه على العقارات الموقوفة الخربة لبعدها عن العمران مما هو بباب الفتوح، وباب المسافرين وغيرهما بمدينة فاس، أو دخولها في الأجنة والعرصات كالزيات – مثلا – والدوح، والزنجفور، وغبر مساحاتها، خوف ضياعها، أو ضياع شيء منها باندثارها أو غرسها، مثلما نبه فيها على المكاتب (المسايد) المعدة لتعليم الصبيان، بل إنها تحدثت عن السوامر التي توقد ليلا، لأضاءة الطرق، حيث أوصلتها إلى 58 سامرة.(511)

507) انظر جامع القرويين ج 3 ص : 707.
508) المرجع أعلاه ونفس الجزء والصحيفة.
509) المرجع أعلاه ونفس الجزء والصحيفة.
510) ص : 58، من الحوالة العبد الرحمانية.
511) ص : 23 من الحوالة نفسها.

وذكرت هـذه الحوالة – إضـافة إلى ذلـك – ما يـزيد على 30 زاوية مع أوقافها، علما أن هذه الزواياقد قامت بدور فعال في التربية الوجدانية، حيث أصلحت كثيرا من النفوس، وعـديدا من القلوب إلى جـانب ما قـامت به من دور عظيم في نشر الثقافة، وتنميتها.

وجمع الأوقاف في هذه المدونة أو الحوالة إن دل على شيء، فإنما يدل على حمايـة الأوقـاف من الضيـاع مـن طـرف المولى عبـد الـرحمن بن هشـام، وتمييزها عن بقية الأملاك الخاصة الأخرى.

وحماية الأوقـاف هذه لم تقتصر على جعل الأوقاف في الحوالـة المذكورة فحسب، وإنما تجاوزتها إلى شيء آخـر تجسم في الأمـــر المولـوي المانع من المعاوضة في الأوقاف، حينما أخذت تشيع معاوضة أملاك المحبسين بغيرها من الأملاك الخاصة.

وإنه زيـادة على الأمر بمنع المعـاوضة فيهـا، كلف ولاته وقضـاته على الخصوص بمنع المعاوضـة في الأوقاف منعا كليا باتـا، مخافة أن يقع فيها بعض التلاعب.(512)

لائحة بصفوة من العلماء المعاصرين للمولى عبد الرحمن بالمغرب :

إذا كـانت الحوالات الوقفيـة قـد درجت على الإشارة إلى بعض الشيـوخ الاعـلام الذين تصـدروا للتدريس في مختلف مـراكزه، فإنـه يليق بنا ذكـر أسماء عدد من العلماء الذين عاصروا المولى عبد الـرحمن، وقاموا بالتصدي للتدريس والتعليم ونشر الثقافة على أوسع نطاق في عهده.

ومن بين هؤلاء العلماء الأعلام :

1 – العلامة الشيخ عبد الله المتيوي المتوفى سنة 1247هـ.(513)

2 – العلامة الشيخ المكي الدلائي المسناوي المتوفى سنة 1247هـ.(514)

---

512) انظر : كتاب الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية، للشيخ محمد المكي الناصري ص 20.

513) انظر جامع القرويين 3 ص 809 والسلوة ج 3 ص 48.

514) جامع القرويين ج 3 ص 809.

3 – العلامة الشيخ محمد المدغري المتوفى سنة 1248هـ

4 – العلامة الشيخ التهامي بن حمادي بن عبد الرحمن الحمادي المكناسي المطيري المتوفى سنة 1249هـ(515)

5 – العلامة الشيخ أبو القاسم بن أحمد الزياني المتوفى سنة 1248هـ(516)

6 – العلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهن المتوفى سنة 1254هـ وهو شيخ مجلس الحديث الملكي في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام.

7 – العلامة الشيخ أبو الحسن علي بن عبد السلام المتوفى سنة 1258هـ(517)

8 – العلامة الشيخ محمد بن العربي قصارة المتوفى سنة 1258هـ(518)

9 – العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن نافع من أهل فاس المتوفى فجأة في غريفة القرويين سنة 1260هـ

10 – العلامة الشيخ المهدي بن الطالب ابن سودة المري المتوفى سنة 1259هـ

11 – العلامة الشيخ العربي الكبير محمد الحراق المتوفى سنة 1261هـ(519)

12 – العلامة الشيخ الفاضل بن المكي مريدة السرغيني المتوفى سنة 1263هـ(520)

13 – العلامة الشيخ أبو العلاء الحاج محمد بن إدريس العمراني الوزير الدبلوماسي والكاتب الشاعر والفلكي الرياضي المتوفى سنة 1264هـ

---

515) نفس المرجع والجزء والصحيفة أعلاه.

516) نفس المرجع والجزء ص 810.

517) سلوة الأنفاس ج 2 ص 115.

518) تاريخ تطوان ج 6 ص 396.

519) انظر إعلام الأعلام ج 10 ص 17 هامش 24.

520) انظر تاريخ تطوان ج 6 ص 218 ـ 219.

14 – العلامة الشيخ الطالب ابن عبد الرحمن السراج المتوف سنة 1266هـ

15 – العلامة الشيخ امحمد بن محمد بن عجيبة المتوفى سنة 1266هـ.(521)

16 – العلامة الشيخ العباس بنكيران المتوف سنة 1271هـ.

17 – العلامة الشيخ مولاي المهدي بن عبد الله العلوي المتوف سنة 1272هـ

18 – العلامة الشيخ البهلول بن علي بوسلهام الرحماني المتوف سنة 1272هـ.(522)

19 – العلامة الشيخ عبد الكريم بن عبد اللطيف غيلان المتوف 1273هـ.(523)

20 – العلامة الشيخ محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن ابن الحاج الفاسي المتوف بعد عصر الجمعة سنة 1273هـ، ولى كرسي الفقه بجامع الشرفاء من طرف المولى عبد الرحمن.

21 – العلامة الشيخ محمد بن حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المتوف في 17 شوال عام 1274هـ.

22 – العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحجرتي المتوف سنة 1275هـ.(524)

23 – العلامة الشيخ أبو جعفر عمر بن محمد بن الطالب ابن سودة المري الفاسي المتوف سنة 1285هـ نفذ له المولى عبد الرحمن كرسي يسار القبة بمسجد الشرفاء بفاس.

---

521) انظر تاريخ تطوان ج 6 ص : 218 ـ 219.

522) انظر إعلام الأعلام ج 3 ص: 78 ـ 79.

523) تاريخ تطوان ج 7 ص: 14.

524) جامع القرويين، للدكتور التازي ج 3 ص: 812.

24 – العلامة الشيخ الموقت محمد بريدة المتوفى حوالي سنة 1285هـ.(525)

25 – العلامة الشيخ المهدي ابن سودة المتوفى سنة 1294هـ.(526)

26 – العلامة الشيخ علي بن صالح المتوفى سنة 1294هـ، أدرك ثلاثة من ملوك العلويين، منهم : المولى عبد الرحمن.

27 – العلامة الشيخ امحمد بن عبد الرحمن بن قاسم العلوي المدغري من ذرية امحمد بن علي بن طاهر المتوفى في 27 رمضان سنة 1299هـ.

28 – العلامة الشيخ علي بن محمد المسفيوي المتوفى سنة 1316هـ.(527)

وبعد، فهؤلاء العلماء هم قليل من كثير من أولئكم العلماء الذين كانوا ينشرون الثقافة الإسلامية ويبثونها في صدور المئات من الطلاب في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام، سواء منهم من كان يدرس من فوق الكراسي العلمية، أو ممن كان يدرس في المجالس العلمية على الأرض.

وإذا اتضح لنا مما سبق مدى اهتمام المولى عبد الرحمن بن هشام بالأوقاف وذكر العلماء المعاصرين له، فيجب علينا أن ننتقل إلى معالجة الكلام عن دور الوقف في الكراسي العلمية في عهده، وهو ما سنخصص له المبحث التالي :

المبحث الأول

دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام

سنتناول الكلام في هذا المبحث على دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى عبد الرحمن بجامع الأندلس، وبجامع الشرفاء، وبالمساجد الصغار بفاس، سواء كانت هذه الكراسي تتعلق بتدريس الرسالة القيروانية

525) جامع القرويين ج 3 ص 785.

526) إتحاف أعلام الناس ج 5 ص 483.

527) ج 2 ص 390.

وحـدهـا، أو هي مع التـوريق، أو كـانت تتعلق بـالتـوريق فقط، أو تتعلق بتـدريس غير الرسـالة، كما سنتنـاول الكـلام على دور الوقف في الكـراسي العلمية ببعض الزوايا، وفي بعض الأضرحة.

والكلام على ذلك يقتـضي مـنا معالجتـه في أربعـة فروع :

1 - في دور الوقف في الكراسي العلميـة بجامع الأنـدلـس.

2 - فـي دوره فـي الكـراسـي العلميـة بجامـع الشرفـاء.

3 - في دوره في الكراسي العلمية بالمساجد الصغار بفـاس.

4 - في دوره في الكراسي العلمية ببعض الزوايا، والأضرحة.

الفرع الأول

دور الوقف في الكراسي العلمية بجامع الأندلس

من الغني عن البيان، أن جامع الأندلس، يعتبر المركز الأساس في الثقافة بعد جـامع القرويين، وقد عـرف هذا الجامع عدة كـراسي علمية في مختلف العصور المتعاقبة عليه، ومن بين هذه الكراسي :

1 - كرسي الوراق بباب محرابه :

كان هذا الكرسي يدرس عليه التفسير غدوة، وسيرة الكلاعي عشية، وقد أوضح الـدكتور التـازي في كتابـه جـامع القرويين أنـه : (528) «من أقـدم المجالس العلمية بجامع الأنـدلس، وهو الـذي كان يختص به في أول القرن السادس الهجـري : الشيخ أبو الفضل يوسـف بن محمد بن يـوسف بن النحـوي (ت 513هـ) حيث ذكر من العقـارات الموقوفـة على هـذا الكرسي : عـشر بقـاع، وقـد فصلـت الحوالـة العبـد الرحمانيـة هذه الأوقـاف كالتالي :

(528) ص 27.

– مجمران بدار دباغة جرنيز بيد ابن يحيى، أحدهما : بيد الحاج محمد ابن الحاج العباسي فلوس، والآخر بيد الحاج محمد بن الحسن.

– ست حوانيت عينت أمكنتها بالحوالة.(529)

– نصف حانوت، ونصف حانوت آخر، ونصف دويرة، وثمن حانوت، ودويرة بالقلقليين، وثمن حانوت أسفل محراب مسجد السانية، وثلث جنان النخلة بباب الحديد بالحاء المهملة، وربع دار بزنقة العنوز، وبقعة جنان جزاء خارج باب الجيسة، وهو المعروف بجنان العياشي، وترة من الأرض (قطعة) بولجة المساكين بيد الشريف سيدي المهدي الشفشاوني... على أن الحوالة الجديدة لأحباس فاس(530) قد زادت على هذه الأوقاف ثلاثة أثمان حانوت، يمنة المنعطف من الحرارين بالقبة ودارا بشارع حومة الكدان أولى عن يسار الداخل من ساباط الكدان، من تحبيس مولاي الفضيل بن مولاي عبد القادر العلوي المحمدي على عقبه، وبعد انقراض عقبه، ترجع حبسا على الواعظ بمسجد الأندلس حسب ما بأوائل الحوالة السليمانية المنتسخ منها».

2 – كرسي مستودع جامع الأندلس قرب الخزانة العلمية لقراءة كتاب الترغيب والترهيب، لسيدي عبد العظيم المنذري :

إن هذا الكرسي قد وقفت عليه أوقاف لسيره العلمي من بينها : كما ذكرت الحوالة العبد الرحمانية.(531)

– ثلاث حوانيت، وخزانة بدار الدبغ من جرنيز، وأرض قرب وادي الصباب، عرف بالستوتة، وأرض بالصباب عن حراثة زوجين ترابية، تعرف بالستوتة بأعلى عين عروس تحد قبلة بالطريق الآتية من البهاليل من وادي الصباب تعرف بالباب الواردة إلى أسفل المرسى القديم بخربة البسباس.

---

529) ص : 214.

530) ص : 28.

531) ص : 215.

وزادت على هذه الأوقاف الحوالة الجديدة لأحباس فاس.(532)

– ربع رحى بوادي الزحول، وفي شركة حزابي جامع الأندلس مشتملة على مدار واحد عن يمين الداخل من ناحية درب سلمى، وخزانة بمواعينها بدار الدبغ من جرنيز.

3 – **كرسي الوراق لقراءة كتاب التسهيل والتقريب،** للرصاع بالبلاط الرابع بعد صلاة الجمعة بنفس الجامع، ومن بين الأوقاف التي ذكرتها له الحوالة العبد الرحمانية ما يلي :

حظ بحانوت... يسرة الخارج من قنطرة اللبين برحبة التبن مستغرقة في البناء – وقتذاك – وأرضية تشتمل على حراثة نصف وسق بعين الدكارة بدار ابن عمرو.

4 – **كرسي بباب مصرية الخطيب** فوق ظهر المستودع المحمل على مستودع النساء :

إن هذا الكرسي يقع بالجدار الغربي من البلاط الثاني عن يمين الداخل من باب آشنيخن الذي استند إليه الكرسي بناحية سيدي موسى خلف الله.

ووقت الدراسة فيه من المغرب إلى العشاء، وقد كان يدرس عليه أيضا في الغداة، ومن الكتب الموقوفة على هذا الكرسي : كتاب العمدة.

من بين أوقافه – حسب ما في الحوالة العبد الرحمانية – ما يلي :

– ربع رحى شجرة بوروس بل تبين أنه للإمام حسبما ذلك موجود برسم بيد الإمام.

– ربع حانوت سيدي مسعود ابن القاضي بالقبة الكبرى من القيسارية.

---

532) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 28.

- ربع حانـوت كانت في اعتمار الســلاوي ثانيــة عن يسار الخارج من باب الحزامين للعطارين.
- ربع حانـوت برحيبة ابن زروق، ويقـابله وجه الخارج من الـرحيبة المذكورة بانحراف.
- ربع حانوت تلي الحانوت قبله.

5 - كرسي الرسالة :

وهذا الكرسي يقع بالجدار الغربي من البلاط الثاني عن يمين الداخل من باب اشنيخن، والجدار الذي استند إليه الكرسي من ناحية درب سيدي خلف الله، ووقت الدراسة به من المغرب إلى العشاء.

ويتمتع القارىء على هذا الكرسي بعدة أوقاف، من بينها :

- حانـوت بوصفيحة بعين علون يسرة عن المنعطف من الأدراج، هـابطا بعين علون.
- كهف بعين علون يقابل البير.
- حانوت ثانية يمنة المنعطف من الصفاح من ناحية باب الحفاة.
- جزء بدار العسري بالكدان تعرف آلان - في عهد المولى عبد الرحمن - بدار المدينة.
- جزء بدار اشنيخن قرب الطراز الذي بقرب جامع الأندلس.(533)

6 - كرسي التفسير :

يقع هذا الكرسي في الجانب الغربي من المسجد عن يمين الداخل من باب اشنيخن الذي يقابل الزنقة التي فيهـا مدرسة الصهريج، وعن يسار الباب المقابل لمدرسة السبعيين في البلاط الأفقي الرابع كما سبق القول في ذلك، وفي أوقافه أيضـا.(534)

533) جامع القرويين ج 2 ص 389 والحوالة العبد الرحمانية ص 27 ـ 28.

534) انظر الحوالة الإسماعيلية ميكروفيلم رقم 159 ص 253.

على أن الحوالة الإسماعيلية، قد أوضحت أن أوقافه تتمثل في جنان بولجة المساكين خارج باب الفتوح، وفي ثلاثة حوانيت وهي 5 – 6 – 7.(535)

7 – كرسي العنزة :

إن هذا الكرسي وقف على قراءة الفقه، وقد صرح الدكتور التازي، معتقدا : أنه الكرسي الذي كان لأبي الربيع سليمان الونشريسي الفاسي (705هـ) وكان يقوم على الترصيع والمدونة، كما تقول الجذوة، وهو الكرسي الذي كانت تعطى فيه رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني، كما تذكر الحوالات الحبسية.(536)

وذكرت الحوالة العبد الرحمانية من أوقافه ما يلي :

– نصف حانوت بباب السلسلة عن يسار الداخل للعطارين.

– حانوت بالتيالين عن يمين الخارج من زنقة سيدي يدير.

– ثلث رحى درب بوحاج.(537)

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الكراسي، كانت تقوم بنشاط علمي قبل العهد العبد الرحماني، وقد كانت تدعم بعدة أوقاف بغية استمراريتها في نشر المعرفة، وبقي الحال كذلك إلى هذا العهد الذي نتحدث عنه الآن، لكن الذي نلاحظه أن الحوالة العبد الرحمانية كثيرا ما كانت تذكر الكراسي وأوقافها، بدون أن تشير إلى الشيوخ الذين كانوا يقومون بمهمة التدريس عليها، وهذا ما يجعلنا نقتصر أحيانا على ذكر الكرسي وأوقافه.

535) جامع القرويين ج 2 ص 391.

536) ص 27 ـ 28.

537) بناء على ما ذكره الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه : جامع القرويين ج 2 ص 396، وأما ما ذكره الأستاذ المنوني، فترجع وفاته إلى غروب شمس يوم الخميس من ربيع الثاني عام 1194هـ / 1680م، نقلا عن السلوة ج 1 ص 161 ـ 165.

وبإمعان النظر في أوقاف المساجد السابقة، يجعلنا نؤمن - كل الإيمان - بأن الوقف كان له دوره الكبير في استمرار الثقافة، لكونه يغني العلماء عن التفكير والبحث في موارد أرزاقهم.

وإذا علمنا هذا عن دور الوقف في الكراسي العلمية بجامع الأندلس، فينبغي لنا والحالة هذه أن ننتقل إلى ذكر دور الوقف في الكراسي العلمية بجامع الشرفاء، وهو ما سنتحدث عنه في الفرع التالي :

الفرع الثاني

دور الوقف في الكراسي العلمية بجامع الشرفاء

من المعلوم أن جامع الشرفاء يعتبر ثالث مركز إشعاعي في الثقافة بفاس، وقد كان يشتمل على أربعة كراسي، مثلما سبق القول في ذلك، وهي كرسي القبة، وكرسي يمين القبة، وكرسي يسارها، ثم كرسي القبلة، وكان أهم هذه الكراسي، هو كرسي القبة، لأنه كان يدرس عليه التفسير، والحديث، والفقه، والنحو.

1 - كرسي القبة :

لقد عرف هذا الكرسي مجموعة من الأعلام الذين تعاقبوا على التدريس عليه، ومن بين من درس عليه في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام.

أ - العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن بن مسعود البناني الفاسي المتوفى سنة 1245هـ / 1829م والذي صار إليه هذا الكرسي بعد موت أبيه السابق أعلاه.(538)

538) نفس المرجع والجزء والصحيفة أعلاه.

ب – العلامة الشيخ محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن ابن الحاج الفاسي المتوفى بعد عصر الجمعة في 9 حجة عام 1273 هـ / 1857م بتولية من السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام.(539)

2 – كرسي يسار القبة :

إن هذا الكرسي يقع يسار الداخل للمشهد الإدريسي من الصحن، كما يقول العلامة محمد المنوني ومن أساتيذه الذين كانوا في عهد المولى عبد الرحمن :

أ – العلامة عبد القادر بن أبي جيدة الكوهن الفاسي المتوفى بالمدينة المنورة ودفين بقيعها في صفر عام 1254هـ / 1828م.

ب – العلامة محمد الطالب ابن الحاج بتولية من المولى عبد الرحمن بن هشام المتوفى بالتاريخ أعلاه.

ج – العلامة أبو حفص عمر بن محمد الطالب ابن سودة المري الفاسي المتوفى متم ربيع الأول عام 1285هـ / 1867م بتنفيذ من السلطان المولى عبد الرحمن.(540)

وقد، كانت تدرس على هذا الكرسي رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ثم صار يدرس عليه الحديث الشريف بصحيح الإمام البخاري،(541) وقد عرفت لهذا الكرسي ست بقاع موقوفة.

وبعد هذا، ننتقل إلى الكلام على دور الوقف في الكراسي العلمية بالمساجد الصغار، وهو موضوع الفرع التالي.

---

539) دعوة الحق العدد 5 السنة 9 فبراير 1966 ص 95 نقلا عن فهرسة ابن سودة لدى ترجمة أبي حفص.

540) جامع القرويين ج 2 ص 397.

541) حوالة المساجد الصغار ص 237 ـ 240.

الفرع الثالث

دور الوقف في الكراسي العلمية بالمساجد الصغار

إن دور الوقف في الكراسي العلمية بالمساجد الصغار، ليعتبر دورا هاما في نشر الثقافة وإشاعتها بين الناس.

ولقد سبق القول : بأن حظ المساجد الصغار بالنسبة للكراسي العلمية والوقف عليها، كان أكثر حظا من المساجد الكبار(542) مما جعلها تعرف نشاطا علميا مكثفا في هذا العهد، ولعل مرد هذا يرجع إلى أن المولى عبد الرحمن بن هشام أراد من هذه المساجد : أن تكون منتديات تثقيفية للعامة من الناس الذين يقبلون عليها كلما تهيأت الظروف المسعفة لهم بذلك، وخاصة بعد صلاة الصبح، وبين العشائين وإنهم ليأتون إليها من غير ما إحساس منهم في ذلك بكلل، ولا ملل.

وهكذا كانت هذه المساجد بمثابة جامعة شعبية، غايتها : إزالة الجهل عن كثير من الناس، وإنارة عقولهم.

ومما تجدر ملاحظته : أن أغلب هذه المساجد يقوم بتدريس الرسالة القيروانية، وقليلا منها يقوم بتدريس مواد أخرى، سواء كانت تتعلق بالفقه، أو بالحديث، أو بالسيرة النبوية، أو بالتصوف، أو بالحكم، وربما يرجع هذا إلى أن المولى عبد الرحمن أراد أن لا تحشر في أذهان العامة كثرة الأقوال، وكثرة الاختلافات الفقهية الناتجة عن الاجتهاد الفقهي، حتى يسهل عليهم التفقه في أمور دينهم بصفة سهلة، أو ربما يرجع هذا إلى كونه اتبع نهج جده المولى محمد بن عبد الله الذي أصدر منشورا، منع بمقتضاه تدريس الكتب الفقهية المطولة والمتفلسفة حتى على الطلبة الذين يريدون التخصص في حقل العلوم والمعارف، فضلا عن عامة الناس.

---

542) ص 43.

ووصولا إلى المعرفة، وتيسيرا على العامة في أن تتنور عقولهم، وتتسع مداركهم، جعلت بعض هذه المساجد الصغار خاصة بتدريس الرسالة القيروانية، وبعضها بتدريس الرسالة، إضافة إلى التوريق، وبعضها الآخر خاصا بالتوريق، وبعضها بتدريس غير الرسالة، وهذا ما يجعلنا نجمل دور الوقف في الكراسي العلمية بالنسبة للمساجد الصغار في المطالب التالية :

1 – في الوقف على الكراسي العلمية للمساجد الخاصة بتدريس الرسالة.

2 – في الوقف على الكراسي العلمية للمساجد الجامعة بين تدريس الرسالة والتوريق.

3 – في الوقف على الكراسي العلمية للمساجد الخاصة بالتوريق.

4 – في الوقف على الكراسي العلمية للمساجد الخاصة بتدريس غير الرسالة.

المطلب الأول
الوقف على الكراسي العلمية
للمساجد الخاصة بتدريس الرسالة القيروانية

من الثابت، أننا نجد عدة مساجد بفاس تدرس بها رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وهي :

1 – مسجد سيدي عبد الرحمن المليلي.

2 – مسجد الخل من جزاء ابن برقوقة.

3 – مسجد جزاء ابن عامر.

4 – مسجد ابن سمعون.

5 – مسجد العقبة الزرقاء الأسفل.

6 – مسجد سيدي تميم بدرب الغرباء.

7 – مسجد الشرابليين الصغير.

8 – مسجد الشرابليين الكبير.

9 – مسجد الديوان.

10 – مسجد باب عجيسة.

11 – مسجد الدرب الطويل.

12 – مسجد عقبة ابن صوال.

13 – مسجد رأس الجنان الأعلى.

أما المسجد الأول، وهو مسجد سيدي عبد الرحمن المليلي، فيوجد برحيبة ابن زروق، وقد ذكرت له الحوالة العبد الرحمانية(543) عدة أوقاف، من بينها :

– حظ من حانوت بالقشاشين مع حظوظ لثلاث حوانيت أخرى.

– حظوظ من حانوتين بسوق الحزامين الذي هو الآن : المرقطال.

وقد حبس ذلك الشريف المنعم مولاي عبد الرحمن العراقي الحسيني على من يقرأ رسالة ابن أبي زيد القيرواني بالمسجد المذكور في الأشهر الستة : أشهر الشتاء، وأشهر الربيع، ويعطى للقارىء من مستفاد الحظوظ المذكورة 15 أوقية في كل شهر من الأشهر الأخرى الستة.

ويشترى من المستفاد المذكور شمعة وزيت لمصباح واحد، يوقدان بمجلس الاقراء المذكور لا غير، وما فضل من المستفاد المذكور بعد إخراج هذه المعينات، يفرق على أحفاده : ذكورا وإناثا من أولاده الذكور والإناث وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم من الذكور فقط ما تناسلوا، وامتدت فروعهم حسبما ذلك منصوص عليه برسم وصية الشريف المذكور المنتسخة

---

543) ص 144.

بالحوالة الجديدة بورقة ذكر أوقاف المسجد أعلاه... وإلى جانب أوقاف الرسالة توجد أوقاف للحزابين : قراء القرآن الكريم بهذا المسجد.

وأما المسجد الثاني، وهو مسجد الخل من جزاء ابن برقوقة، فقد ذكرت الحوالة السليمانية(544) من أوقافه :

- حانوتا برحبة الزرع من رحبة التبن، كما سبق أعلاه.

وأما المسجد الثالث، وهو مسجد جزاء ابن عامر أسفل المكتب، ويقابل زنقة ابن سليمان، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية من أوقافه : عدة حظوظ من حوانيت للحزابين به من حيث الانتفاع بها(545) ولكنها لم تشر إلى أوقافه المرصودة على الرسالة : مثلما لم يذكر أوقاف الرسالة به الدكتور التازي في كتابه جامع القرويين.(546)

وأما المسجد الرابع، وهو مسجد ابن سمعون بحومة العيون، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(547) من أوقافه ما يلي :

- دار تتصل بسقاية رشم العيون عن يسار الشارب منها على كرسي الرسالة.
- دويرة يسرة خارج زنقة ابن سمعون، تقابل الدار قبلها، والسقاية أيضا.
- حانوت يسرة الداخل لدرب ابن سمعون من ناحية عقبة العيون.
- حانوت بالصوافين يمنة الخارج من زنقة فندق الصوافين.

---

544) ص 65.

545) ج 2 ص 391.

546) ص 71 ـ وص 204 من الحوالة الإسماعيلية ج 2.

547) ميكروفيلم رقم 159 ج 2 ص 209.

- قصاري بدار دباغة جرنيز متصلات بعضها ببعض.
- ثلث حانوت يسرة المنعطف من سويقة ابن صافي.
- مصرية يمنة المنعطف من درب ابن سمعون لناحية درب ابن شلوش محملة على أروى متهدمة.
- حانوت يمنة الهابط من العقبة الزرقاء.
- حانوت يمنة المنعطف من القطانين.
- حانوت يمنة الخارج من الزنقة الأولى من درب الأقواس للنخالين، وهي زنقة طراز الشامي.
- ثلثا جلسة حانوت بالطرافين، يمنة المنعطف من ناحية كوشة سيدي العواد، وسوق التبن.
- ربع حانوت بالعطارين يمنة خارج تربيعة كَراوة عوض بدار أدخلت بدار ابن فارس.
- نصف أروى وجميع المصرية المحملة عليها، وفي شركة مسجد ابن عباد لنصف الأروى الباقي بالزنقة المتصلة بالمكتب المحمل على المسجد الأول، تاريخ الأشهاد فيها أوائل ربيع الثاني عام 1252هـ.

وأما المسجد الخامس، وهو مسجد العقبة الزرقاء الأسفل، فقد ذكرت الحوالة الإسماعيلية.(548) من أوقافه ما يلي :

- دار بالدويرة الجديدة بالقلقليين.
- حظ بتربيعة عميرة المقابلة لمسجد السمارين، وقد كان هذا المسجد من قبل لقراءة صحيح البخاري وكان بيد الفقيه سيدي محمد الطاهري الحسيني - ربع كسر من تربيعة عميرة المقابلة لميضأة السمارين.(549)

---

548) انظر الحوالة السليمانية 160.

549) ص : 87.

وأما المسجد السادس، وهو مسجد سيدي تميم بدرب الغرباء من جرنيز، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(550) من أوقافه ما يلي :

– حانوتان تحت المصرية الكائنة بالزنقة الأولى يسرة الداخل لزنقة ابن جامع أسفل الولي الصالح سيدي أبي الرجاء على قراءة الرسالة.

– نصف جلسة حانوت بسوق الشعير ورحبة الزرع، حبس على شراء الزيت لو قد مصباحين، أحدهما لقراءة العلم بالمسجد المذكور بين العشائين، والثاني بالساباط التي بقرب المسجد في الوقت المذكور وما فضل يأخذه المؤذن، إضافة إلى ما حبس على الرسالة، فهناك أوقاف على قراء الحزب القرآني الكريم بالمسجد أعلاه – وتتمثل في :

– دار نصفها بسيدي موسى بأقصى الزنقة المجاورة للمسجد، وتجاور الحاج العربي.

– حظ من حانوت بالعطارين.

– حظ رحى المزدع في شركة القرويين بالأصل، وزاوية المعادي والصادقيين في الجلسة والإقامة.

– ربع دويرتين للصمالي.

– ربع طراز وأروى ومصرية بظهر الفرن يمين الداخل لدرب ابن غامرة.

– دار ومصرية بزنقة العنوز من أحباس بن إسماعيل، وعدة حظوظ من حوانيت، توجد مواقعها بالحوالة مع نصف غابة الزيتون بالمزبلة من لمطة.

وأما المسجد السابع، وهو مسجد الشرابليين الصغير، فإن مما يدرس على كرسيه – أساسا – رسالة ابن أبي زيد(551) وقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(552) من أوقافه ما يلي :

---

550) جامع القرويين ج 2 ص 395.

551) ص 101.

552) في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 396.

- دويرة بأسفل درب بوحاج مشرفة على رحبة الماء عوضت بحظ من جلسة حانوت يسرة الشارب من سقاية الصاغة، وهي المذكورة بترجمة الإمام.

- ثلثا طراز بدرب اللبن يمنة المنعطف الداخل للدرب المذكور، عوضا بحظ من مصرية ابن عبد القادر الأول يمنة الداخل لدرب عبد الكريم، وبحظ من حانوت 5 يسرة المنعطف لسوق باب السلسلة وقدره : الخمس الواحد شائعا في جسلتها والثلث الباقي من الطراز من أحباس المنار وجميع الطراز المذكور عوض ببيع المصرية المذكورة.

- جميع الدار الكائنة بدرب عبد الكريم من حومة الشرابليين، تجاور باب المسجد الصغير، وتجاور في القديم دار بنشقرون، والآن دار البقالي.

وأما المسجد الثامن، وهو مسجد الشرابليين الكبير، فقد كان يعرف في الحوالات الوقفية القديمة باسم مسجد الصفارين الذي يقع بالشناكين، وهو من المساجد المهمة من الجهة التعليمية، لوقوعه في نقطة متحركة من المدينة، وفيه ثلاثة كراسي :

الأول للرسالة وحبسه بالمحاصة، وقد أوضح الدكتور التازي(553) أنه تعطل في بعض الأوقات للخراج الذي أخذ يضعف بمرور الزمن مع كثرة الصاير على الجامع، وفي جملة الذين عرفوا بهذا الكرسي : أبو عبد الله محمد بناني.

والثاني لكرسي النحو، وقد كان حبسه بالمحاصة كذلك.

والثالث لكرسي التجويد الذي كان حبسه بالمحاصة كذلك.

وأما المسجد التاسع، وهو مسجد الديوان، فقد تحدثت عن أوقافه الحوالة العبد الرحمانية(554) فيما يلي :

---

553) ص 122.

554) ص 132.

– حظ حانوت 4 يسرة المنعطف من الحرم الإدريسي من ناحية الميضة : المرقطال القديم المعروف الآن بالمجادليين، حبس على سامرة محجة مسجد الديوان.

– نصف جلسة حانوت 3 يسرة المنعطف من سماط الصرف لحراري الجعبة مع التي قبلها أثلاثا، الثلثان للمدرس أعلاه، والثلث للمؤذن من وصية الحاج عبد القادر بن الحاج عبد السلام بن طاهر السلاسي.

– نصف سبعة أعشار، وثلث ربع العشر من جلسة حانوت 10 يسرة الداخل لسوق البالي.

– حظ من دار الطالعة المذكورة مشتركة أعلاه بين الإمام، والمؤذن، والحزب.

وأما المسجد العاشر، وهو مسجد عجيسة، فقد بينت الحوالة العبد الرحمانية(555) أوقافه فيما يلي :

– حانوت بعين علون يسرة خارج مسجد الارازين.

– نصف حانوت بالعطارين السفلى يمنة خراج زنقة الديوان.

– حانوت بسوق البرادعيين من باب السلسلة.

– فدان بسهب الغزلان، حبس على قراءة الرسالة بالمسجد أعلاه.

– فدان آخر باللواجريين.

– خمسا دويرة بدرب أولاد ابن أبي بكر بباب الجيسة.

– حانوت بباب درب بوحاج مجاورة للمكتب وباب المسجد.

– سدس مصرية بزقاق الرمان.

– جزاء في رسم سيدي إدريس الشريف.

– كهفان خارج باب الجيسة بين الفدانين.

555) ص 138.

- ربع حانوت يسار الخارج من زنقة ابن والال.
- ربع حانوت بوسط عقيبة السبطريين، تقابل باب الجنائز بانحراف.
- زيتون بتاجروت بجنان حمودة.
- جزء قاعة بالزنقة المقابلة لدرب المريني.
- حظ حانوت بالقيسارية أصل قدره : النصف بقبيبة الصديني في شركة المساكين في رسم حم الوزير.
- حانوت بالشناكين بأعلى التيالين، يمنة خارج درب عبد الكريم.
- حظ من حانوت سادسة يمين الداخل للعطارين من ناحية المدرسة.
- حانوتان يسرة الخارج من الزنقة المقابلة لمسجد ماشان بزقاق الحجر.
- جميع الفندق الكائن بأسفل الصفارين المتصل بباب درب طلوقة، ويجاور زنقة طلوقة من أعلاه، ومن أسفله دويرة مسجد ابن عمران، وحانوت الكهف التي للقرويين، ويقابل بانحراف وجه الآتي من ناحية وسعة الصفارين لناحية الفحامين، حبس على الطلبة قراء الحزب القرآني الكريم بالمسجد أعلاه.

وأما المسجد الحادي عشر، وهو مسجد درب الطويل، فمن أوقافه :

- حانوت.
- ربع حانوت بالسمارين.
- ربع دار.
- بقعة أرض جزاء، انظر عناوينها بالحوالة العبد الرحمانية.(556)

وأما المسجد الثاني عشر، وهو مسجد عقبة ابن صوال الأعلى، فقد قال عنه الدكتور التازي.(557)

---

556) في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 398.

557) ص 77.

«إنه يقع على هذه العقبة، وهو المسمى بسيدي ابن عمران، وهو غير مسجد سيدي (بغداد) في درب تريال، وقد كان مجاورا لدار مولاي إدريس ابن عبد الهادي العلامة المعروف، وكان هذا الكرسي معدا لقراءة الفقه (الرسالة) والحديث (البخاري) وقد عرفنا من أوقافه : دويرة، ومصرية :

وقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(558) أهم أوقافه نذكرها فيما يلي :

- جلسة حانوت بسوق القصر من طالعة فاس، أصلها للمدرسة العنانية، وهو المعروف بسوق الزرع، تتصل بحانوت المدرسة بالقش على من يقرأ كتاب الشمائل من تحبيس مولاي زيان المريني.
- مصرية يمنة الداخل للزنقة الضيقة يمنة الخارج من فندق البركة، حبس على من يقرأ بالمسجد المذكور سيدي البخاري في الأشهر الثلاثة رجب وتالييه ويقرأ أيضا رسالة ابن أبي زيد، عوضت بحظ من جلسة الحانوت الكائنة بالعطارين الكبرى المقابلة لحراري الشرابة من الحرم الإدريسي وقدره : أوقيتان وثمن الأوقية، وتسعة أفلس.
- دويرة بالصفارين بالزنقة المقابلة وجه الداخل لها، وهي الزنقة يمنة الخارج من فندق حبس مسجد عجيسة من تحبيس مولاي الناصر المريني على الرسالة.
- جلسة رحى عقيبة السبع يمنة الهابط من الدرب من ناحية الدوح، فالقطعة في شركة القرويين بأصلها.

وأما المسجد الثالث عشر، وهو مسجد رأس الجنان الأعلى، فقد قال عنه الدكتور التازي(559) أن الحوالات ذكرت عنه أن به وقفا على قراءة

558) في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 394.

559) نفس المرجع أعلاه ج 3 ص 691 هامش 132.

الرسالة طوال أشهر الشتاء، إلا أنه لم يعين هذا الوقف، ثم قال عنه : إن فيه كرسي علم... وكان من جملة المراكز التي تستأثر بالنفار في شهر رمضان.(560)

وبإجالة النظر في أوقاف هذه المساجد التي تدرس رسالة ابن أبي زيد القيرواني، نجد فيها الوقف قد أدى مهمة جليلة لاستمرار تعليم الناس فيها شؤون دينهم، مما جعلهم يرتبطون بها للاستفادة منها ارتباط الظل بالإنسان، وإذا كانت هذه المساجد خاصة بتدريس الرسالة، فهناك مساجد أخرى تدرس الرسالة إلى جانب قيامها بالتوريق في عدة مواد، وهي ما سنذكرها في المطلب التالي :

المطلب الثاني

الوقف على الكراسي العلمية

بالمساجد الجامعة بين تدريس الرسالة والتوريق

إن المساجد التي تجمع بين تدريس الرسالة القيروانية إلى جانب التوريق، هي :

1 – مسجد الميزاب.
2 – مسجد السمارين بالرصيف.
3 – المسجد الأكبر للرصيف.
4 – مسجد سويقة ابن صافي.
5 – مسجد درب البواق.
6 – مسجد ماشان بزقاق الحجر.
7 – مسجد عقبة ابن صوال الأعلى.

وسنرى أن هذه المساجد قد رصدت لها أوقاف من أجل القيام بمهامها في التدريس.

---

560) نفس المرجع أعلاه ج 2 ص 401.

أمـا المسجد الأول : وهـو مسجـد الميـزاب، أو مسجد مـولاي عمـر بالأقواس، فقد قال عنه الدكتور التازي(561) إنه يعد من الكـراسي القديمة، وجـدد من قبل أبي الحسن علي بـن أحمد بن أبي بكـر الكنـاني القـرطبي الطليـطلي الأصل الذي استوطن فاس وعرف بابن حنين (ت596هـ).

وقد كان لتدريس الفقه (الرسالة والمرشد) بالإضافة إلى التوريق، وممن كـان بيـده من الفقــهاء : السيـد أحمـد سكــيرج الذي كــان يتصرف في خمس بقـاع.

وقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(562) من أوقافه ما يلي :

- مصرية بزنقة النعجة بالأقواس، تجاور دار الغول الزرهوني.
- نصف أصل حـانوت بسـوق البرنس ثالثـة عن يمين الداخل لـه من العطارين.
- دار بالرميلة بين المدن، تجاور دار سيدي أحمد بن يحيى.
- أعواد من الزيتون بظهر المصلى بباب الفتح.
- أروى بالزنقة المتصلة بالمسجد، وتقابل الحمام بانحراف.
- حانوت بصفـاح العدوة، تقابل باب الفرن الـذي هناك، ودار المكودي على الرسالة.
- بيت أروى عن يمين الداخل لـدرب وادي عبود مقابلة لـدرب سدراتة على الرسالة.
- ربع حانوت برأس الشراطين في شركـة مولانا إدريس والجزاء بجانب الإمام بالمسجد المذكور على الرسالة.

---

561) ص 38.

562) جامع القرويين، للدكتور التازي ج 2 ص 395.

وأما المسجد الثاني، وهـو مسجد السمارين بالرصيف، فيعرف عند العامة بجامع البستيونية بين الـرصيف وبين قنطرة الطرافين، وقد كان فيه كرسي لقرآة الرسالة والتوريق.

وممن عرف الكرسي بيده الطـالب عبد الرحمن هارون(563) وقد ذكرت الحوالة الإسماعيلية(564) من أوقافه : نصف مصرية تتصل بمسجده.

وأما المسجد الثالث، وهو المسجد الأكبر للرصيف، فقد سبق القول أن الدكتور التـازي أوضح فيه : إن «مما صحب المسجد منذ تأسيسـه كرسيا في الفقه درس عليه رسالة الشيخ القيرواني بـالإضافة إلى الاكتفاء، للكلاعي (ت 634هـ) لكن الحال لم يلبث أن تطـور في هـذا الجامع وغدت لـه كـراسي أخرى، ومجالس فيها ما كان خاصا بـالنحو، ومن أبرز أساتذته : الأستاذ سيدي محمـد التازي(565) المعـروف بمسواك الـذي ذكـره صاحب سلـوة الأنفاس...(566)

وبالنظر إلى ما أوردته الحوالة العبد الرحمانية من جرد لأهم أوقاف هذا المسجد بما فيها الكـرسي الخاص بالفقه والخاص بغيره، أبانـت : أن الرباع الموقوفـة على المسجد المذكور كلها حـديثة الدخول، وأنها كثيرة جـدا، منها حـوانيت، وحظوظ منهـا، ومنهـا ما هـو خـاص بالمؤذنين على قيـام الليل، وحظوظ حوانيت في شكل جلسـات، ودور، ومصاري، وأروية، وحظوظ في ديـار، وفنادق، وحمامـات، وأطرزة، وأجنـات، وأشجـار الزيتـون، وأراض خارج باب الفتح، وباب عجيسة.(567)

---

563) ص 240.

564) في جامع القرويين ج 2 ص 394.

565) انظر السلوة ج 1 ص 264.

566) الحوالة العبد الرحمانية ص 69 ـ 70.

567) الدكتور التازي في كتابه جامع القرويين ج 2 ص 395 وهامش 120 ص 409 ج 2.

وأما المسجد الـرابع، وهو مسجد سويقـة ابن صافي، فإنه كان أيضا خاصا بتدريس الفقه والرسالـة، وكذلك التوريق، وقد كان من بين الأساتيذ الذين كانوا يدرسون على كرسيه أخيرا : الشيخ المولى العباس الأمراني(568) غير أننا لم نعثـر على من ذكر أوقافـه، سواء عنـد الدكتور التـازي، أو عند غيره مما وقفنا عليه من المصادر والمراجع المعنية بهذا الأمر.

وأما المسجـد الخامس، وهو مسجـد درب البواق، فهو من المساجد المعهود إليها بتدريس الرسالة، وكـذلك بالتوريق، إلا أنه لم يبق من أوقافه (أيام المولى عبد الرحمن) إلا نصف طـراز بفاس بباب السلسلـة محمل علي حوانيت الحدادين، كما نصت على ذلك الحوالة الإسماعيلية.(569)

وأما المسجد السادس، وهو مسجد ماشان بزقاق الحجر، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية جردا لأهم أوقافه، وهـي كما يلي :

– ربع جنان ببـاب الحديد بإلحاء المهملة في شركة الشريف سيـدي عبد الكريم العـراقي بالباقي، ويجاور جنـان ابن سودة والشـامي على التوريق بمسجد ما شان بعد صلاة الصبح.

– نصف دويرة بأعلى شـارع زقاق الحجر بالـزنقة التي بأسفل ضريح سيـدي عبد الـوارث، تجاور دار ابن حيون، حبـس على تدريس الـرسالـة بالمسجـد أعلاه بين العشـائين في أشهر الشتـاء، وفي شركة حـزابي مسجد الشعراني.

– نصف جلسة حانوت يسرة خارج زنقة زاوية التيالين، وزاوية مولانا عبد القادر الجيلالي رضي الله عنه، هابطا بعين علون، وفي شركة توريق ظهر صومعة القرويين على التوريق بالمسجد أعلاه بعد صلاة الصبح.

568) ميكروفيلم رقم 159 ج 2.

569) الحوالة العبد الـرحمانية ص 109 ميكـروفيلم رقم 163 قسم الوثائق والمخطـوطات بالخزانة العامة بالرباط.

– الثلثان الاثنان من الطراز الكائن بصومعة جرنيز المحمل على الحوانيت، وهي الأولى يسرة المنعطف لوسعة جرنيز المصاري على توريق سيدي الكلاعي بالمسجد أعلاه من تحبيس التاجر الحاج المعطي بن الحاج الطيب بوهلال، والثلث الباقي حبس على الحزابين بمسجد درب البواق.(570)

وأما المسجد السابع، وهو مسجد عقبة ابن صوال الأعلى، فقد سبق القول فيه وفي أوقافه في أحد المساجد بالمطلب الأول، ولذلك لا نطيل بذكره مرة أخرى.

ومما تقدم، نتبين : أن الوقف كان له أطيب الأثر بالنسبة لتدريس الرسالة القيروانية، وكذا غيرها من الكتب الهامة في الفقه والسيرة وغيرهما.

وإذا كان للوقف أثره الهام في تدريس الفقه، وخاصة رسالة ابن أبي زيد، وكذا في التوريق، فإن له نفس الأثر في التوريق بالمساجد الأخرى، وهو ما سنعالجه في المطلب التالي :

المطلب الثالث

دور الوقف في الكراسي العلمية بالمساجد الخاصة بالتوريق

إن هذا المطلب يحتوي على 17 مسجدا كلها خاصة بالتوريق، وقبل التعرض لهذه المساجد، ينبغي ذكر معنى التوريق.

ومعنى التوريق، هو قراءة كتاب ما في الوعظ والرقائق بصوت حسن النغمة أمام مجموعة من الناس قبل الصلاة بقليل، أو بعدها مباشرة، بغية وعظهم وإرشادهم.

وظاهرة التوريق هذه، تكاد تكون عامة في مساجد المغرب من قبل، وإلى الآن.

---

570) ص 140.

والغاية من التوريق، هي ترديد موضوعات مادة ما على أسماع الحاضرين.

وغالبا ما يكونون من عوام الناس - بصوت واضح ومتأن، حتى يصادف ذلك إقبالا منهم.

بعد هذا، نذكر المساجد المعروفة بالتوريق، ونقتصر منها على مساجد فاس للاختصار، وإلا لو أردنا أن نذكر جميع المساجد الموجودة بغير فاس، لأدى بنا ذلك إلى التطويل، وهذه المساجد، هي :

1 - مسجد الشوك.
2 - مسجد سيبوس.
3 - مسجد المزدغي.
4 - مسجد العبادسة.
5 - مسجد باب درب الشيخ.
6 - مسجد ابن صكوم.
7 - مسجد سيدي حبيب.
8 - مسجد سيدي المخفي.
9 - مسجد وادي رشاشة.
10 - مسجد دار دباغة.
11 - مسجد أو جامع سيدي امحمد اللزاز بالطالعة.
12 - مسجد زقاق الماء.
13 - مسجد زقاق الرواح.
14 - مسجد بوعقدة.
15 - مسجد الأرازين بعين علون.
16 - مسجد عين الخيل.
17 - مسجد درب الخطار.

أما المسجد الأول، وهو مسجد الشوك، فقد كان هو المسجد الأول الذي ساقته الحوالة العبد الرحمانية في عداد مجموع المساجد ذات الكراسي التي بمساجد فاس عدا القرويين والأندلس، ومسجد الشرفاء، فقد نصت على أن كرسي جامعه هو لتوريق المديوني حسب ما هو مذكور بترجمة المسجد المذكور داخل الحوالة(571) إلا أن الدكتور التازي قال عنه :

«وهو في حومة بين المدن، وقد كان الكرسي (الموجود فيه) للتوريق في كتاب المديوني إلا أنهما لم يذكرا معا أوقافه بل نصا على أنه للتوريق،(572) مما يجعلنا نكتفي بذلك في هذا المسجد.

وأما المسجد الثاني، وهو مسجد سيبوس أو سيدي بوس بالصفاح، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية من أوقافه ما يلي :

- دار بالكدان بزنقة الفرن تجاور دار القائد أبي علي الروسي.
- حانوت بأعلى البلاعة، مجاورة لحانوت الحرارين بالمسجد أعلاه، تقابل السقاية الجديدة.
- حانوت بالرصيف.
- حانوت بعقبة الجزارين في شركة حبس حزابي جامع الأندلس.

هذا بالنسبة لأوقاف كرسيه، وأما بالنسبة لأوقاف الحزابين بمسجده، فهي :

- دار وحانوت بالقراقين بالرحيبة يسرة الداخل للقراقين من موقف الدلالين بالمقيد أعلاه.
- دار وحانوت وربع دار مع ثلث دار.(573)

---

571) ج 2 ص 397.

572) ص 37.

573) ص 42.

وأما المسجد الثالث، وهو مسجد المزدغي، فقد قال عنه الدكتور التازي :

«المزدغي من أعيان علماء القرويين، وقد نسب المسجد إليه، لأنه كان يلقي فيه دروسه، وقد اقتصر الكرسي في الأعوام الأخيرة على التوريق، بينما الحوالة العبد الرحمانية أوضحت أن لا شيء فيه من الكراسي.(574)

وأما المسجد، الرابع، وهو مسجد العبادسة، فقد صرح الدكتور التازي عنه بأنه من كراسي العدوة على مقربة من درب مشماشة، وقد كان للحديث الشريف في صحيح الإمام البخاري، وقد كانت خزانة المسجد على صغره – تضم نسخة من البخاري في عشرين جزءا.(575)

وأما المسجد الخامس، وهو مسجد باب درب الشيخ، ففيه كرسي، إذ قال عنه الدكتور التازي : «هذا الكرسي أوقافه تنص على أن الأستاذ فيه يورق في ثلاثة كتب : كتاب تنبيه الغافلين، للسمرقندي(576) وكتاب الترغيب والترهيب، للمنذري(577) وكتاب الروض الفائق، للحريفش (801هـ)، فنلاحظ أن الأستاذ التازي ذكر أن أوقافه تنص على أن الأستاذ يورق على الكتب المذكورة أعلاه، ولكنه لم يتعرض لذكر هذه الأوقاف.

وبمراجعة الحوالة العبد الرحمانية(578) التي ذكرت الكراسي التي بمساجد فاس عدا القرويين والأندلس ومسجد الشرفاء، لم نجد فيها ذكرا لأوقاف كرسي هذا المسجد، إلا أنه ورد التنصيص فيها على الكتب التي تورق عليه،

---

574) ج 2 ص 298.

575) ص 140 ـ 142.

576) جامع القرويين ج 2 ص 397.

577) ص 108.

578) ج 2 ص 397.

وهي نفس الكتب التي أوردها الدكتـور التازي، ولهذا نكتفي بما ورد فيها، تاركين ذكر أوقافه للبحث المستقبلي الذي سيكشف عنها.

وأما المسجد السادس، وهـو مسجد ابن صكوم، فقد قال عن كرسيه الدكتور التازي «وهذا كرسي آخر من كراسي حومة سيدي العواد، وقد عرف من الكتب الموقوفة عليه : تنبيه الغافلين، لأبي الليث السمرقندي، والتسهيل والتقريب، للقاضي الرصـاع».

وقد كان من أوقافه دار بالقطانين، ومن العلماء الذين تصدروا للتدريس فيـه أبـو عبـد اللـــه محمـد بن أحمد بن زكـري»(579) أمـا الحوالة العبـد الرحماينة، فقد تعرضت لأوقافه.(580)

وأما المسجد السابع، وهو مسجد سيدي حبيب بالمخفية، فقد ورد في الحوالة العبد الـرحمانية(581) ذكـر لأوقاف هـذا المسجـد عـامة، وأوقـاف الأستاذ المورق فيه خاصة، حيث نصت على أوقاف الإمام والمؤذن، إذ ذكرت أوقافهما، وهي عبارة عن دور وبقع وأجنة وجلسات، كما نصت على أوقاف كرسي التوريق بالمسجد أعلاه، حيث ذكـرت أن أوقافه عبارة عن دويرة عن يمين الداخـل لزنقة جموع بـالبليدة بجـانب الإمام على قـراءة بعض الكتب بالمسجد المذكور.

وأما المسجد الثامن، وهـو مسجد سيدي المخفي، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية أوقافه(582) سواء منها ما كان لقراءة الحزب القرآني، أو ما كان للتوريق فيه، وهذه الأوقاف، هي كما يلي :

---

579) ص 108 ـ 47.

580) ص 52 وانظر ما قاله عنه التازي في جامع القرويين ج 2 ص 392.

581) ـ ص 53.

582) ج 2 ص 392.

- حانوت أصلا وجلسة يمنة المنعطف من القطانين للشطاطبيين بها جزار من تحبيس الشامي على الحزب.

- جلسة حانوت بالرصيف الأكبر، تقابل السقاية الجديدة الكبرى بانحراف، وتقابل الباب المتصلة بانحراف من تحبيس الشامي على الحزب أصلها للمدارس.

- جميع جلسة حانوت رابعة عن يسار الخارج من الحرم الإدريسي للمركَطان القديم، والآن بسوق المجادليين من تحبيس الشامي على الحزب.

- أصل حانوت برحيبة ابن زروق عن يمين الخارج من زنقة دار الكرمة، حبس على قراءة كتاب ابن النحاس في السيرة النبوية وغيره بالمسجد المذكور أعلاه.

- سبعة أثمان جلسة حانوت بالنخالين عن يمنة المنعطف من الرحيبة، مارا لناحية بين المدن. ثم كتب إشهاد بأسفل ما ذكر من طرف إمام المسجد سيدي عبد السلام بن سيدي عبد الرحمن الخصاصي : أن جميع الأماكن المشار إليها أعلاه لا شيء له فيها، سوى الانتفاع بخراجها، تاريخ الإشهاد عليه بذلك 28 رجب عام 1247هـ.

وأما المسجد التاسع، وهو مسجد وادي رشاشة، فقد ذكر عن كرسيه الدكتور التازي وعن المسجد الواقع فيه أنه : يقع هذا الكرسي أيضا في مركز مكتظ بالبيوت من مختلف المستويات، وتنص الحوالات على أنه كان في الأصل للتوريق، ولكنها ذكرت أن خزانة المسجد كانت تتوفر على عدة مخطوطات منها السمرقندي (373هـ) وأبو نعيم (430هـ) والغزالي (505هـ) وابن الجوزي (597هـ) والشعراني (973هـ). وأما أوقافه فلم يتعرض لها...

وأما المسجد العاشر، وهو مسجد دار دباغة، ففيه كرسي للتوريق، أيضا، وقد ذكر الدكتور التازي في كتابه جامع القرويين(583) أنه كان لهذا الكرسي أوقاف وعلاوات، وأن الفقيه الذي كان يتصدره يحظى من لدن العمال وأرباب المعامل بحظوة وتقدير ما عليهما من مزيد، بيد أنه لم يشر إلى هذه الأوقاف.

وأما المسجد الحادي عشر، وهو مسجد أو جامع سيدي امحمد اللزاز بطالعة فاس قرب المدرسة العنانية، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية جردا لأهم أوقافه، وهو عبارة عن عدة جلسات لحوانيت ونصف مصرية وربع دار، ونصف دار، وثلث خزانة، وثلاثة أنصاف ثلاثة ديار، وحظ برحى، وجميع الفندق الكائن بوسط رحبة الزرع من طالعة فاس عن يمين الطالع لباب الشريعة، تجاور دار القباب والقصبة الجديدة، على المؤذن والقارىء بكرسي المسجد المذكور أعلاه، وعلى قراءة إمام المسجد سورة الكهف كل يوم جمعة بعد صلاة العصر وبعد ختم السورة المذكورة، يقرأ سورة الإخلاص 11 مرة ويصلي على النبي ﷺ بهذه الصلاة المباركة عشر مرات وهي اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وشرط المحبس في رسم التحبيس أن يكون الطلبة الحزابون ستة من غير زيادة ولا نقصان، وقارىء سورة الكهف وما أضيف إليها إثنان فقط.

ويقسم أجزاء الفندق المذكور أجزاء :

للمؤذن 8 أجزاء.

ولطلبة الحزب 24 جزءا.

وللكرسي 5 أجزاء.

ولقراءة سورة الكهف 3 أجزاء، حسبما ذلك بالحوالة الوسطى.

583) ص 105.

ووقع الإشهاد بذلك في 6 شعبان عام 1245هـ على إمام المسجد، وهو سيدي الحبيب بن سيدي هاشم العلوي المدغري، وسلم الأماكن لمن ذكر أعلاه، ولا شيء له فيها عدا الانتفاع بخراجها.

وأما المسجد الثاني عشر، وهو مسجد زقاق الماء، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(584) جردا لأهم أوقافه والتي تتعلق بإمام المسجد أعلاه، وقراء حزب القرآن العظيم به، والتوريق، والتدريس، والزيت والإصلاح، وهي كما يلي :

– حانوت عن الخارج من دار ابن صلاقة المقابلة وجه الخارج من زقاق الماء للشرابليين، وتقابل درب الحبابي متهدمة حبس على الكرسي.

– حانوت تليها متصلة بها، وتقابل درب الليالي.

– حانوت تقابل المكتب الذي بأسفل درب زقاق الماء، وهي يمنة الخارج من ميضأة مسجد سيدي جبل مع جلستها.

– خزانة بدار دباغة شوارة.

– حانوت يمنة الخارج من زنقة الرحى بالشرابليين، حيث أدخلت بمسجد الشرابليين حين أقيمت به خطبة الجمعة عام 1184هـ.

– مصرية محملة على مكتب زقاق الماء حبس على الرسالة.

– دويرة عن يمين الخارج من الزنقة الأولى عن يمين الخارج من فرن زقاق الماء بين الإمام والمؤذن.

– حانوت بتربيعة الكرمة التي هي الآن بسوق الفراش (بالقنت) يمنة الخارج منها لموقف الدلالين على التوريق.

– جلسة حانوت بباب السلسلة رابعة يمنة الخارج من زنقة الرحى التي هنالك، وفي شركة حبس «انفوا» على التوريق.

---

584) ص 106.

- بلاد حرث قرب سيدي عميرة حبست على تدريس الرسالة بالمسجد أعلاه.
- قسمات ثلاث بصواغة على تدريس الرسالة أيضا.
- ربع غابة زيتون بخندق حمام.

وأما المسجد الثالث عشر، وهو مسجد زقاق الرواح، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(585) جردا لأهم أوقافه، وهي كما يلي :
- دويرة بزقاق الرواح، تجاور دار الطنجي.
- ثلث أصل رحى بعقيبة السبع أسفل الدوح.
- أعواد من الزيتون بباب بوشتاتة.
- بقعة أرض جزاء، وهي أرض الأعواد المذكورة.
- جلسة حانوت بالغمادين.
- جلسة حانوت بـ : «القنت».
- دويرة تجاور مسجد زقاق الماء.
- زيتون بدار ابن عمرو، عوده : 60 عودا في شركة الحاج عبد الرحمن ابن الفقيه وسيدي قدور العراقي من وصية مكوار لوقود مسجد زقاق الرواح.
- زيتون بحجر البرغازي، كما ذكرت نفس الحوالة أوقافا على قراءة حزب القرآن العظيم.

وأما المسجد الرابع عشر، وهو مسجد بوعقدة، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(586) جردا لأهم أوقافه، وهي :

---

585) ص 112.

586) ج 2 ص 389.

- جلسة حانوت بحراري الجعبة بالزنقة العليا، وهي الأولى عن يسار المنعطف له من سوق السباط.

-طراز محمل على أروى الحاج العياشي شادان ببوعقدة.

- أروى ببوعقدة تجاور أروى مولانا إدريس مع أروى أخرى، تجاور باب درب دار شادان محمل عليها بيت من داره.

وأما المسجد الخامس عشر، وهو مسجد الأرازين بعين علون، فقد ذكر عنه الدكتور التازي في كتابه جامع القرويين(587) أن الحوالة 974 قد رددت كرسيا بمسجد الأرازين الذي يقع في (عين علون) بين المتاجر والمصانع، وقد كانت هناك أوقاف معروفة على الكرسي، وعلمنا أن من الكتب التي كانت تقرأ عليه : شهاب الأخبار في الحديث الشريف للقضاعي، وكذلك شرح الحكم العطائية، لابن عباد، ولكنه لم يشر إلى نوعية هذه الأوقاف، ولا ذكر جردا عنها.

وأما الكرسي السادس عشر، وهو كرسي عين الخيل، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(588) جردا لأهم أوقافه، سواء منها المتعلقة بالحزابين به، أو بالوراقين على كرسيه، وهي كالتالي :

أروى بعين الخيل، تجاور مصرية الزراري والفندق، وتقابل باب المسجد المذكور للحزامين من تحبيس الحاج محمد لحلو.

- دار قرب الكلاعي بالزنقة التي تحت الفرن يسرة الداخل للزنقة المذكورة عوضت بنصف جلسة الملاحين أسفله.

- دار بزقاق الرمان بالدرب الثاني فوق الفرن، وهي يسرة الداخل للدرب المذكور، تجاور دار بنونة متهدمة.

---

587) ص 117.

588) ج 2 ص 393.

– دار بزنقة الحجامين يمنة الداخل للزنقة، تجاور مصرية هرشون المحملة على حوانيت علون.

– غابة زيتون قرب سيدي موسى الراعي في شركة سيدي أحمد الشامي والسلاوي على قراءة كتاب الحريفش بالمسجد أعلاه.

– دار بالبليدة، تجاور دار بناني متهدمة.

– جلسة حانوت تجاور عين علون أسفلها، والثانية تليها.

– ثلث حانوت برحبة الزرع بعين الخيل في شركة مسجد درب المرنيسي، وزيت مسجد عين الخيل على قراءة الحريفش.

– جلسة حانوت ثالثة يسرة الداخل لجوطية البالي من العطارين مختصة بالكلاعي أيضا.

– جلسة حانوت برأس التيالين بالدلالين ذات بابين مختصة بقارىء الكلاعي، وشدت إحدى بابيها.

– جلسة حانوت يمنة المنعطف من باب الملاحين الفخارين قرب حرم مولانا إدريس عوضت بها الدار التي قرب فرن الكلاعي بزقاق الرمان المذكورة أعلاه.

– نصف دار بملاح فاس الجديد، وهي المعروفة بدار أقصبي في شركة الذميين، ونصفها الآخر على قراءة الكلاعي.

وأما المسجد السابع عشر، وهو مسجد درب الخضار، فهو كما ذكر الدكتور التازي عنه وعن كرسيه في كتابه جامع القرويين(589) حيث قال : يقع المسجد بحومة العدوة في باب درب الخضار، أو الخطار بالطاء كما تحرفه العامة، وقد اختص في البداية بإقراء الرسالة للشيخ ابن أبي زيد في فصل الشتاء، إضافة إلى التوريق، وقد عرفنا ممن كان بيدهم الكرسي :

589) ج 2 ص 388.

الإمام أبا الحسن علي بن محمد الشريف، ومن أوقافه، ثلثا دار موصوفة في الحوالة الحبسية.

وبتأمل هذه الأوقاف المتقدمة على كل كرسي من كراسي تلك المساجد، يتجلى لنا بكل وضوح مدى أثر هذه الأوقاف في الثقافة، وتشجيعها من طرف المحبسين المحسنين.

وإذا وقفنا على كل الكراسي الخاصة بالتوريق فقط، فإنه يليق بنا أن ننتقل إلى ذكر كراسي المساجد الخاصة بتدريس غير الرسالة، وهي ما سنعالجها في المطلب التالي :

المطلب الرابع

دور الوقف في كراسي المساجد التي تقوم بتدريس غير الرسالة

إن المساجد التي تقوم بتدريس غير الرسالة، وتشتمل على كراسي علمية، تتمثل في :

1 - مسجد الأبارين.

2 - مسجد قميمة.

3 - مسجد حمام القلعة.

4 - مسجد فوارة بدرب الشيخ.

أما المسجد الأول، وهو مسجد الأبارين، فيتوفر على كرسي علم، يدرس عليه التفسير والحديث.

ولقد سبق القول فيه بأنه يعرف نشاطا علميا متزايدا، حيث نص على ذلك الدكتور التازي في كتابه جامع القرويين(590) إذ قال : «وقد شهد مسجد الأبارين حركة علمية نشيطة، لأنه على مقربة من جامع القرويين

---

590) ص 120.

ومدرسة العطارين، ولأنه كان أيضا مأوى يفضل عدد من الطلاب السكني في شقلبياته».

وبالإضافة إلى تدريس التفسير والحديث، فإنه يدرس فيه أيضا كتاب الشفا والحريفش.

أما الحوالة العبد الرحمانية،(591) فقد ذكرت جردا لأهم أوقافه على قراءة صحيح البخاري، وهي كالتالي :

- أرويان بسوق الصفاح.
- حانوتان متصلتان أسفل عقبة حفاة مسجد الأندلس.
- ربع الطراز الكائن بزنقة حجامة على البخاري من نصف العرصة أسفله، والواقعة بخارج باب الحديد المنحدر بجنان ابن حلوة، وأعلى جنان ابن عبد الجليل.
- نصف غابة الزيتون بسطيوط من لمطة، تعرف بورثة سيدي الصغير القوري.
- كهفان خارج باب الجيسة متصلان بالحازمي بدرب النخلة.
- ثلاثة أثمان رحى الفرين.
- الثلث الواحد من أصل 22 حانوتا بتربيعة جوطية اكَراوة عدا الحانوتين الأوليين المتقابلتين.
- حانوت يمنة الداخل للعطارين من عين علون على قراءة تبارك الملك كل يوم، ودلائل الخيرات كل جمعة.
- ثلث حانوت ثالثة، يسرة الداخل من جوطية البالي من بابه الأعلى على وصفه أعلاه.

وأما المسجد الثاني، وهو مسجد قميمة، فيتوفر على كرسي علم يدرس عليه تفسير الثعلبي، وصحيح الإمام البخاري، ولقد ذكر الدكتور التازي

591) انظر جامع القرويين ج 2 ص 400.

عنه : أنــه يعرف من أوقافــه خمس بقاع من جملــة من تصرف فيها الحاج أحمد بن سليمان(592) وأن هذا المسجد، هو جامع الـزليج برحبة التبن، أما الحوالة العبد الرحمانية(593) فقد ذكرت جـردا عن أوقافه الخاصــة بالإمام والكرسي، وهي كما يلي :

- نصف حانوت.
- حانوت.
- دار بجـزاء ابن برقـوقـة.
- حظ من حانوت بالنخالين.
- نصف طراز بجزاء ابن عامر، يجاور حي الأندلس ودار الشامي، ودار ابن سليمان، والنصف الآخر للمشاط.
- حانوت يسرة الداخل من باب درب جزاء ابن عامر.
- حظ حـانوت يسرة الخارج من القنطـرة التي بـرحبة التبن في شركـة مسجد السمار بالقلقليين على الإمام، والكرسي أيضا.
- طراز بـالعيون متهدمة يمنـة الخارج من مسجد الصلب ومحمل على أروى الشرفاء الطاهريين على الإمام، والكرسي.
- فنـدق رحبة التبن مع حـانوتين متصلتين بـه بوسعـة رحبة الـزرع وبجوار دار الدبغ الجميع متهدم.
- نصف حانوت.
- ربع حانوت مع ذكر عناوين هذه الرباع بالحوالة السالفة الذكر.

فهـذه الأوقـاف... من تحبيس محمـد بن عمـرو والهواري الصنهـاجي الأزدي على أولاده بل أحفاده من بنتـه : طاهـرة وأولادهم، وأولاد أولاده ما تناسلوا، وامتـدت فروعهم إلى أن ينقرضوا، فإذا انقـرضوا، رجع الثلث من

592) ص 56.

593) ص 57.

متخلفه حبسا على مسجد جامع الزليج، تاريخ الاشهاد عليه بذلك هو 17 رجب 1250هـ. الشاهدان : محمد بن علي بن سودة - محمد المكي بن أحمد ابن سليمان.

والقاضي الذي ثبت عنده ذلك، هو عبد الهادي بن عبد الله الحسني.(594)

وأما المسجد الثالث، وهو مسجد حمام القلعة، فقد تحدث عنه الدكتور التازي(595) بقوله :

«يقصد بالحمام : حمام ابن عباد في أعلى القطانين والمسجد قبالته وبه كرسي لتدريس العلم، ولكنه يختص في الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان بقراءة صحيح الإمام البخاري».

وأما الحوالة العبد الرحمانية، فقد ذكرت جردا لأهم أوقافه، سواء بالنسبة لإمام المسجد، أو لقارىء البخاري فيه، وهي كما يلي :

- طراز.
- طراز آخر.
- حانوتان.
- حظ من حانوت.
- جميع ثلاثة أرباع من دار درب المعادي.
- مصرية محملة على مكتب مسجد الكدان.
- بلاد بسهب الغزلان لقراءة البخاري في شهر رمضان.
- ماعون ومجمر بدار دباغة جرنيز مع ثلاثة أجزاء من البخاري.

وأما المسجد الرابع، وهو مسجد فوارة بدرب الشيخ، فيقع في حومة درب الشيخ، وهو من الأمكنة القديمة جدا بالمدينة، يقابل مسجد الشرادي

594) جامع القرويين ج 2 ص 392.

595) ص 46 ـ 47.

من ناحية درب الدرج... وقد أوردت الحوالة لعبد الرحمانية(596) جردا لأهم أوقافه، وقد وقفت على الإمام والمؤذن والحزابين عامة، وعلى كرسي التوريق خاصة، ومن بين أوقافه :

- «ربع دار بدرب يمنته بوسعة المخفية يسرة الداخل للدرب، حبسه الحاج محمد بن بومدين الحياني على توريق كتاب سيدي عبد العظيم المنذري رحمه الله بالمسجد أعلاه، كل يوم بعد صلاة العصر، على أن يبقى المسجد مفتوحا ليصلي فيه من فاتته الصلاة.

- نصف جلسة حانوت يمنة المنعطف من زنقة حجامة لرحبة قيس، وتقابل زنقة قاعة السمن في شركة الحبس والشديد.

- حظ من حانوت بـ : «القنت» يمنة المنعطف لتربيعة سوق الحديد داخلها من باب المعدة من العطارين وتقابل سقاية الماء.

- حظ من حانوت عن يسار الخارج من مسجد الأبارين في شركة القرويين، وبنونة على السمرقندي والحريفش.

- حظ من الحانوت الحادية عشرة يسرة المنعطف من زنقة السعاط لسماط الصرف، وتقابل المركَطال في شركة حبس مولانا إدريس، حبس على توريق الكتابين يمنته.

- مردمتان بدار دباغة بالعرصة من شوارة، تجاوران المحجة العليا، وقصريتان بمسجد العبادسة، وتجاوران عطارة أيضا للدار.

وبهذا المسجد، نكون قد أنهينا الكلام على دور الوقف في الكراسي العلمية بجل المساجد الصغار بفاس، مما يجعلنا ننتقل إلى الكلام على دور الوقف في الكراسي العلمية ببعض الزوايا، والأضرحة، وهو ما سنعالجه في الفرع التالي :

---

596) ص 107 ـ 108.

الفرع الرابع

دور الوقف في الكراسي العلمية ببعض الزوايا، والأضرحة

إن الواقفين لم يكونوا يقتصرون في وقفهم على المساجد الكبار والصغار فحسب، ولكنهم كانوا يقفون أيضا على الكراسي الموجودة في بعض الزوايا والأضرحة، وهذا ليس في فاس وحدها، وإنما تشاركها بلدان أخرى في هذا النطاق، ولكننا سنقتصر على فاس، لأنها كادت تكون في هذا العهد الأكثر حظا في الأوقاف على العلم، وسنلقي فيما يلي أضواء على دور الوقف في الكراسي العلمية بالزوايا أولا، ثم على دوره في الكراسي العلمية ببعض الأضرحة ثانيا، وهو ما يجعلنا نجمل الكلام عنه في مطلبين :

1 – في دور الوقف في الكراسي العلمية ببعض الزوايا.

2 – في دور الوقف في الكراسي العلمية ببعض الأضرحة.

المطلب الأول

دور الوقف في الكراسي العلمية ببعض الزوايا

سنعالج في هذا المطلب الكلام على دور الوقف في الكراسي العلمية الموجودة ببعض الزوايا، وأن هذه الزوايا التي سنلقي عليها بعض الأضواء، هي كالتالي :

1 – زاوية سيدي قاسم بن رحمون.

2 – زاوية سيدي الخياط الرقعي بالشرشور.

3 – زاوية سيدي يوسف الفاسي بالمخفية.

4 – زاوية الغازيين بالشراطين.

5 – زاوية سيدي لحسن السفياني.

6 – زاوية سيدي لحسن محمد بن عبد الله بالمخفية.

7 – زاوية سيدي حمدون المخفي.

8 – زاوية سيدي أحمد بن ناصر.

9 – زاوية التجاني.

10 – زاوية المعادي.

أما الزاوية الأولى، كما في الحوالـة العبد الرحمانية،(597) وهي زاوية سيدي قاسم بن رحمون، فقد رصدت لها عدة أوقاف، منها ما يتعلق بطلبة القرآن الكريم، ومنها ما يتعلق بالأمام، ومنها ما يتعلق بكرسيها... ومن بين هذه الأوقاف :

– نصف جلسـة حانـوت 8 يمنـة الداخل للسقـاطين من البـلاجين من أحباس الشدادية.

– جميع جلسـة رحى وادي العظـام بفـاس العليـا، متهـدمـة أصلهـا للقرويين.

– جميع الدار الكـائنة بفندق اليهودي، تجاور دار أولاد القـاضي سيدي عبد الواحد عنان.

– ثلاثـة أرباع وربع خمس الثمن، وكسر من طراز درب الأمـانة المحمل على الأروى الموقوفة على الإمام.

– العشر الواحد ونصف عشر لدار الحاج المقابلة لجدار الزاوية حوله من زقاق الحجر من تحبيس ولده.

– جميع حانوت 5 يسرة المنعطف من الشراطين للقطانين.

– جميع جلسة حانوت كبرى يسرة خـارج فندق الشماعين، مارا لناحية فندق العيادين، وصارت الآن حانوتين.

– حظان من حانوتين (انظر موقعهما بالحوالة المذكورة أعلاه ص 103).

---

597) ص 68 وص 98.

- حظ من حانوت بالغمادين، تقابل الخارج من باب مسجد السانية على يد الحاج محمد بن عبد الرزاق ابن شقرون.
- أجرة طالبين اثنين يقرآن القرآن العظيم بزاوية سيدي قاسم ابن رحمون، تخرج من وصية الأبر الحاج التاودي بن الحاج بوعزة ابن شقرون حسبما ذلك برسم وصيته.
- وقف على تدريس الرسالة بالزاوية المذكورة أعلاه، والمورق بها ويبين ما لكل واحد بترجمته.
- جميع حانوت أصلا وجلسة ثانية يسرة خارج كوشة النجارين محمل على الكوشة المذكورة على الرسالة.
- جميع جنان بواروارات خارج باب الفتوح وبه 13 عودا من الزيتون على الوراق.
- جميع حانوت 6 يسرة المنعطف من الشراطين بالقطانين، وتقابل باب البركة على الرواق.
- جميع النصف من جلسة حانوت 3 يسرة داخل السقاطين من البلاجين على الرسالة.
- جميع نصف من جلسة حانوت 2 يسرة الداخل للسقاطين من البلاجين على الرسالة.
- جميع الأروى يمنة داخل درب المريني من زقاق الرمان على الرسالة.
- نصف غابة بعين المغاسل من لمطة على الرسالة.
- داران بالمنية، لقراءة القرآن العظيم يوم الجمعة.

وأما الزاوية الثانية، وهي زاوية سيدي الخياط الرقعي بالشرشور، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(598) جردا لأوقافها نذكرها فيما يلي :

598) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 83.

– جميع الحانوت أصلا وجلسة بقنطرة بوروس، تجاور حانوت السطجي المعروفة لابن حيون.

– جميع الحانوت أصلا وجلسة بالموضع يمنته، تجاور حانوت سيدي بوجيدة، وحانوت حبس مسجد المنية متهدمة.

– نصف دار بأقصى الوراقين التي من أعلاه المكتب، وفي شركة المؤذن بالنصف.

– جميع النصف الواحد في الدار المجاورة للزاوية المذكورة.

– جميع الثلث الواحد في كافة الجنان الكائن بعين المغاسل بخندق حمام من لمطة شركة بين الإمام والمؤذن.

– جميع المصرية بالوراقين المحملة على المكتب الكائن يمنة خارج باب بوحاج، وهي عن يمين الداخل اللزنقة بأعلى المكتب المذكور.

– أنصاف سوية بين الكرسي، والإصلاح.

ويجب لفت النظر إلى ما وقف على إصلاح الزاوية المذكورة وإيقادها، وبسطها، وإعانة من يقرأ الديانات من خراج الطراز المذكور أسفله.

– جميع المصرية بالوراقين بين الكرسي والإصلاح، وهي المذكورة أعلاه.

– جميع الطراز الكائن بالزنقة المجاورة لمسجد سيدي جبل بن جبل على الإصلاح.

– جميع جنان (انظر موقعه بالحوالة العبد الرحمانية).

– جميع الجنان بعين البراغيث من لمطة.

– جلسة حانوت بالشراطين عن يسار الخارج من زنقة الشفشاونيين منعطفا للشراطين.

– جميع الحانوت بالشرابليين.

– جميع جلسة حانوت بالبلاجين يسرة الداخل لها من عين علون تاريخ الإشهاد 6 شعبان عام 1245هـ.

وهكذا نلاحظ في هذه الزاوية والتى قبلها : كم كان للوقف من دعم للثقافة ومن نشرها لدى مريديها.

وأما الزاوية الثالثة، وهي زاوية سيدي يوسف الفاسي بالمخفية، فقد كان من بين أوقافها ما رصد للتعليم وتنميته، وخاصة تعليم الفقه بواسطة الرسالة القيروانية، ومن بين أوقافها، كما ذكرتها الحوالة العبد الرحمانية(599) مع أوقاف التراويح ما يلي :

– تربيعة الفخارين... علويها وسفليها تشتمل على تسع حوانيت ماعدا الحانوت الأولى عن يمين الداخل للتربيعة المذكورة من ناحية البلاجين مع المخزن المحمل عليها من الطبقة الأولى فقط وجميع المخازن الأربعة التي بالطبقة الثالثة من جملة التسع حوانيت بجانب الحبس المذكور، وبجانب حبس زاوية القلقليين بالربع فقط على الرسالة بالمسجد أعلاه.

وأما الزاوية الرابعة، وهي زاوية الغازيين بالشراطين، فقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(600) جردا لأهم أوقافها، سواء منها أوقاف الإمام، أو الحزب، أو التدريس، أو الإصلاح، ومن بين هذه الأوقاف :

– جميع الدار الكائنة برأس الشراطين بزنقة الزاوية.

– جميع الدار الكائنة بأقصى درب سيدي بوعزة بحومة البليدة.

– جميع الحانوت الكائنة بجوطية الجديد، وهي من تحبيس الحاج عبد **الوهاب بن كيران على حزب القرآن العظيم.**

– جميع جلسة حانوت كائنة بسوق العطارين.

– جميع جلستي حانوتين إحداهما من يسرة المنعطف من سيدي العواد،

---

599) ص 95 ـ 96.

600) ج 2 ص 398.

وفي شركة الحبس بأصلها، والأخرى عن يسار المنعطف من الصباغين عدا مستفاد شهر رمضان، هو حبس على الإمام والحزب والتدريس.

- جميع الثلث من دار السلاوي موصى به من قبل الحاج أحمد السلاوي.

- جميع جلستي حانوتين (حدد موقعهما بالحوالة).

- دار ابن فارس من أحباس الحاج محمد ابن شقرون.

- جميع نصف غابة الزيتون بالمزيبلة من لمطة في شركة الحاج قاسم فنجيرو، وبنصفها باعترافه.

- جميع جلسة حانوت بواسطة قنطرة العوادين.

- جميع نصف الجلسة بزنقة الخم، يمنة المنعطف من ناحية سوق البرنوس لسوق الخم، من تحبيس الحاج عبد النبي ابن حيون.

- جميع جلسة حانوت رابعة يمنة المنطعف من درب حمام عين علون، طالعا لناحية البير على الإصلاح.

- جميع جلستي حانوتين (حدد موقعهما بالحوالة).

- ربع دار بزقاق الحجر، تقابل زقاق الماء، وتجاور دار مولاي إبراهيم ابن مولاي سليمان.

- هذه هي أوقاف هذه الزاوية من أجل القيام بمهامها بما في ذلك : التدريس الذي يقوم به بعض العلماء.

وأما الزاوية الخامسة، وهي زاوية سيدي الحسن السفياني، فقد رصدت لها عدة أوقاف، منها ما يتعلق بالإمام، ومنها ما يتعلق بالكرسي العلمي فيها، وقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(601) جردا لهذه الأوقاف، وهي كما يلي :

---

(601) ص 51.

- حانوت في شركة سيدي الزيتوني مناصفة بين الإمام، والكرسي.
- نصف رحى تقابل فرنا وحمام الذهب للإمام.
- ربع دار بالمنية وقعت المعاوضة فيها حسبما ذلك بحوالة الزاوية المذكورة.
- جميع الدار المجاورة لدار وعرصة ابن سليمان أنصافا بين الإمام، والكرسي.
- عرصة بها 3 أشجار من الزيتون.
- جزاء خربة على الكرسي.
- ثلث دار بدرب الحداد.
- نصف جلسة برحبة الزرع بين السواري.
- نصف جلسة حانوت بين السواري أيضا بسوق الشعير بيد سليمان الصحراوي، وأصلها للقرويين على الكرسي.
- جلسة حانوت بالقفاصين اعتمار القباب يسرة الخارج من ساباط القفاصين مارا لجوطية الحوت.
- جلسة حانوت صغرى بالجزارين متهدمة، يسرة الخارج من درب الحزامين مارا للعطارين في شركة مسجد الحجاج بالباقي.
- فرن درب مشانة أصلا وجلسة على الكرسي.
- دويرة بفرن كويشة أمام الزاوية، تجاور دار الغول، وابن المجذوب للإمام.
- حظ من جلسة حانوت برحبة الزرع بالصف المقابل وجه الهابط من الحفارين، وأصلها للكرسي.
- حظ من دار دباغة عين أصليتين.
- حظ من دار، تجاور دار دباغة أعلاه.

- ثلث عرصة بعين اصليتن، تجاور عرصة ابن الصغير، وعرصة الشاوي بين الإمام والكرسي، وتعرف بعرصة سيدي الخضر السفياني.
- ربع دار بعين آصليتن للإمام، وفي شركة الكرسي بالربع الآخر، وفي شركة المرابط بالباقي، وتجاور داره.
- جلسة حانوت ب : الركنة بالطالعة يمنة الخارج من الفندق، أصلها للقرويين على الكرسي.
- حظ من جلسة حانوتين من سماط الصرف سادسة وسابعة يسرة المنعطف.
- عرصة بو الأنوار مع أرواها، تجاور عرصة ابن الصغير، وتقابل مسجد عين آصليتن.
- ثلاثة أرباع دار الهريم بعين آصليتن.
- نصف دار ابن عبد العزيز بعين آصليتن.
- نصف دار بدرب الحرة.
- حانوت تقابل كويشة ابن حامد برحبة القنديل للكرسي متهدمة.
- جميع دار بدرب السراج بين الإمام والكرسي، الثلث للإمام، والثلثان للكرسي.

ما لهذه الزاوية من الكتب الموقوفة :

- الموطأ للإمام مالك.
- البخاري في 9 أسفار.
- شمائل الترمذي.
- سفر للثعلبي في أسماء الكتب.
- القصب من العلوم الفاخرة للثعلبي.
- سفر في التفسير مبتور من الأول.
- سفر للهروي في مقام المعرفة.

- ثلاثة أسفار من الحلية، لأبي نعيم.
- المباحث الأصلية في الوعظ، للراشدي.
- الزهر الأكم في الوعظ، للأندلسي.
- سفر آخر بردة البوصيري، وتخميسها.
- سفر صغير في الوعظ. للتادلي.
- الشفا، لعياض في سفرين.
- سفر آخر منه أوله : فضائل القرآن.
- الحريفش في سفرين.
- الكشف والبيان في تفسير القرآن.
- سفر من تفسير الثعلبي.
- مجموع مشتمل على دعوات للشطيبي وغيره.
- تاريخ تقييد الأماكن المذكورة أعلاه هو 7 شعبان عام 1249هـ.

وأما الزاوية السادسة، وهي زاوية سيدي أحمد بن عبد الله بالمخفية، فقد صرح الدكتور التازي(602) عنها بأنها كانت في أقصى المخفية، وكان على كرسيها أوقاف لقراءة السير، كما ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(603) جردا لأهم أوقافها الموقوفة على الإمام، والشمعة، والخبز، وتوريق السير، وتسخين الماء في ثلاثة أشهر الشتاء، وعلى قراء الحزب القرآني، وحزب الإمام الشاذلي.

كانت أوقافها عبارة عن جلسات حوانيت، ودور، وغابة زيتون، وخربتين، وأروى، وأن أوقاف كرسي السير، هي كالتالي :

- ثلاثة أثمان دار زنقة النعجة بالأقواس يمنة الداخل للزنقة المذكورة على شراء الخبز.

602) جامع القرويين ج 2 ص 400.
603) ص 102 ـ 103 ـ 104.

- نصف دار بزنقة سيدي المخفي، وتعرف قديما بدار المنغوشي، وفي شركة الحبابي على قراء السير.
- طراز بجزاء ابن برقوقة يسرة الداخل بزنقة الزمراني بدرب المعدة من تحبيس الشريف القصار على السير.
- خمسة أعشار ونصف العشر وثمن نصف العشر من فند ق الصوافين بساباط الهيادريين بأقصى الزنقة، وفي شركة ابن جلون.

وأما الزاوية السابعة، وهي زاوية سيدي حمدون الملاحفي، فتقع بدرب الحرة من الطالعة بفاس، وكرسي هذه الزاوية : وقف على قراءة الحكم، لابن عطاء الله، والروض الفائق، لأبي مدين الحريفش.(604) وقد ذكرت الحوالة العبد الرحمانية(605) جردا لأوقافها كما يلي :
- ثلث دار بالشرابليين بالزنقة الصغرى التالية عن يسار المنحدر من مسجد الساباط في شركة اليسراوي بالباقي.
- جنان بباب الجيسة، يجاور جنان الحلفاوي، ويتصل بالجرف، حبس على قراءة الحريفش، وابن عباد، بمسجد الزاوية أعلاه.
- جلسة حانوت بقبيب الناقص، وهي الحادية عشرة عن يمين المنعطف من القبيب المذكور، مارا لناحية رحبة الزرع، أصلها للقرويين.

وأما الزاوية الثامنة، وهي زاوية سيدي أحمد بن ناصر، فتقع في الزنقة المعروفة بوطا ابن فرقاجة، وقد كان كرسيها وقفا على التوريق، كما كان يدرس عليها النحو... وقد ساقت الحوالة العبد الرحمانية(606) جردا لأوقافها ندرجها فيما يلي :

---

604) ص 133.

605) جامع القرويين ج 2 ص 394.

606) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 78 ـ 79.

– دار بحومة القلقليين، تجاور دار العقرب، ودار الشربي بأقصى الدور الجدد، وتقابل عرصة أحمد الشلح من وصية سيدي محمد الملواني : النصف على التدريس بالزاوية أعلاه. والنصف الآخر يجمع مستفاده، ويفرق على المساكين في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان.

– دار أخرى بالحومة يمنته بالدور الجدد، تجاور دار فرطل، ودار ابن عثمان، ودار ابن عباد وصية الملواني المذكور يمنته على الوجه يمنته، وهي بزنقة منخارة 1 يمنة الداخل للزنقة المذكورة.

– دار أخرى بالحومة يمنته بالدور الجدد أيضا، تقابل دار المزدغي المشتراة من الرئيس التلمساني، جزاء بيد امرأة بالمرتفع في كل عام من وصية من ذكر يمنته على الوجه يمنته، ورسمها بيد السيد البونوسي بن العياشي باعترافه.

– دار بدرب بورجوع بزنقة بابين من تحبيس الحاج أحمد بن عبد الرحمن ابن شقرون على اشتراء المصابيح للزاوية أعلاه، والزيت لها صارت بالجزاء بدار بناني التي هي الآن بيد الشريف الأستاذ سيدي إدريس بن عبد الله البكراوي.

– أروى بدريبة البشارة، تجاور مصرية بإزاء دار السيد عبد الخالق الوديي المؤقت... من تحبيس فاطمة بنت سيدي محمد شقيرني على المؤذن بالزاوية.

– جلسة حانوت بسويقة ابن صافي، أصلها لمدرسة الصهريج من تحبيس الحاج عبد السلام ابن زكري على الإمام، وهي السادسة يمنة المنعطف من دار الرمال، شرط أن يقرأ الإمام عشرا من سورة الخلاص.

– جلسة حانوت بقبيب الناقص من تحبيس فاطمة بنت عمرو الشقيرني، وهي السادسة يسرة المنعطف من فنيدقة قبيب الناقص لرحبة

الزرع نصف مستفادها للزيت، والنصف الآخر للإمام بشرط أن يصلي على النبي ﷺ عشر مرات بعد صلاة المغرب وعشرا بعد صلاة الصبح.

- جلسة حانوت بالديوان، وهي الأولى يسرة الخارج من تربيعة ابن سالم للديوان من تحبيس المرأة ريمة بنت مزيان الحسناوي على من يقرأ حزب القرآن العظيم بالزاوية صباحا، ومساء.

- جلسة حانوت 1 يمنة الخارج من مسجد الارازين بعين علي من تحبيس الحاج عبد الوهاب التازي على من يقرأ الحزب صباحا ومساء بالزاوية أعلاه.

- السدس الواحد من جنان الولجة المعروفة بنطابي خارج باب الشريعة.

- جلسة حانوت بعين علون تلي الحانوت أعلاه يليه، وهي الثانية يسرة خارج مسجد الارازين على قراء الحزب أيضا.

- حانوت بالصفاح.

- دويرة بزنقة بنت حامد قرب مسجد سيدي أبي الرجاء، وهي الأولى يمنة الداخل للزنقة المذكورة من تحبيس الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم على إمام الزاوية الناصرية بشرط أن يقرأ حزب القرآن بها صباحا ومساء، وسورة الكهف كل ليلة جمعة و10 من سورة الإخلاص عند كمال الحزب، وعوضت بحانوتين : أولاهما هي الثانية يمنة المنعطف من قنطرة جزاء ابن صكوم لناحية الفحامين، والأخرى متصلة بها خلطت بها وهي المتصلة بباب الدرب المقابل للفندق هناك.

- الثلث الواحد من الفندق المعروف بحمام الذهب المقابل لفرن سيدي يعلى بطالعة فاس مع الأروى المتصلة به، وهي البيتان المأخوذان منه، الأولان يمين الداخل لحارة الجنان صار ذلك للزاوية...

- دويرة بحـومة الجزيرة عدوة فـاس، وهي الأولى يمنة الداخل لـزنقة الحديـد من تحبيس الحاج محمـد النجـار حبس نصفهـا، والنصف الآخـر اشتراه فقراء الـزاوية أعـلاه، وجعلوا ثلث الجميـع للمؤذن بـالزاويـة أعلاه وثلثيها لـلإمام بها عوضت بنصف جلسـة حانوت ثـانية يسرة الهابط من محراب مسجد السانية بعين علون، بها الآن الرواس.

- الثلث الواحـد من دار بزقـاق الحجر، تجاور دار قصـارة، وفي شركة رقيـة بنت خزرة من تحبيس الحاجـة زينب بنت الحاج محمد الحسنـاوي، وهي بأقصى الزنقة المتصلة بالمكتب المعروفـة بزنقة مولاي الوليد وتتصل بالأروى التي لها خراجة بزقاق الرواح.

- عـرصـة الشريعـة من لمطـة، تجاور من أسفلهـا الشرفـاء العـراقيين والسقاط، يفصل بينهما احفير واحد، ومن أعلاها بلاد العربي التي هي الآن بيد ابن علون، وغابـة القصري، وغربا الشعبة التي هي مجرى الماء تفصل بينها وبين غابة العيساوي، وفي شركة الشاميين، وهي بخندق حمام إلى غير ذلك من الحظوظ في الدور والحوانيت ومصرية.

وأما الزاوية التـاسعة، وهي زاوية التجاني، فهي نفسها تتوفر على كـرسي علم كمثل الـزوايـا السـابقـة الـذكـر، وقـد ذكـرت الحوالـة العبـد الرحمانية(607) بعض أوقافها، وهي كما يلي :

- حظ من حانوت بالعطارين قدره : ثلاثة أخماس أصلا وجلسة يسرة الداخل للعطـارين من زنقة خيـارة الديوان من وصيـة سيدي عبد الـواحد بوغالب.

- حـانـوت يمنـة الخارج من عطـاري بـاب السلسلـة، مـارا لنـاحيـة السمارين.

607) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 33.

– دويرة بدرب سيدي العواد بزنقة عرصة الفاسيين، تجاور دار سيدي موحى بن معزوز.

وأما الزاوية العاشرة، وهي زاوية سيدي التاودي ابن سودة بالمعادي من زقاق البغل، فقد عرفت هذه الزاوية كرسيا علميا يدعى كرسي الشيخ التاودي، وقد حبست أوقاف على تدريس الرسالة فيه، كما ذهب إلى ذكر ذلك الدكتور التازي(608) وقد تعرضت الحوالة العبد الرحمانية(609) لمختلف أوقافها، ومن بينها :

– ثلاث جلسات حوانيت.

– نصف جلسة حانوت.

– أعواد من الزيتون فرادى عن 25 عودا بجنان الوطا من لمطة.

– مواضع نوادر ستة خارج باب الجيسة، اثنان منها قرب سور الضريح أعلاه، والأربعة الباقية قرب سيدي يعقوب الدباغ الذي هنالك.

تلكم كانت بعض الزوايا ذوات الكراسي العلمية، والتي تدعمها الأوقاف من أجل عطائها العلمي، زيادة على ما تقوم به من التربية الوجدانية.

وهاته الزوايا بعض من مجموعة الزوايا التي كانت تقوم بهذا النشاط، وان كنا لم نتعرض لها كلها إلا أنه من باب الزيادة في الفائدة نشير إليها **وهي توجد في فاس... فمنها :**

1 – زاوية سيدي أبي مدين، وقد وقفت عليها عدة عقارات من ديار واصطبلات وبقع ومصريات.(610)

---

608) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 35.

609) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 34.

610) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 45، وفي الحوالة الجديدة لأحباس فاس ص 234.

2 – زاوية سيدي محمد بن يوسف بن سيدي علي بن حمدون، وقد وقفت عليها عقارات من اصطبلات وحظوظ من مصرية ودار وحوانيت.(611)

3 – زاوية شيبوبة قرب سيدي مغيث لسيدي محمد بن عيسى المقابلة لفندق الغرناطي، وقد وقفت عليها عقارات من زيتون، ودار بدرب اللمطي، ورحى بباب الحديد.(612)

4 – زاوية الشرادي بدرب الشيخ، وقد وقفت عليها عقارات وجلسات لحانوتين ونصف حانوت.(613)

5 – زاوية سيدي عبد القادر الفاسي بالقلقليين، وقد وقفت عليها عدة عقارات من الدور والمصاري والاطرزة والافران والأروية وخزائن الدبغ.(614)

6 – زاوية القادريين برأس الجنان الأعلى، وقد وقفت عليها عقارات من الأرضين والزيتون والعرص والجنات.(615)

7 – زاوية سيدي محمد بن علي بن التهامي بباب درب الحرة.

8 – زاوية سيدي مساء الخير برأس الشراطين المجاورة لزاوية الغازيين.(616)

9 – زاوية سيدي محمد بن إبراهيم بدرب الحرة.(617)

10 – زاوية سيدي عبد السلام الركال بالشرشور.(618)

11 – زاوية مولاي عبد القادر الجيلالي.(619)

---

611) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 60 ـ 61.

612) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 64.

613) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 83.

614) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 92.

615) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 97.

616) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 113.

617) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 118.

618) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 119.

619) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 129.

12 – زاوية الصادقيين بباب النقبة.(620)

13 – زاوية مولاي أحمد الصقلي الحسني بأقصى درب سبع لويات.(621)

14 – زاوية عيساوة التي بالاصدع من فندق اليهودي.(622)

15 – زاوية سيدي عزيز التي بأقصى الدرب الطويل.(623)

16 – زاوية سيدي امحمد ابن الفقيه بعقبة العيون المعروفة بعقبة الجوزاء.

وقد وقفت عليها عدة أوقاف من العقار(624) إلى غير ذلك من الزوايا ذوات الرسالة العلمية والتربوية في نفس الوقت.

وإذا كانت الأوقاف قد أدت دورها في الكراسي العلمية التابعة للمساجد والزوايا، فإنها قد أدت هذا الدور كذلك بالنسبة للكراسي العلمية التابعة لبعض الأضرحة، وهو ما سنذكره في المطلب التالي :

المطلب الثاني

دور الوقف في الكراسي العلمية ببعض الأضرحة

فكما كانت الكراسي العلمية ببعض الزوايا، كانت كذلك ببعض الأضرحة، ومن الأضرحة المشهورة بالعطاء العلمي عن طريق كرسي من الكراسي العلمية :

1 – ضريح أبي زيد سيدي الهزميري.

2 – ضريح سيدي أحمد الشاوي.

3 – ضريح سيدي نوار. 4 – ضريح سيدي العواد.

---

620) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 138.

621) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 66.

622) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 55.

623) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 74 ـ 75.

624) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 49 ـ 50.

أما الضريح الأول، وهو ضريح سيدي أبي زيد عبد الرحمن الهزميري (677هـ)، فقد أصبح مدرسة مقصودة تتمتع بزهاء 70 عقارا، وقفا على الطلبة، ومن بين هذه العقارات كما في الحوالة العبد الرحمانية:(625)

- أصل حانوت بالبلايغيين.
- حانوت بحارة قيس السفلى يسرة الخارج من دار حنين.
- حانوت تليها أدخلت بأروى حنين قبلها.
- حانوت أصل بالبلايغيين بين روضة مولانا إدريس، ودار ابن ريسون، صارت مزارة.
- حانوت تليها.
- ثمن دار بزنقة ابن سودة من حومة جرنيز في شركة بنونة والزنقة المتصلة بباب دار الحاج المكي بوهلال بشارع جرنيز يسرة الداخل لعين القرويين من سيدي عبد الوهاب القادري.
- بقعة جزاء من دار بقنطرة ابن طامو من باب المسافرين بيد السلاسي، تجاور بلاد الشاميين والطريق والآن بيد ورثة سيدي محمد بن التهامي طاهر.
- فدانان بوادي العرص متصلان يجاوران أرض القرويين بيد الطاهريين المذكورين يسرته.
- حانوت ابن ملوك بالصوافين يمنة الطالع من طلوقة بيد الفقيه السيد محمد ابن الشيخ.
- حانوت محملة على البكار برحبة الزرع من سويقة الشعير بالقنت بيد القرويين.
- حانوت بالصقليين يسرة الداخل من ناحية الفنابين خلطت مع حانوت المساكين بيد سيدي محمد بن محمد الطاهر بدرب ابن شلوش.

---

625) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص 48.

– حانوت يسرة الهابط من المكتب أسفل العقبة الزرقاء فصل باب الفندق في شركة مسجد بيد سيدي عمر طاهر يمنته.

– حانوتان بالصفاح العدوة متصلتان بمصرية بلعيد، وتقابلان دار سيدي حد بوغالب.

– بقعة جنان (بتفردنت) من لمطة تتصل بالحي بيد ابن سودة.

– بقعة جزاء بدار ابن عمر خارج باب الفتوح.

وأما الضريح الثاني، وهو ضريح سيدي أحمد الشاوي، فقد عرف هو الآخر نهضة علمية حيث كان يدرس فيه كتاب الدر المنثور، للأمام السيوطي، والمورد العذب، للأمام ابن الجوزي، وقراءة الرسالة، لابن أبي زيد القيرواني، وغيرها.

ومن بين الأوقاف على الضريح حسب ما ذكرته الحوالة العبد الرحمانية(626) ما يأتي :

– نصف جلسة حانوت.

– ثلثا حانوت أصلا وجلسة.

– الثمن من دار ابن كيران بالنجارين حبس على الشمعة.

– العشر الواحد وكسر من دار البهلول قرب ضريح الولي المذكور.

– حظ من غابة الزيتون، قدره : ثلاثة أرباع العشر من أحباس ابن حيون بالمخفية.

– حظ من حانوت بسوق السباط.

– الطراز الجديد الملتصق بحمام الجرف المحمل طرفه على الميضأة.

– نصف جلسة، وهي بزنقة الرطل المعروف للحاج يوسف التسولي في شركة المارستان بالباقي تتصل برحى مولاي إدريس على الرسالة صار

626) انظر جامع الحوالة الرحمانية، ص : 74ـ 75.

بحبس سيدي أحمد الشاوي من جلسة أرحى أعلاه الخمسان الاثنان وبحبس المارستان ثلاثة أخماس الجلسة المذكورة، حسب ما أقرته الوزارة في كتابها عدد 13.804.

ومن الكتب المحبسة على الضريح المذكور :

نسخة من صحيح البخاري في خمسة أسفار، حبس عليها مصرية الصبان بزنقة عديل من النجارين.

- جلسة حانوت البردعي بسوق الملف.
- أروى الدهليز بالسماط من الطالعة.
- نسخة من كتاب الشفا، للقاضي عياض، حبسه :
- جلسة حانوت يسرة الداخل بزنقة مسجد السانية من الغمادية غير ثلاثة أفلس.
- كتاب الاكتفاء، للإمام الكلاعي على أربعة أجزاء، حبسه :
- ثلث رحى بزنقة الأرحى من الشرابليين المقابلة لفرن حمام زقاق الماء.
- نسخة من كتاب سيدي الحريفش، لا حبس عليها.
- كتاب الأمر بالطاعة، للأمام الغزالي.
- نسخة من صحيح البخاري من 7 أسفار من أحباس الحاج أحمد بن مبارك السوسي، محوزة للحزابة.
- شرح الإمام الخرشي على الشيخ خليل، والنظر فيه للعلامة سيدي التاودي ابن سودة.
- دلائل الخيرات وما بعده.
- مجموع الأمهات.
- كتاب ورش الرياحين، لليافعي اليمني من تحبيس الأزرق.
- النصف الأخير من البخاري في سفرين، له من التحبيس حانوتان بالبردعيين بالصاغة.

شهادة أسفل الكتب من ناظر أحباس سيدي أحمد الشاوي، اعترف فيها بأن جميع الكتب حبس على الزاوية المذكورة على الوجه المذكور، ولا شيء له منها عدا قبض المستفاد، وصرفه في معيناته، وسلم جميعها بالتسليم التام، شهد به عليه : الحاج إدريس بن الحاج الخديم في 28 رجب الحرام عام 1245هـ.

وأما الضريح الثالث، وهو ضريح سيدي نوار داخل سيدي العواد، ففيه كرسي علم تدرس عليه الرسالة القيروانية.

ومن بين أوقافه حسب ما في الحوالة العبد الرحمانية.(627)

- نصف الزيتون المجاور للعريصة المحبس على الأمام بعين بوجيدة من لطة في شركة الإمام بالنصف.
- نصف أرض والزيتون الكائن خارج باب الفتوح بناحية البستيون، وفي شركة الامام بالنصف.
- جميع المصرية المحملة على الدار الثانية عن يمين الخارج من مسجد الأنوار المذكور خمسها لمصباح مسجد الضريح، وأربعة أخماسها لتدريس الرسالة كل سنة بالمسجد أعلاه.

إلى جانب هذا، هناك أوقاف لقراءة الحزب القرآني من دور وأطرزة وجلسات حوانيت.

وأما الضريح الرابع، وهو ضريح سيدي العواد، فهو يتوفر على كرسي للتوريق، ومن بين أوقافه كما ذكرتها الحوالة العبد الرحمانية.(628)

---

627) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص : 49- 50.

628) انظر الحوالة العبد الرحمانية ص : 48.

– حظ من الأروى الكائنة أولى عن يمين الداخل لدرب سيدي العواد من ناحية الطرافين على إمام زاوية سيدي العواد المذكور، وكرسي التوريق بها من تحبيس امحمد بن الحاج عبد الكريم المفرج.

هذا باختصار كثير عن دور الوقف في الكراسي العلمية ببعض الأضرحة، وبذا نكون قد أتينا على دوره في الكراسي العلمية في المساجد، وفي الزوايا، وفي الأضرحة، والآن ننتقل إلى الكلام على دور الوقف في المجالس العلمية باختصار، وهو ما سنتحدث عنه في المبحث التالي :

المبحث الثاني

دور الوقف في المجالس العلمية في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام

قبل أن نتناول الكلام على المجالس العلمية في عهد المولى عبد الرحمن، يجدر بنا أن نوضح مدلول المجالس العلمية، هذا المدلول الذي يتمثل في مختلف التحليقات الطلابية حول أساتيذهم.

والمجالس العلمية لم تكن إلا انعكاسا لما كان عليه الأمر في مختلف الدول التي تعاقبت على حكم المغرب من مرابطين، وموحدين، ومرينيين، ووطاسيين، وسعديين، وعلويين أيضا.

وأن هذه المجالس العلمية كانت بكثرة أيام السعديين، ولا سيما في عهد أحمد المنصور الذهبي.

فقد كانت حلقات الثقافة في أيامه بلغت أوجها في عهده حيث نرى – إلى جانب الكراسي العلمية المدعمة من قبل الأوقاف : مجالس علمية عديدة يستفيد منها كثير من الطلبة.

وقد سبق أن ذكرنا منها 13 مجلسا حيث يقبل عليها ثلة من الفقهاء إلى جانب نخبة من الطلبة النابهين، وقد كان من شيوخها : القاضي عبد الواحد الحميدي.(629)

والشيخ سيدي يحيى السراج.(630)

والشيخ محمد الشريف التلمساني.(631)

والشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان المكناسي.(632)

والشيخ سيدي أحمد بن بوشعيب الفاسي (1015هـ).

والشيخ سيدي أحمد بن محمد الشاوي (1014هـ).

والشيخ أبو عبد الله محمد بن حمدون الشديد الأندلسي (1100هـ).

وكما كانت المجالس العلمية في عهد السعديين طافحة بالعطاء المعرفي، فقد كانت كذلك في عهد الأشراف العلويين في أيام : المولى الرشيد، والمولى إسماعيل، والمولى محمد بن عبد الله، والمولى سليمان، والمولى عبد الرحمن، وغيرهم ممن أتى بعدهم.

وقد كان هؤلاء الشيوخ الأعلام يشملون بالمرتبات الضخمة المنظمة، ويغدق عليهم بالصلات السخية في مختلف المناسبات : الأعياد الشرعية، والفرص الموسمية، والزيارات المتبادلة بينهم وبين الملوك.

ولقد تبارى الملوك والأمراك والكتاب والوزراء والأغنياء والرؤساء في تكريم جانب العلماء، تكريما يليق بهم.

وقد ذكرت بعض النوازل أنه كان للعلماء مرتبان : أحدهما شهري، والآخر سنوي، وكان المرتب الشهري يكفي العالم لقضاء مآربه العادية من

---

629) جامع القرويين ج 2 ص 383.

630) جامع القرويين ج 2 ص 437 ـ 469 هامش 93.

631) جامع القرويين ج 2 ص 383.

632) جامع القرويين ج 2 ص 383.

مأكل ومشرب، وكـان المرتب السنـوي، يتنــاول تـوزيع الحبـوب والـدهن واللباس.(633)

ومن الملاحظ أن العلامة الشيخ أبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكنـاسي أورد في كتابـه : «روض الهتون في أخبـار مكناس الزيتون».(634) في معـرض التعـريف بشيخه ابـن الفتوح : أنـه كـان ممن يتقاضــون الجامكية، والجامكية كلمة فـارسية تعني أجرة مـرتبة على رأس كل مدة محددة : شـهر أو سنة.

ومما هو غني عن البيان، أن العلماء في عهد العلويين إلى عهد قريب كانوا يتناولون عـلاوة على مرتبهم هدايا على حسب مراكـزهم وكفاياتهم كل ذلك ينفذ لهم من الأوقاف كما يقول الدكتـور التازي - وبأمر من سيدي البلاد إلى قـاضي المدينة لترشيح الأستـاذ لمرتبـة ما من المراتب ليتسلم مبلغـا من ناظر الأوقاف.(635)

ومن بين النماذج من الظهـائر الشريفـة التي تأمـر بتنفيذ المرتبـات إلى العلماء : نمـوذج يأمر بتنفيـذ مـرتب عالم من العلماء المدرسين، ونصــه : «أحباءنا القـاضيين فلان وفلان : وفقكم الله والســلام عليكم ورحمة الله، وبعد، فإن الطالب الفلاني ممن يستحق المرتبة الفلانية لمواظبته على تدريس العلم الشريف، وبثه للطلبة بمسجد القرويين - عمره الله بذكره - فنأمركم أن تأمروا نـاظر أحباس القرويـين أن ينفـــذ له ما لأمثـاله من العلماء(636) على أن في حالــة عجز ميـزانية الأوقـاف لسبب ما، فإن جماعـة أهل المدينة يقومون بواجبهم في تكريم العلماء على ما أشرنا إليه آنفا.(637)

---

633) جامع القرويين ج 2 ص 437ـ469 هامش 93.

634) انظر المرجع أعلاه ج 2 ص 23مطبعة الأمنية بالرباط 1371هـ/1982م.

635) جامع القرويين ج 2 ص 469 هامش 93.

636) جامع القرويين ج 2 ص 469.

637) انظر المرجع أعلاه ج 2 ص 438.

ومما تجدر ملاحظته : أن الحركة الفكرية قد أصابها فتور وضعف أواخر أيام السعديين بسبب الفوضى وانتشار الفتن ولم تعد لها الحياة إلا في أيام العلويين، حيث انتشلوها من لجة الضياع، وأنعشوها بمختلف أنواع الرعاية والتعهد، حتى أخذت مسارها الصحيح.

ومن بين أولئكم الملوك الذين أعادوا لها حيويتها : المولى الرشيد، والمولى إسماعيل، والمولى محمد بن عبد الله، والمولى سليمان، والمولى عبد الرحمن، وغيرهم ممن أتى بعدهم من الملوك.

وكان هؤلاء الملوك - زيادة على الحركة العلمية في المساجد والزوايا - يعقدون مجالس في قصورهم تتناول مختلف ضروب المعرفة، ولا سيما منها ما يتعلق بالحديث الشريف.

وقد كانت هذه الحركة تزداد بصفة منتظمة في أشهر رجب وشعبان ورمضان في أيام الأسبوع ما عدا يومي الخميس والجمعة، وكانت تنصب على سرد أحاديث صحيح الإمام البخاري.

وكان من عادة الملك إذا أراد أن يتكلم أحد الشيوخ على أحد الأحاديث المسرودة طوى نسخة من البخاري التي بيده، فينبري الشيخ للتعليق على ذلك الحديث... وقد يناقش من طرف الملك نفسه، أو من أحد العلماء الحاضرين، وقد يحتدم النقاش ويكثر الجدال والتدخل، فيعين الملك أحد الحاضرين لتلخيص ما راج من المناقشة وإعطاء رأيه الخاص، أو يجعل حدا لذلك النقاش بعودته إلى فتح نسخته.

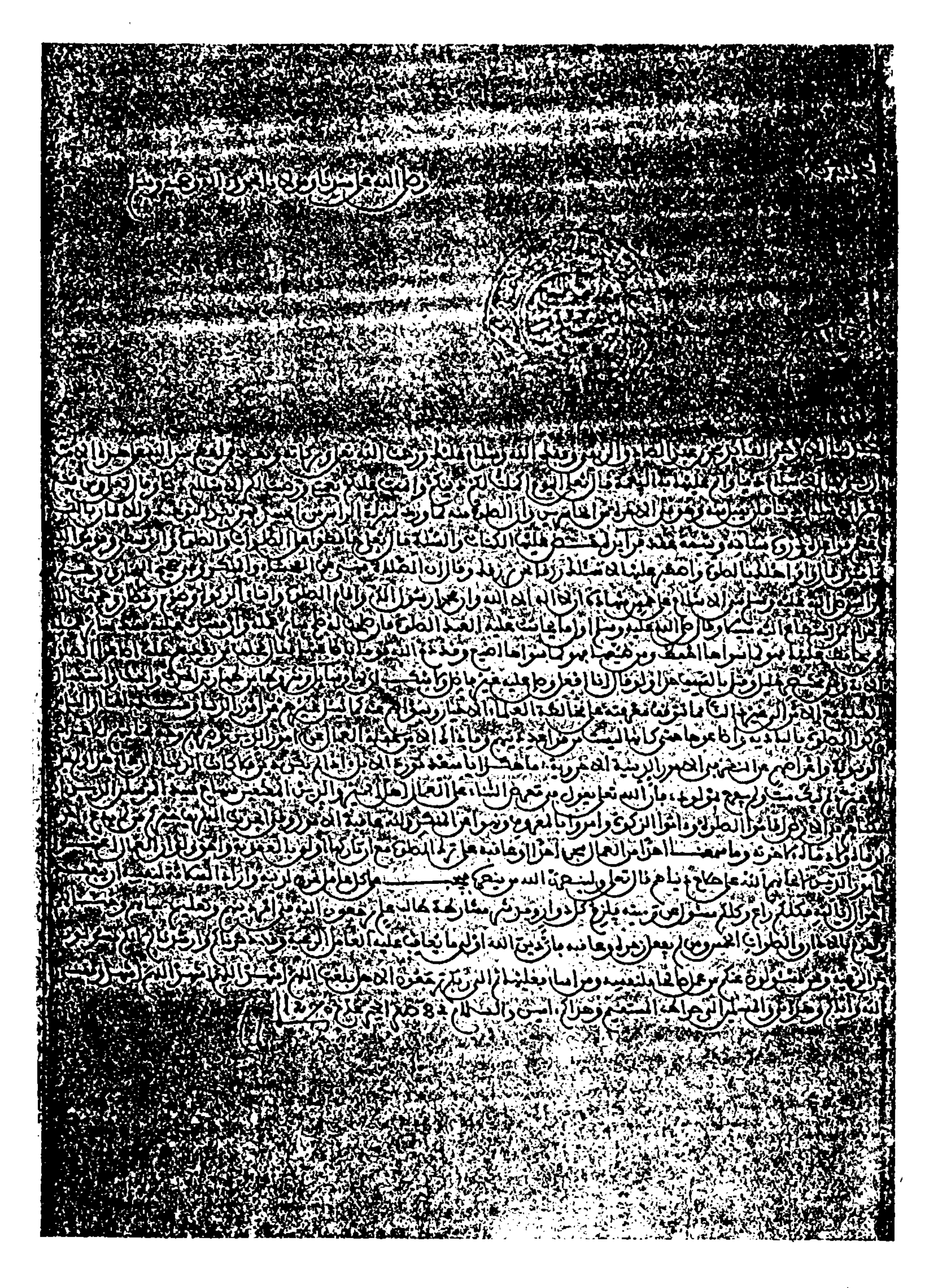
وقد كان من بين الحاضرين من هو مخصص بالسرد لحسن صوته، ومتانة عربيته، وليس له حق التدخل في تقرير معاني الأحاديث، لكون مستواه العلمي لا يخول له ذلك.(638)

---

638)مدرسة الإمام البخاري في المغرب للدكتور يوسف الكتاني ج 1 ص 34، طبع استانسيل نقلا عن الكتاب الذهبي المركز الاجتماعي لعلماء جامعة القرويين، لمحمد الشراح، ص : 151.

وإن المجالس العلمية في عهد المولى عبد الرحمن، كان تتناول في التدريس مختلف المواد العلمية من فقه، وأصول، ونحو، وبلاغة، وتفسير، وحديث، وسيرة، وتصوف، وغيرها، لكن المادة التي كانت بكثرة هي مادة الفقه، وخاصة عن طريق رسالة ابن أبي زيد القيرواني، إذ كانت معظم المساجد في عهده تتناولها بالدراسة والبحث للأسباب التي سبق أن ذكرناها.

وهكذا كانت المجالس العلمية ملأى بالعطاء العلمي في هذا العهد، وقد استمرت الحركة العلمية سواء في نطاق الكراسي العلمية، أو في نطاق المجالس العلمية كذلك، أو في طبع الكتب ووقفها على خزانة جامع القرويين في عهد المولى محمد بن المولى عبد الرحمن، وهو ما سنتعرض له في الفصل التالي :



ظهير رحماني إلى القائد محمد بن عبد الصادق بإقامة رسوم الدين في البادية
وإلزام كل دوار بمشارطة طالب علم يعلمهم وأولادهم الدين ويقيم الصلاة

الفصل الخامس

دور الوقف في الحياة الثقافية
في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن :
1276 – 1290 هـ / 1859 – 1873 م



الفصل الخامس

دور الوقف في الحياة الثقافية

في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن :(639)

1276 - 1290 هـ / 1859 - 1873 م

سنتناول الكلام في هذا الفصل على اهتمام المولى محمد بن عبد الرحمن بالأوقاف ورعايته إياها وعلى ذكر صفوة من العلماء المعاصرين له بالمغرب، وعلى دور الوقف في الكراسي العلمية، وفي المجالس العلمية كذلك، وعلى وقفه الكتب العلمية التي طبعها على خزانة جامع القرويين، وهو ما يتطلب منا معاجلته في نظرة عامة، وثلاثة مباحث :

1 - في دور الوقف في الكراسي العلمية.

2 - في دور الوقف في المجالس العلمية.

3 - في وقف المولى محمد بن عبد الرحمن بعض الكتب على خزانة جامع القرويين.

نظرة عامة :

حول اهتمام المولى محمد بن عبد الرحمن بالأوقاف ورعايته إياها مع ذكر صفوة من العلماء المعاصرين له بالمغرب :

مما هو ثابت تاريخيا : أن المولى محمد بن عبد الرحمن كان متشددا في الحفاظ على الأوقاف وصيانتها من المعاوضة، مثلما فعله والده المولى عبد الرحمن.

---

639) ولي المولى محمد الرابع الملك عقب وفاة أبيه المولى عبد الرحمن بن هشام في يوم الإثنين 29 محرم سنة 1276هـ، واستمر في الملك مدة 36 سنة و3 أشهر و25 يوما، حيث توفي زوال يوم الخميس 18 رجب سنة 1290هـ/1873م بداره بمراكش في البستان المسمى «النيل»، ولم يمض إلا يوما أو بعض يوم، إذ شرب دواء مسهلا، فكان سببا في موته، ودفن رحمه الله ليلا بضريح جده المولى علي الشريف قرب ضريح القاضي عياض، انظر الاستقصا ج 9، ص : 124، والدرر الفاخرة ص : 89.

ولقد سبق القول بأن المولى عبد الرحمن أمر بمنع المعاوضة في الأوقاف، وزيادة في التأكيد، كلف ولاته وقضاته على الخصوص بمنع المعاوضة فيها منعا كليا، مخافة أن يقع فيها بعض التلاعب.

ولما ولي ابنه المولى محمد، سار على هـذا المنوال، وجدد أوامره إلى العمال والقضاة والنظـار بمنع المعاوضـة في الأوقاف، يـدل على ذلك ما أشـار إليه فضيلـة الشيخ العـلامة المرحـوم سيـدي محمـد المكي الناصري في كتـابـه «الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية»، حيث قال : (640) ولما أخذت تشيع معـاوضة أمـلاك الأوقاف بغيرهـا من الأملاك، أصـدر المولى عبد الـرحمن أوامـره الصارمـة بمنع المعـاوضـة في الوقف، وكلـف الولاة والقضـاة على الخصوص بمنع المعاوضة، منعا باتا، فقـرر ذلك في حياته بمراكش عاصمة الجنوب، وفاس عاصمة الشمال.

ثم لما صعد عرش المغـرب ابنه المرحوم السلطان سيـدي محمد بن عبد الرحمن، جرى على سنـة أبيه في العناية بالأوقـاف، وجدد أوامره إلى العمال والقضاة والنظار بمنع المعاوضة الحبسية».

ثم زاد الشيخ المذكور أعلاه قائلا :

«وممـا وقفنا عليـه من الوثـائق في هـذا الباب : ظهير محمـدي شريف بتاريخ 4 صفر عـام 1279هـ وجهـه سيدي محمـد إلى مندوب خـارجيته بطنجـة السفير المرحـوم السيد محمـد بـركـاش، وممـا جـاء فيه خـاصـا بالمعاوضة هذه الفقرات :

ولما ولانا اللـه سبحانـه هذا الأمـر، اقتفينا أثـر مولانـا المقدس في ذلك، وشددنا الأبواب في وجوه طالبيها (المعاوضة) على أن هذه المعاوضة إنما قال من قال بها من العلماء على شروط، وأين هي تلك الشروط ؟ وما تقرر بهذه المدن (مراكش وفاس) أردنا أن يتقرر بـذلك الثغر السعيد (طنجة) وها نحن

640) جامع القرويين ج 3 ص 20.

أمرنا القـاضي هناك، وأكدنا عليـه في عدم الموافقة على المعاوضـة رأسا، كما أمرنـا وصيفنا القائد محمـد بن عبد الكـريم الجبوري بأن لا يسـاعـد أحدا عليها بوجـه، وأعلمنـاك لتكون على بصيـرة، وقـد توعدنا القـاضي والعامل على ذلك.

ومن خلال هـذا النص، نتبين كم كان الملوك العلويـون يحرصون تمام الحرص على صيانـة الأوقاف وعـدم السماح بتعريضهـا للضياع، جـاعلين نصب أعينهم المبدأ القائل : إن الأحباس لا تبـاع ولا توهب ولا تورث، حتى تستطيع أن تؤدي دورهـا في الحياة المجتمعيـة بصفة عـامة، وفي الثقـافية بصفة خـاصة، ودور الأوقاف في الحياة الثقـافية يعني استمراريتهـا إلى ما شاء الله.

واستمرار الثقافة يتطلب تشجيع العلماء، وشملهم بالمرتبات المادية التي تكفل لهم مـآربهم في الحيـاة، وتشجيع الطلاب كـذلك، يكـون بـالمنح التي تساعدهم على لأواء هذه الحياة ومتطلبـاتها، ولا يكون تشجيع هؤلاء بصفة مستديمة إلا عن طريق الأوقاف.

ومن عنـاية المولى محمـد بالأوقـاف، وحرصـه على صيانتـها : أمـره الفقيـه الحاج عـلي الـمدعـو بـأبي العافيـة بجمـع الحوالـة العباسيـة بمراكش،(641) نسبـة إلى أبي العباس السبـتي الـمـدفـون بحومـة الزاوية بمـراكش، حيـث جمـع أشتـات الأوقـاف بمـراكـش، وصـانها فـي هـذه الحوالـة.

ومن الملاحظ، أن هذه الحوالة ضمت أوقـاف أكثر من ستـين مسجـدا، أو جامعا إلى جـانب معظم أوقاف أسواق مراكش، حتـى ليخال المطلع عليها

---

641) انظـرها في خطبـة الحوالـة العباسية رقم 11 ج 2 بقسم الوثائق والمخطوطـات بالخزانة العامة بالربـاط.

أن مراكش كلها أوقاف، وكانت الغاية من جمع هذه الحوالة أن تحفظ للأوقاف كيانها، وتجعلها في مأمن من امتداد الأيدي إليها وغصبها، حتى تبقى تؤدى رسالتها المنوطة بها في إسعاد الطبقة الفقيرة من جهة، ومن جهة أخرى في دفع عجلة الثقافة إلى الإمام، حيث يشجع العلماء والطلاب في التعليم والتعلم.

ولا ريب أن العلماء ينتعشون بمدخول العقارات الموقوفة عليهم في هذا السبيل، كما أمر القاضي أبا بكر ابن القاضي سيدي محمد عواد بجمع حوالة سلا(642) وذلك بأوائل رمضان عام 1285هـ.

وبمناسبة ذكر العلماء واستفادتهم من ريع الأوقاف، مقابل ما يقومون به من نشر المعارف، فإنه يحسن بنا أن نذكر صفوة من العلماء الذين عاصروا المولى محمد بن عبد الرحمن، سواء منهم من كانوا بفاس، أو بمراكش، أو بتطوان، ومن بينهم :

1 – الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد التازي (مسواك) المتوفى سنة 1283هـ.

2 – الشيخ العلامة أبو الحسن علي بن عبد الصادق المتوفى سنة 1285هـ.(643)

3 – الشيخ العلامة أبو حفص بن محمد الطالب ابن سودة المري الفاسي المتوفى في متم ربيع الأول عام 1285هـ / 1867م.(644)

---

642) أعدت حوالة سلا بأمر من المولى محمد بن عبد الرحمن في السنة المشار إليها وقد ورد في مقدمتها أنه يريد – المولى محمد – أن تكون على نسق حوالة فاس الغراء.. وقد عهد إلى الفقيه أبي بكر عواد النظر في أمرها.. انظر حوالة سلا رقم ميكروفيلمها 152 بقسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط، وقد اشتملت هذه الحوالة بالنسبة للنسخة الخطية على 252 صفحة.

643) انظر جامع القرويين ج 3 ص 813.

644) مجلة دعوة الحق العدد الخامس السنة 9 ذو القعدة 1385هـ / 1965م ص 95، للأستاذ محمد المنوني، وسلوة الأنفاس ج 2 ص 109 – 110.

4 – الشيخ العلامة الموقت السيد محمد بريدة المتوفى حوالي عام 1285هـ.(645)

5 – الشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن محمد العراقي المتوفى سنة 1286هـ.(646)

6 – الشيخ العلامة الفقيه الورع الطيب اليعقوبي المتوفى سنة 1287هـ.(647)

7 – الشيخ العلامة أحمد بن محمد بن أحمد أزنيط المتوفى سنة 1290هـ.(648)

8 – الشيخ العلامة محمد بن الطالب الحربيلي المراكشي المتوفى سنة 1290هـ.(649)

9 – الشيخ العلامة الفقيه الوزير أبو عبد الله أكنسوس السوسي المراكشي المتوفى سنة 1294هـ.(650)

10 – الشيخ العلامة القاضي محمد المهدي بن محمد الطالب ابن سودة المري المتوفى عشية الخميس 4 رمضان عام 1294هـ.(651)

11 – الشيخ العلامة القائد المحنك الجيلالي بن حم البخاري المكناسي المتوفى سنة 1295هـ.(652)

---

645) انظر تاريخ تطوان ج 7 ص 17.

646) انظر جامع القرويين ج 3 ص 813.

647) انظر تاريخ تطوان ج 7 ص 18.

648) انظر الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ج 2 ص 417.

649) نفس المرجع أعلاه ج 7 ص 5.

650) انظر ترجمته في كتاب الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 431 ـ 444 للدكتور محمد الأخضر.

651) مجلة دعوة الحق العدد 5 السنة 9 ذو القعدة 1385هـ / 1966 ص 94 الضلع الأول، للأستاذ المنوني.

652) انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس، لمولاي عبد الرحمن ابن زيدان ج 2 ص 110 ـ 111.

12 – الشيخ العلامة الحاج إدريس بن محمد بن إدريس العمراوي المتوفى سنة 1296هـ.(653)

13 – الشيخ العلامة الفقيه الشريف سيدي المكي بن عبد الوهاب الحسني العلمي المتوفى سنة 1297م.(654)

14 – الشيخ العلامة الفقيه الوزير محمد بن عبد الله الصفار المتوفى في ذي القعدة عام 1298هـ.(655)

15 – الشيخ العلامة محمد بن نون الرحماني المراكشي المتوفى سنة 1298هـ.(656)

16 – الشيخ العلامة محمد بن عبد الرحمن المدغري المتوفى في 27 رمضان عام 1299هـ.(657)

17 – الشيخ العلامة محمد بن عزوز الرباطي المراكشي المتوفى سنة 1307هـ.(658)

تلكم كانت بعض الشخصيات التي أسهمت في سير الثقافة، ونشرها في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن.

وبعد هذه اللائحة لأولئكم العلماء الذين قاموا بأداء رسالتهم العلمية، سواء فوق الكراسي، أو في المجالس الأرضية، يجدر بنا أن ننتقل إلى الكلام على دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن، وهو ما سنذكره في المبحث التالي :

---

653) انظر ترجمته في كتاب الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 445 ـ 450.

654) انظر ترجمته في تاريخ تطوان ج 7 ص 77.

655) انظر ترجمته في المرجع والجزء أعلاه ص 78.

656) انظر ترجمته في كتاب الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ج 7 ص 49.

657) انظر ترجمته في المرجع والجزء أعلاه ص 38.

658) انظر ترجمته في المرجع والجزء أعلاه ص 88.

المبحث الأول

دور الوقف في الكراسي العلمية في عهد المولى محمد عبد الرحمن

إن الحركة العلميـة بقيت مستمرة في أيام المولى محمد بن عبـد الرحمن على نحو ما كانت عليه في عهد أبيـه، وتتمثل هذه الحركة في الكراسي العلمية الموروثة عن عهد المولى عبد الرحمن ومن بين هذه الكراسي :

1 كرسي الحديث بجامع القرويين :

إن هذا الكـرسي كان من قبل كرسيـا للتفسـير، وموقعـه قبالة صـومعة القرويين بين بابي الموثقين والشماعين وقد تعاقب على التدريس عليه في عهد العلويين نخبة من العلماء الجلة، من بينهم :

أ – أبو الفضل أحمد بن العربي بن محمد ابن الحاج السلمي.

ب – أبو عبد الله محمد التاودي بن محمد الطالب بن محمد ابن سودة.

ج – القـاضي محمد المهـدي بن محمد الطـالب ابن سودة المري المتـوفى عشية الخميس 4 رمضان عام 1294هـ / 1877م.

وقد حلاه محمد بن جعفر الكتاني في كتابه سلوة الأنفاس(659) بقوله : «كان فقيها محدثا أصوليا بيانيا منطقيا نحويا مشاركا، درس فأفاد، ونفع العباد، وكـان بديـع الدقائق والفهـومات، غـريب الأبحاث والإشكـالات، مع اتساعـه في العلم وتبحره، والغوص على نفائسـه وإشاراته وتدبـره... وكان يقرأ البخـاري في الأشهـر الثلاثة مع السلـطان مـولانا عبد الرحمن، ثم مع ولده السلطان سيـدي محمد، ثم مع ولـده السلـطان مـولانـا الحسن إلى أن توفـي في حياتـه بفـاس عشيـة الخميـس رابـع رمضـان وصلـي عليـه من الغـد بعد صلاة العـصر بجامع القروييـن سنـة أربع وتسعين ومائتين وألف....».

659) ج 1 ص 303 ـ 304.

2 – كرسي الرسالة بمسجد الشرفاء :

ويقع هذا الكرسي يسار الداخل للمشهد الإدريس من الصحن، ومن بين الأساتيذ الذين تعاقبوا على التدريس عليه :

أ – عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن السالف الذكر.

ب – محمد الطالب ابن الحاج الآنف الذكـر، وقد ولاه هذا الكرسي المولى عبد الرحمن بن هشام.

ج – أبو حفص عمـر بن محمد الطالب ابن سودة المري الفـاسي المتوفى متم ربيع الأول عام 1285هـ.

وقد نفذ المولى عبـد الرحمن له هذا الكرسي، وبقي كـذلك يدرس عليه في عهد ولده المولى محمد(660) ونقتصر على ذكر هـذين الكرسيين، لأن غـايتنا من وراء ذلك : إعطاء نماذج عن الكراسي العلمية بفاس في عهد المولى محمد.

ومما هو معلـوم وثابت : أن هذين الكرسيين كانـا مدعمين بمستفادات الأوقاف، هـذه الأوقاف التي كانت تنفق بسخاء على العلماء، بغيـة استمرار رسالتهم العلمية، هذا بالإضافة إلى ما كان يتلقاه العلماء من صلات سنوية على حسب مراتبهم العلمية، فقد ورد في كتـاب العز والصولة في معالم نظم الدولة :

«إن العـادة جرت منـذ بـزوغ شمس هذه الـدولـة الشريفة على أرجـاء المغـرب الأقصى بالإحسـان إلى العلماء، والمنتمين إلى العلم، وتشجيعهم على بث العلم ونشره، وإعـانتهم ومد المسـاعـدة لهم ماديـا وأدبيا من الخزينـة الدولية (خزينة الدولة) تارة، ومن الأحباس أخرى، فمن ذلك ما هو مشاهرة، ومنه ما هو مسانهة ومنه ما هو عند رأس كل ستة أشـهر.

فالمسـانهة : ثور، وثلاثـة قلل : زيتا عنها لترات ستون، ووسق من جيد القمح، وكسوة تحتـوي على كساء وبرنس وقميص وقفطان ملفـا، وفرجية

---

660) انظر سلوة الأنفاس ج 2 ص 109 ـ 110 وكذا مجلة دعـوة الحق العدد 5 السنة 9 ذو القعدة 1385هـ مارس 1966م.

وعمامة، ونصف قيمة ما ذكر عند رأس كل ستة أشهر، ويكون تنفيذ السنوي من القمح والثور غالبا في إبان الحصاد، والكسوة في زمن الشتاء، فإن وقع تراخ في دفع ذلك كلا، أو بعضا، يكتب العلماء للجلالة السلطانية بطلب المؤخر، ولا يكون جوابهم إلا بالتنفيذ المعجل».(661)

وبعد هذا، ننتقل إلى الكلام على دور الوقف في المجالس العلمية في هذا العهد، حيث سنقتصر الكلام فيها على كل من مدينة تطوان، ومكناس، ومراكش، وهو ما سنعالج الكلام عنه في المبحث التالي :

المبحث الثاني

دور الوقف في المجالس العلمية في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن

إن المجالس العلمية في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن كانت من الكثرة بمكان، وفي عدة مدن مغربية نقتصر منها على كل من مدينة تطوان، ومكناس، ومراكش، وهو ما سنعالجه في ثلاثة فروع :

الفرع الأول

المجالس العلمية بتطوان

ليس من شك في أن هذه المدينة كانت تتوفر على كثير من المجالس العلمية الحافلة بالعطاء العلمي، لا في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن فحسب، وإنما كانت هذه المجالس مستمرة العطاء المعرفي في عهود من قبله من الملوك العلويين، كما كانت في عهود من جاء بعده منهم، علما أن هذه المدينة كانت مركز إشعاع فكري، مثلما كان عليه الأمر بفاس، إلا أنها لم تصل إلى مستواها.

661) ج 2 ص 163.

ولقد ضمت بين جنباتها صفوة من العلماء الاعلام الذين كرسوا حياتهم لتدريس العلم ونشره بين مختلف طبقات الأمة، ومن بين هؤلاء العلماء في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن ما يلي :

1 – الشيخ الفقيه الموقت محمد بن بريدة المتوفى حوالي 1285هـ :

فقد جاء في تاريخ تطوان(662) أن الأستاذ الرهوني وصفه بأنه الفقيه الأديب الحيسوبي الميقاتي الرياضي الموسيقي المشارك في عدد من العلوم أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الأندلسي به كان يعرف أهله، الملقب : «بريدة» إلى أن قال عنه : «وقد وقف حياته على تعلم العلوم وتعليمها، وان داره كانت مفتوحة دائما لإلقاء الدروس العلمية فيها، وإنه كان موقتا بالجامع الكبير».

فنرى من هذا أن مجلس هذا العالم كان فيه عطاء كثير لكل من قصده، وأنه جعل من منزله مركزا علميا للقاصي والداني.

2 – الشيخ الفقيه الطيب اليعقوبي 1287هـ :

وقد كان لهذا العالم مجلس بجامع السويقة بتطوان، أكب فيه على تعليم العلم والعبادة، وكان كثير التدريس للرسالة القيروانية، والمرشد المعين في الضروري من علوم الدين، للشيخ عبد الواحد بن عاشر، وبقي على ذلك إلى أن أدركته الوفاة ليلة السبت 25 شعبان 1287هـ.

ومما تجدر ملاحظته : إن هذا العالم كان في عهدي المولى عبد الرحمن ابن هشام وابنه المولى محمد الرابع، وأن المولى عبد الرحمن عرف فضله وزهده وانقطاعه للعلم والعبادة، فخصص له من مال الأوقاف مبلغا ماليا شهريا يستعين به على متطلبات الحياة وأمر في 17 شوال 1270هـ قائد

---

662) انظر تاريخ تطوان ج 7 ص 17.

تطوان الحاج أحمد الحداد بتنفيذ ذلك في رسالة سلطانية جاء فيها ما نصه :

«نفذنا للطالب الشريف سيدي المكي بن عبد الوهاب التطواني ثلاثين أوقية من مستفاد الأحباس كل شهر، إعانة له على تعاطي العلم الشريف، لكونه ممن شهد له بالتحصيل والنجابة، وأوصاه بالجد والاجتهاد والاشتغال بالعلم، فإنه صار غريبا في هذه الأزمنة...(663)

3 – الفقيه الوزير محمد بن عبد الله الصفار 1298هـ :

فقد كان هذا الفقيه نفسه مكبا على تدريس العلوم في مساجد تطوان، ومن بين المواد التي كان يقوم بتدريسها مادة الفقه في مختصر خليل عام 1258هـ حيث كان يعطي فيه درسين يوميا.

الأول : كان يدرسه في الضحى في نطاق المعاملات، وهذا خاص بالطلبة.

والثاني : كان يقوم بتدريسه بين العشاءين، ويقتصر فيه على العبادات، حتى يترك فرصة للعوام من الاستفادة وكان ذلك في مسجد الساقية الفوقية إلى أن ختم المختصر في 18 صفر عام 1265هـ، كذلك كان يدرس لامية الأفعال لابن مالك بشرح «بحرق» الصغير عام 1259هـ وألفية ابن مالك، والتوضيح عام 1260هـ، بعد ذلك ولي الوزارة من قبل المولى عبد الرحمن، ثم من قبل المولى محمد بعد وفاته، ثم من قبل المولى الحسن الأول، ورغم انشغاله بالوزارة، فإنه كان يداوم على تدريس العلم.(664)

الفرع الثاني

المجالس العلمية بمكناس

إن مدينة مكناس تعتبر من بين حواضر المغرب التي كان لها شأن كبير في عهد المولى إسماعيل وقد أهلها هذا لتكون أحد المراكز العلمية المعروفة بإشعاعها العلمي، خاصة وأنها جارة فاس.

---

663) انظر تاريخ تطوان ج 7 ص 17.

664) المرجع أعلاه ونفس الجزء ص 78 وص 80 ـ 81.

ومن الطبيعي، أن تنجب هذه البلدة علماء مرموقين، انتشروا في مختلف البلدان المغربية، فأسهموا فيها بحظ وافر من العلوم، نذكر منهم على سبيل المثال : الإمام ابن غازي الذي تخرجت الأجيال من العلماء على يده بفاس، ولم يكن ابن غازي وحده هو الذي خرج من مكناس ودرس العلوم للناس، وإنما كانت هنالك وجوه لامعة في ميدان المعرفة، انتشروا في طول البلاد، وعرضها.

وبإطلالة متأنية على كتاب «اتحاف إعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» لمؤلفه مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، يقف الباحث على أسماء هؤلاء وعلى قدر هذه المدينة التي أعطت الحركة الفكرية ضروبا من العطاء، ومن بين العلماء الذين عرفتهم مكناس في هذا العهد :

1 - الشيخ التهامي بن المهدي المزوار (1310هـ) :(665)

فقد كان هذا العالم كما قال ابن زيدان : «نابغة أديبا أريبا وجيها لبيبا، ناظما ناثرا، واعظا فصيح اللسان، عدلا رضى مبرزا... تولى الوعظ بالضريح العلمي، وبكرسي عنزة المسجد الأعظم، وخطة العدالة بالحضرة المكناسية، وتصدر للشهادة، وكان يتعاطاها لتاريخ شعبان عام 1292هـ وقبل ذلك وبعده ثم اكتتب بالديوان السلطاني مدة، ثم أخر عنه مدة، ثم أعيد إليه، فصار يظعن بظعن الجناب الملوكي، ويقيم بإقامته إلى أن توفي في محرم الحرام فاتح عام 1310هـ.

---

665) انظر كتاب الإتحاف ج 2 ص 89 ـ 97 ـ 106.

2 – الشيخ العـربي بن الطاهـر بن المهـدي بصري قطيطة المتـوفى حوالي 1290هـ :

كـان هذا العـالم من صدور المعـرفة بمكنـاس، وقد تصـدر لبث العلم ونشره بالمسجـد الأعظم بها، حيث كان مجلسه العلمي، وقـد انتفع به كثير من أعيان علماء مكناس، فضلا عن طلبتها.

ومن بين من أخذ عنه العلم من محققي الاعلام :

– مولاي العباس بن عبد الرحمن بن هشام.

– الشيخ فضول ابن عزوز.

– الشيخ الطاهر بن محمد (فتحا) بن عبد الرحمن بصري(666) وغيرهم.

وقد ذكرت حوالة أحباس كبرى مكناس(667) كرسيا لهذا العالم، زيادة على مجلسه العلمي، حيث بينـت أنه يقرأ فيـه بعد أذان الصـلاة من الظهر والعصر، وبين العشائين، ونصت على تقييد ربـاع أوقافه، حيث يعطى الثلث من مستفادها لوراق الظهرين، والثلثان لوراق العشائين، وهذه الأوقاف، هي كما يلي :

– حانوت بسوق السباط في اعتمار الخرماري.

– حانوت أخرى أسفل منها.

– حانـوت بسوق السباط، وهي المقـابلة للسقـاية باعتمار مـولاي عبد السلام بن يوسف.

– حانوت بالسوق المذكور، مقابلة للتربيعة التي هناك.

– ثلث حانوت بالعطارين.

– حانوت بقيسارية الحرير بالمركَطان في اعتمار مولاي أحمد السريسي.

– حانوتان : الأولى بالجزارين، والثانية بالسويقة.

---

666) انظر الإتحاف ج 5 ص 423.

667) انظر ج 6 ص 16.

- نصف حانوت وهي التي بـ : «القنت» عن يمين الهابط من العقبة الزرقاء.
- زيتونات بوادي ويسلن قرب عين الصباب.
- جزاء بجنان السفلى عند «الترارية» من شركة مسجد الصابة والغير.

3 - الشيخ علي بن صالح المقرىء المشهور 1294هـ:

إن هذا الشيخ كان من أبرز المقرئين المجودين، وكان مجلسه بالمسجد الأعظم بمكناس، حيث يلقى إقبالا ملحوظا من قبل حملة القرآن وقراء السبع، إضافة إلى ذلك، أنه كان يؤدب الصبيان، ويقرىء الأساتيذ، فتخرج على يده خلق كثير، وبقي يؤدي رسالته العلمية حتى توفاه الله في شهر رمضان عام 1294هـ.(668)

4 - الشيخ حم بن الجيلاني البخاري 1295هـ:

كان هذا الشيخ على حظ كبير من المعرفة في الفقه والحساب والوقت (التوقيت) والتعديل وأحكام النجوم والزيارج، والجفر، والرمل، والأوفاق، وسر الحرف.

وقد كان يدرس بمجلسه في مدرسة جامع الدار البيضاء من أجدال الحضرة المكناسية، وقد تخرج منها زمن شبت نار الفتن التي أضرمت أواخر الدولة السليمانية، ولم يرجع إلى بلده إلا بعد أن تم الأمر للمولى عبد الرحمن بن هشام، فنظمه في سلك خاصة حاشيته إلى أن أسند إليه رئاسة مشوره، ولم يزل على ذلك بقية أيام المولى عبد الرحمن، وصدرا من أيام ولده محمد الرابع، فرشحه لعمالة مراكش، ثم رده لوظيفته رئاسة المشور، وتولى عاملا للزراهنة، وبعد موت محمد الرابع ولاه ابنه الحسن عاملا بفاس

---

668) انظر الإتحاف ج 5 ص 480 ـ 481.

بعد قبضه على عاملها إدريس السراج، وترحيله لمراكش في واقعة ابن المدني سنين عام 1290هـ، وبقي عاملا بها إلى أن توفي بطنجة عام 1295هـ، بعدما تقلب في الوظائف العالية مدة 50 سنة.(669)

ونكتفي بهذا القدر من المجالس العلمية بمكناس في هذا العهد، لننتقل بعد ذلك إلى المجالس العلمية بمراكش في نفس هذا العهد أيضا، وهو ما سنذكره في الفرع التالي :

الفرع الثالث

المجالس العلمية بمراكش

إن مدينة مراكش تعتبر المركز الثاني في الإشعاع العلمي لمدينة فاس، إن لم تكن مساوية لها لما عرفته من علماء مرموقين في التاريخ أيام المرابطين، والموحدين، والسعديين، والعلويين، وقد كانت قبلة لرواد العلم والمعرفة، سواء من المغرب أو من الأندلس.

ولا عجب أن نرى مساجدها تكتظ بطالبي المعارف، وأن مجالسها العلمية كانت زاخرة بالعطاء المعرفي، وقد أسهم فيها علماء بألوان من نشاطهم العلمي في هذا العهد، نذكر من بينهم :

1 – الشيخ أحمد بن محمد (ضما) بن أحمد أزنيط (1290هـ) :

فقد كان هذا الشيخ علامة كبيرا، وحافظا لامعا، قد كان مجلسه بجامع ابن يوسف : توأم جامع القرويين بفاس، حيث يقع على يسار الداخل له من باب زاوية لحضر.

ونظرا لحافظته القوية كان شرح الخرشي على مختصر خليل محفوظا لديه(670) وبالجملة، فقد كان عالما نفاعا، استفاد منه كثير من الطلبة، وغيرهم.

669) انظر الإتحاف ج 2 ص 110 ـ 111.

670) انظر الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ج 2 ص 417.

2 – الشيخ محمد بن الطالب الحربيلي المراكشي 1290 هـ :

فقد كان هـذا الشيخ معدلا حيسوبيا عـارفا بالحساب والتـوقيت وكان يوقت بجامع ابن يوسف مع رفيقه السيـد الطائع الجنان، وكانت فيه حدة يواخذ من يتراخـى من المؤذنـين في الأوقات، وقد توفي رحمه اللـه عن نحو 70 سنة.(671)

3 – الشيخ الفقيه محمد بن عبد الرحمن المدغري 1299 هـ :

كان هذا الشيخ من ذرية مولاي محمد بن علي بن طاهر، وقد عاصر كلا من المولى عبد الرحمن والمولى محمد ابنه، والمولى الحسن.

كان في أول أمـره يدرس بأمسيفي : قصبـة من قصبات قـرية الغـرفة بتافيلات مشهورة بإنجاب العلماء، خصوصا في القراءات القرآنية.

وقد حـدث أن كتب السلطـان مولاي عبـد الرحمن للقـاضي بسجلماسة مولاي الصادق بن محمد المدغري بالنظر فيمن يكون من أهل العلم والدين والشرف، ليـوجه لحضرتـه، فأشخصه لـذلك، فورد على السلطـان بحضرة مراكش، وأمره بإقراء أولاده بقبيلة حمير : مبادىء العلوم كالمقدمة في النحو، فأجاب بـأنه يصلح لقراءة التفسير والحديـث والفقه، فأذن له في التـدريس بالجامع اليوسفي، فشرع فيه وحضر عدة طلبة (وبقي كذلك يؤدي رسالته في مجلسه بالجامع المذكور) إلى أن توفاه الله إليه قرب غروب يوم السبت في 27 رمضـان سنة 1299هـ.(672)

4 – الشيخ محمد بن عزوز الرباطي المراكشي :

كان هذا الشيخ فقيها أديبا محاضرا مجودا القرآن، وقد عاصر المولى عبد الرحمن، وابنه المولى محمد، والمولى الحسن.

---

671) انظر المرجـع أعلاه ج 7 ص 51.

672) انظر المرجـع أعلاه ج 7 ص 38.

وقد كان مجلس إقرائه بجامع ابن يـوسف المذكور، وكان ممن أخذ عنه العلم السلطان المولى الحسن الأول، وكـان يباسطه، ووهب لـه بعض إمائه، ملازما له في بعـض حركاته، وهو معدود في ديوان الكتـاب إلا أنه مراح من الخدمة في الكتاب، وكـان يوجه لفصل القضايا المهمـة، ويحترمه الناس من أجل ذلك، وكـان مقر سكناه بباب دكالـة من مراكش، تـوفاه اللـه إليه في العشرة الأولى من القرن الرابع عشر.(673)

وإذا تبينـا ممـا سبق، دور الـوقف في التشجيع على الثقـافـة وجعلهـا مستمرة العطاء، فإنه يجدر بنـا أن نعطي نظرة وجيزة عن طبع الكتب أيام المولى المولى محمد بن عبـد الرحمن، ووقف كميـات كثيرة منها على خـزانة جامع القرويين، وهو ما سنذكره في المبحث التالي :

المبحث الثالث

طبع الكتب في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن ووقف كميات منها على خزانة جامع القرويين

إن مما لا شك فيه أن المولى محمد بـن عبد الرحمن كان عنصر تشجيع للعلم والعلماء : مـاديا وأدبيـا، وكان مـن بين ما قـام به من أعمال في هـذا الصدد : أن أدخل أول مطبعـة حجرية إلى المغرب، فكـانت عاملا هـاما على تيسير السبيل إلى العلم.

وكان مما أمر بطبعه - أول الأمر - ما يأتي :

1 - **شرح العلامـة الخـرشي الصغـير على مختصـر الشيـخ خليـل في ستة أجـزاء**، حيث انتهى العمل مـن طبعـه في 8 من شهـر ذي الحجة الحرام متم عام 1287هـ.

---

673) انظر المرجع أعلاه ج 7 ص 88.

2 – شرح العلامة التاودي ابن سودة على تحفة الإمام ابن عاصم، وهذه التحفة، هي عبارة عن أرجوزة تشتمل على 1698 بيت في الفقه المالكي.

3 – شرح العلامة ميارة الصغير منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين «للشيخ عبد الواحد بن عاشر».

4 – شرح العلامة الأزهري على متن الأجرومية في مبادىء اللغة العربية والنحو.

وكانت هذه الكتب أول ما طبع في المغرب بفاس(674) وبعد انتهاء عملية الطبع، أمر المولى محمد بوقف كميات وافرة منها على خزانة جامع القرويين، ليرجع إليها العلماء، والطلاب في دراساتهم.

وهنا نكون قد أنهينا الكلام على دور الوقف في الحياة الثقافية في العصر العلوي الثاني، لننتقل بعد ذلك إلى الكلام على دور الوقف في الحياة الثقافية في العصر العلوي الثالث، وهو ما سنعالج الكلام عنه في الباب التالي :

674) أنظر الدرر الفاخرة ص : 93-94 والحياة الأدبية بالمغرب في عهد الدولة العلوية ص : 392 للدكتور محمد الأخضر.

فهرس الموضوعات

فهرس موضوعات



رقم الإيداع القانوني : 1387/1996

مطبعة فضالة

زنقة ابن زيدون - المحمدية (المغرب)

الهاتف: 32.46.45 (03) الفاكس: 32.46.43 (03)